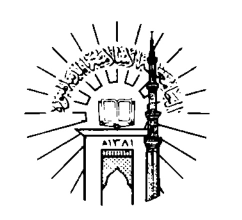
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة خدمة المجتمع



# المجموعة العلمية في العلوم الشرعية

## "المجموعة الأولى"

## المجلد الأول

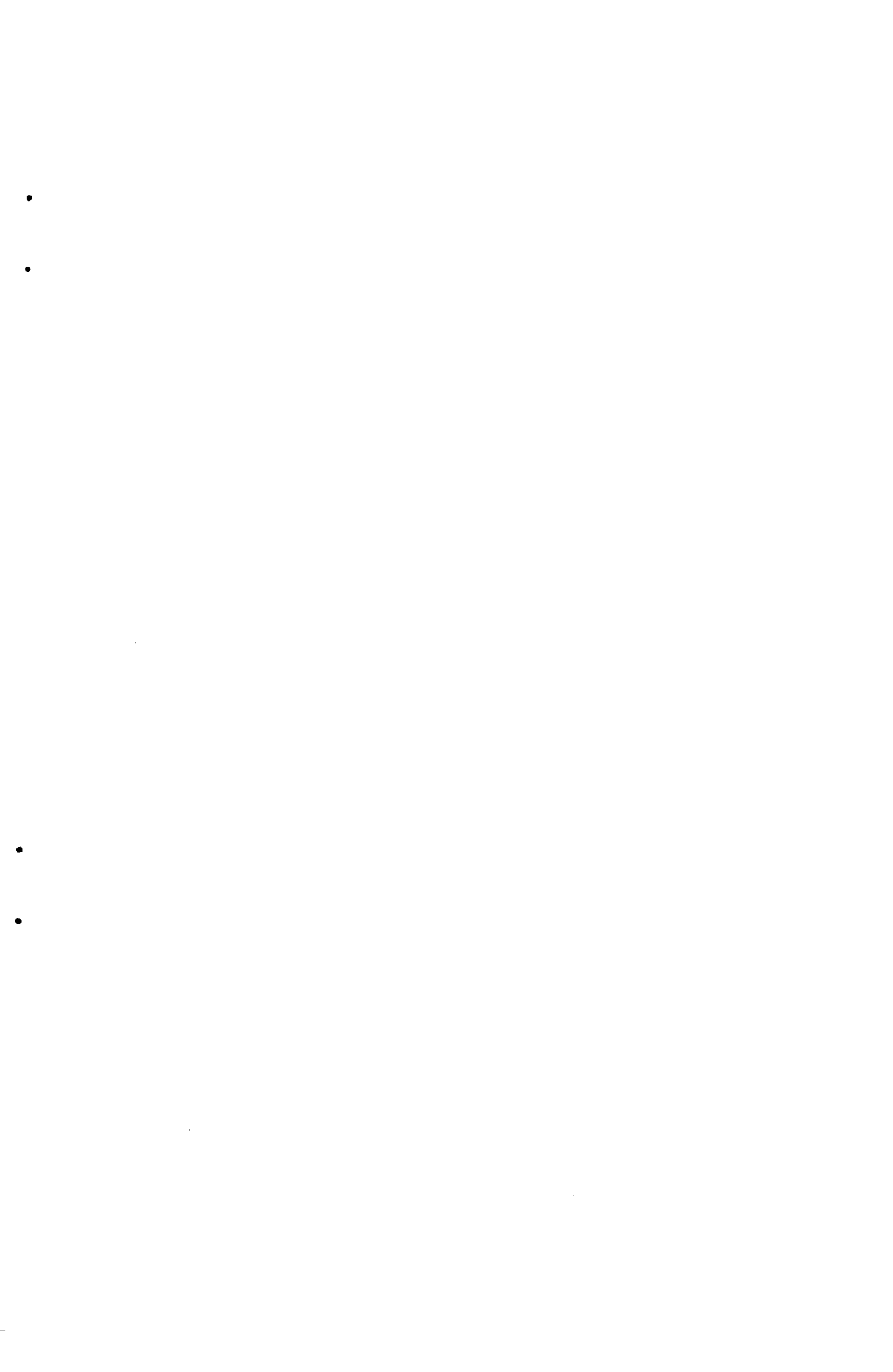
بإشراف
لجنة الدراسات والترجمة والنشر بالعمادة

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

المجموعة العلمية في العلوم الشرعية : المجموعة الأولى / جمع لجنة الدراسات والنشر
بعمادة خدمة المجتمع . – المدينة المنورة
٥١٢ص ؛ ٢٤ سم
ردمك : ٣-١٦٥-٠٢-٩٩٦٠
١ – الإسلام – مجموعات ٢ – الكتب – نقد
ديوي ٨, ٢١٠ ٢١/٤٧٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أتم لهذه الأمة أمر دينها، وجعلها خير أمة أُخرجت للناس؛ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الله .

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء نبينا محمد ﷺ، الذي بُعث في هذه الأمة التي كانت تخوض في ظلمات الشرك والجهل والظلم، فهداهم الله به إلى نور التوحيد والعلم والعدل، فكانت بتوحيدها لربها واتباعها لهدي نبيها محمد ﷺ أمة عزيزة قوية متماسكة، لا تهزّها الشبهات ولا الشهوات .

وخير من سلك ذلكم الطريق القويم أصحابه رضي الله عنهم، الذين تلقوا عن النبي ﷺ القرآن والسنة وما فيهما من عقائد وأحكام، فحفظوها وفهموها وعملوا بها، فقاموا بالدعوة إليها والعمل على نشرها بين الناس .

ثم جاء من بعدهم التابعون لهم بإحسان ليسيروا على طريقة سلفهم الصالح من الصحابة، وأخذوا عنهم ما تلقّوه من رسول الله ﷺ علمًا وعملاً ودعوة إلى الله .

ثم جاء من بعدهم أتباع التابعين، فكانوا كأولئك من الحرص على العلم والعمل به، والدعوة إليه، والدفاع عن العقيدة الصحيحة، والحث على الاتباع، والتحذير من الابتداع في الدين .

وقد التزم تلك الطريقة الحميدة والسيرة العطرة الجميلة من أراد لهم الله السعادة في الدنيا والفوز في الأخرى، وزاغ عن الصراط المستقيم والنهج القويم طوائف لا تحصى، فأصبحوا طرائق قددا، وذلك لما قدره الله من شقاوتهم في الدنيا وخسرانهم في الأخرى .

**أما بعد :**

فإن من نعم الله على الخلق أجمعين أنه سبحانه وتعالى قد تكفّل بحفظ

دينه من التحريف والتبديل إلى يوم الدين، فكان سبحانه وتعالى يصطفي ويختار لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها من فترة لأخرى .

فكان من اصطفاء الله واختياره لإعلاء كلمته وإظهار دينه في هذه الأزمان أن اصطفى المملكة العربية السعودية واختارها لحفظ دينه، والعمل به عقيدة وشريعة، ودعوة إليه، لكونها قد تأسست على التوحيد الخالص، والاتباع الصادق منذ قيامها على يدي الإمامين الجليلين؛ الإمام : محمد بن عبد الوهاب، والإمام : محمد بن سعود، رحمهما الله رحمة واسعة .

وقد جاء من بعدهما الإمام : عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ رحمه الله ـ ليتم ما سبق، فوحّد الله به جزيرة العرب، وآمنهم الله ـ جلّ وعلا ـ به بعد الخوف، وأطعمهم بعد الجوع .

فَحَمَلَت المملكة العربية السعودية ما حُمِّلَت به، فأسست لذلك المدارس والمعاهد والجامعات وغيرها لنشر العلم والهدى والنور، والاستفادة من كل ما هو مفيد ونافع من مبتكرات العصر في شتى الميادين، فجمع الله لها بين خيري الدين والدنيا، ولله الحمد .

وحرصًا منها ـ وفقها الله ـ على خدمة أبناء المسلمين عمومًا أنشأت ـ هدية لهم ـ الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فكانت منذ تأسيسها وإلى اليوم تستقبل أبناء المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، حتى أضحى فيها أكثر من مائة وأربعين جنسية، وتخرّج منها آلاف الطلاب يحملون شهادات الليسانس والماجستير والدكتوراه، وعادوا إلى بلادهم دعاة خير، ومشاعل نور وهداية .

وتتميمًا لتلك المسيرة العظيمة، وحرصًا من القائمين على هذه الجامعة على نشر العلم والعقيدة الصحيحة؛ قامت عمادة خدمة المجتمع بطبع الكتب المفيدة في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، واللغة، وغيرها من فنون العلم، وإقامة الدروس العلمية والمحاضرات، ونشر الشريط النافع بين المسلمين .

وأرادت العمادة المشاركة في نشر الإسلام الحق، وإبلاغه للآخرين غضًا طريًا كما أُنزل، فقامت بطبع هذه المجموعة العلمية القيّمة، والتي تم اختيارها ودراستها من قِبَل لجنة الدراسات والترجمة والنشر فيها، فأخرجتها في أبهى حُلّة، وأجمل زينة .

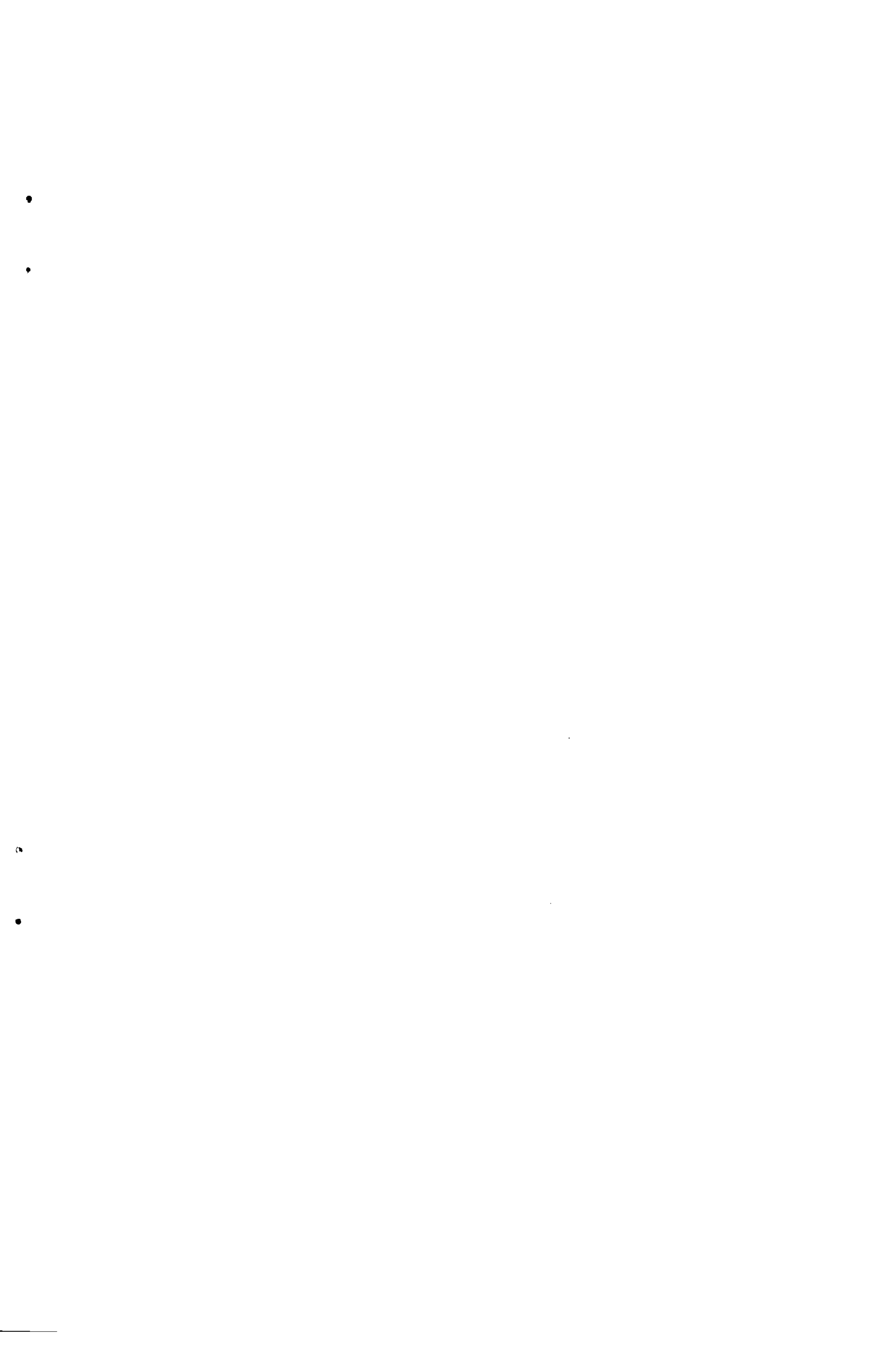
وقدا راعت في تصنيفها الظروف الفردية فجعلتها في مستويين : مستوى للمبتدئين والعامة، ومستوى لطلاب العلم والخاصة .

والعمادة تعزم جعل تلك المجموعة محورًا لترجمتها إلى اللغات العالمية : كالإنجليزية، والفرنسية، والصينية، والأوردو، والبشتو، والهوسا ... إلخ؛ لتعمّ أولئك الدعوة الصحيحة، ويبلغهم الدين الحق من غير تحريف ولا تبديل .

هذا؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

**عميد خدمة المجتمع**

**د. ترحيب بن ربيعان الدوسري**





# كتب المجموعة الأولى
## وتشتمل على ستة أقسام

### ۞ القسم الأول : العقيدة .

#### أ ) توحيد الألوهية :

١ - « الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة »
**للشيخ : محمد بن عبد الوهاب .**

٢ - « عقيدة أهل السنة والجماعة »
**للشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين .**

٣ - « أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع »
**للشيخ : محمد بن عبد الوهاب .**

٤ - « كشف الشبهات »
**للشيخ : محمد بن عبد الوهاب .**

٥ - « تجريد التوحيد المفيد »
**للمقريزي .**

٦ - « بيان حقيقة التوحيد »
**للشيخ : صالح الفوزان .**

٧ - « نداء عام من علماء بلد الله الحرام »
**لمجموعة من العلماء .**

٨ - « حكم السحر والكهانة »
**للشيخ : عبد العزيز بن باز .**

**ب ) توحيد الأسماء والصفات :**

٩ ـ « منهج ودراسات في الأسماء والصفات »

للشيخ : **محمد الأمين الشنقيطي** .

١٠ ـ « القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى »

للشيخ : **محمد بن صالح بن عثيمين** .

١١ ـ « التحذير من البدع »

للشيخ : **عبد العزيز بن باز** .

١٢ ـ « الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع »

للشيخ : **محمد بن صالح بن عثيمين** .

١٣ ـ « البدعة وأثرها السيء في الأمة »

للدكتور : **علي بن ناصر فقيهي** .

**ج ) الإمامة والبيعة :**

١٤ ـ « قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله عزوجل ورسوله ﷺ وولاة الأمور » **لشيخ الإسلام ابن تيمية**

**القسم الثاني : الفقه .**

١٥ ـ « رسائل في الطهارة والصلاة »

للشيخين : **عبد العزيز بن باز، ومحمد بن صالح بن عثيمين** .

١٦ ـ « مواقيت الصلاة »

للشيخ : **محمد بن صالح بن عثيمين** .

١٧ ـ « مجموعة تشتمل على تسع رسائل »

للمشايخ : **عبد العزيز بن باز، ومحمد بن صالح بن عثيمين، وعبد الرحمن بن قاسم** .

١٨ ـ « الدماء الطبيعية للنساء »

للشيخ : **محمد بن صالح بن عثيمين** .

## القسم الثالث : أخلاق وآداب إسلامية .

٣٠ ـ « من أخلاق الرسول الكريم ﷺ »
للشيخ : عبد المحسن العباد .
٣١ ـ « من مشكلات الشباب »
للشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين .

## القسم الرابع : تربية .

٣٢ ـ « نظام الأسرة في الإسلام »
للشيخ : محمد أمان بن علي الجامي .

## القسم الخامس : السيرة والتاريخ .

٣٣ ـ « الدرر في اختصار المغازي والسير »
للإمام ابن عبد البر .

## القسم السادس : الدعوة إلى الله، أساليبها وطرقها .

٣٤ ـ « الدعوة إلى الله عز وجل »
للشيخ : محمد بن صالح بن عثيمين .
٣٥ ـ « وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ »
للشيخ : عبد العزيز بن باز .
٣٦ ـ « الدروس المهمة لعامة الأمة »
للشيخ : عبد العزيز بن باز .
٣٧ ـ « منهج السلف في العقيدة »
للشيخ : صالح بن سعد السحيمي .
٣٨ ـ « رفع الملام عن الأئمة الأعلام »
لشيخ الإسلام ابن تيمية .

# المجلد الأول

## ويشتمل على الكتب التالية

### ❁ القسم الأول : العقيدة .

#### أ ) توحيد الألوهية :

١ - « الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة »

٢ - « عقيدة أهل السنة والجماعة »

٣ - « أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع »

٤ - « كشف الشبهات »

٥ - « تجريد التوحيد المفيد »

٦ - « بيان حقيقة التوحيد »

٧ - « نداء عام من علماء بلد الله الحرام »

٨ - « حكم السحر والكهانة »

#### ب ) توحيد الأسماء والصفات :

٩ - « منهج ودراسات في الأسماء والصفات »

١٠ - « القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى »

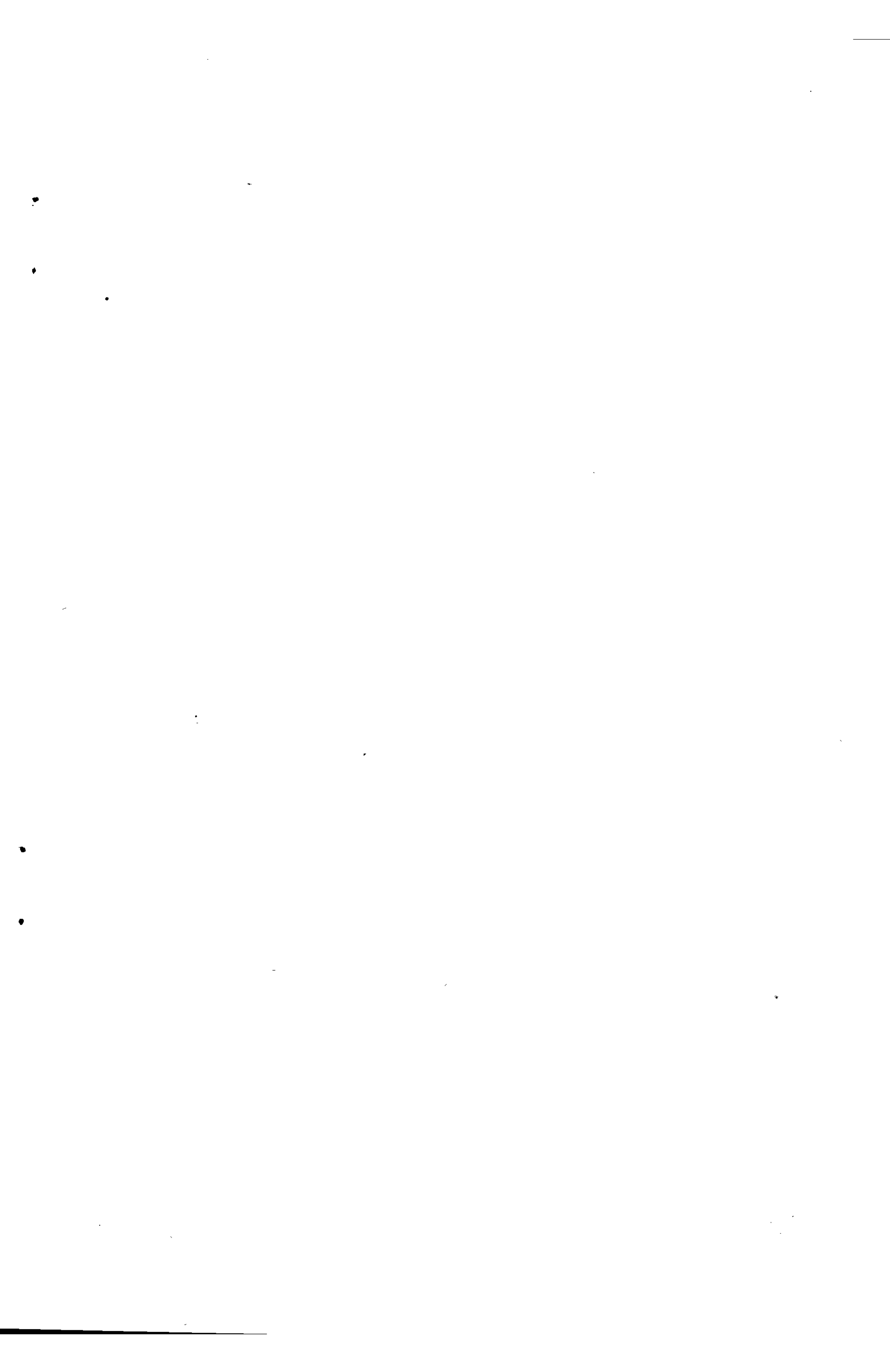
١١ - « التحذير من البدع »

١٢ - « الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع »

١٣ - « البدعة .. ضوابطها، وأثرها السيء في الأمة »

#### ج ) الإمامة والبيعة .

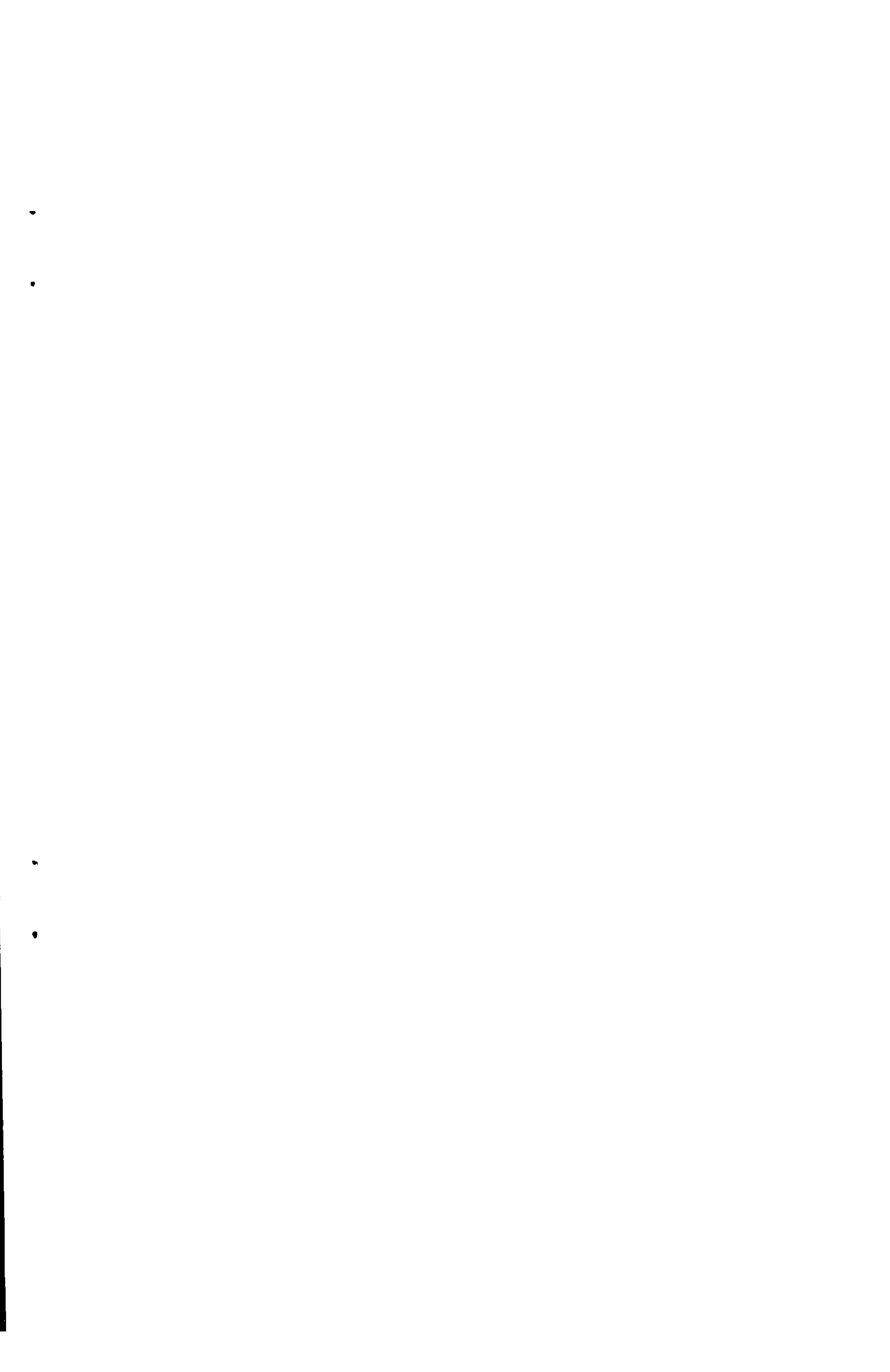
١٤ - « قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور »



# الواجبات المتحتمات المعرفة
# على كل مسلم ومسلمة

من كلام شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب وأحفاده
رحمهم الله ـ تعالى ـ أجمعين

جمعه الفقير إلى عفو ربه
عبد الله بن إبراهيم القرعاوي





## الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم و مسلمة تعلمها

وهي : معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمدًا ﷺ .

فإذا قيل لك : من ربك ؟ . فقل : ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه .

وإذا قيل لك : ما دينك ؟ . فقل : ديني الإسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله .

وإذا قيل لك : من نبيك ؟ . فقل : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم . وهاشم من قريش، وقريش من العرب . والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

# أصل الدين وقاعدته أمران

**الأول** : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه .

**الثاني** : الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله .

# شروط : لا إله إلا الله

**الأول** : العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا .

**الثاني** : اليقين، وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب .

**الثالث** : الإخلاص المنافي للشرك .

**الرابع** : الصدق المنافي للكذب المانع من النفاق .

**الخامس** : المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك .

**السادس** : الانقياد بحقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصا لله، وطلبًا لمرضاته.

**السابع** : القبول المنافي للرد .

## أدلة هذه الشروط من كتاب الله ـ تعالى ـ ومن سنة رسول الله ﷺ

**دليل العلم** : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله** ﴾، وقوله : ﴿ **إلاّ من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ أي : بلا إله إلا الله . ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم .

ومن السنة : الحديث الثابت في الصحيح عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

**ودليل اليقين** : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾ فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا . أي : لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين .

ومن السنة : الحديث الثابت في الصحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة » وفي رواية : « لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة » . وعن أبي هريرة ـ أيضًا ـ من حديث طويل : « من لقيت مِن وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشّره بالجنة » .

**ودليل الإخلاص** : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾، وقوله :



- سبحانه - : ﴿ وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ .

ومن السنة : الحديث الثابت في الصحيح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه »، وفي الصحيح عن عتبان بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : « إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل » . وللنسائي في "اليوم والليلة" من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مخلصًا بها قلبه، يصدق بها لسانه، إلا فتق الله لها السماء فتقًا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله » .

**ودليل الصدق** : قوله - تعالى - : ﴿ **الم ۝ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۝ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾، وقوله - تعالى - : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ۝ يخادعون الله والذين ءامنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ۝ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** ﴾ .

ومن السنة : ما ثبت في الصحيحين، عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار » .

**ودليل المحبة** : قوله - تعالى - : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين ءامنوا أشد حبًا لله** ﴾، وقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** ﴾ .

ومن السنة : ما ثبت في الصحيح، عن أنس - رضي الله عنه - قال :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » .

**ودليل الانقياد** لما دلت عليه : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له** ﴾، وقوله : ﴿ **ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** ﴾، وقوله : ﴿ **ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾ أي : بلا إله إلا الله، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا** ﴾ .

**ومن السنة** : قوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به » وهذا هو تمام الانقياد وغايته .

**ودليل القبول** : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾، وقوله : ـ تعالى ـ : ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا ءآلهتنا لشاعر مجنون** ﴾ .

**ومن السنة** : ما ثبت في الصحيح، عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .



# نواقض الإسلام

**اعلم أن نواقض الإسلام عشرة :**

**الأول** : الشرك في عبادة الله تعالى . قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾، وقال : ﴿ **ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ .

ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر .

**الثاني** : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، كفر إجماعًا .

**الثالث** : من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .

**الرابع** : من اعتقد أن غير هدى النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر .

**الخامس** : من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر .

**السادس** : من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله : ـ تعالى ـ ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ .

**السابع** : السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضى به كفر، والدليل قوله : ـ تعالى ـ ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾ .

**الثامن** : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله : ـ تعالى ـ : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

**التاسع** : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما وسع الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر .

**العاشر** : الإعراض عن دين الله ـ تعالى ـ، لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون** ﴾ .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا .

فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه .

نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه .

# التوحيد ثلاثة أنواع

**الأول : توحيد الربوبية**، وهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ، و لم يدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيد الله بفعله تعالى .

والدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون** ﴾، والآيات على هذا كثيرة جدًا .

**الثاني : توحيد الألوهية**، وهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة، وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن .

**الثالث : توحيد الذات والأسماء والصفات**، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **قل هو الله أحد ۞ الله الصمد ۞ لم يلد ولم يولد ۞ ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه**



سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

## ضد التوحيد الشرك

وهو ثلاثة أنوع : شرك أكبر . وشرك أصغر . وشرك خفي.

الشرك الأكبر، لا يغفره الله ولا يقبل معه عملاً صالحًا، قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدًا ﴾، وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وقدمنا إلي ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا ﴾، وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾، وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ .

## الشرك الأكبر أربعة أنواع

( النوع الأول ) شرك الدعوة : والدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ .

( النوع الثاني ) شرك النية والإرادة والقصد : والدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ۝ أولئك الذين ليس هم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ .

( النوع الثالث ) **شرك الطاعة** : والدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾ . وتفسيرها الذي لا إشكال فيه : طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم . كما فسّرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال : لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية .

( النوع الرابع ) **شرك المحبة** : والدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله** ﴾ .

**النوع الثاني من أنواع الشرك : شرك أصغر، وهو الرياء :**

والدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ .

**النوع الثالث من أنواع الشرك : شرك خفي :**

والدليل عليه قوله ﷺ : « الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل » .

وكفارته قوله ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم » .



# الكفر كفران

## الأول : كفر يخرج من الملة

وهو خمسة أنواع :

( النوع الأول ) كفر التكذيب : والدليل قوله - تعالى - : ﴿ ومن أظلم ممن افتري على الله كذبًا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ .

( النوع الثاني ) كفر الإباء والاستكبار مع التصديق : والدليل قوله - تعالى - : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أَبَى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ .

( النوع الثالث ) كفر الشك وهو كفر الظن : والدليل قوله - تعالى - : ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا ۝ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلبًا ۝ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ۝ لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدًا ﴾ .

( النوع الرابع ) كفر الإعراض : والدليل قوله - تعالى - : ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ .

( النوع الخامس ) كفر النفاق : والدليل قوله - تعالى - : ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾

النوع الثاني من نوعي الكفر :

وهو كفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو كفر النعمة : والدليل قوله - تعالى - : ﴿ وضرب الله مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من

كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ .

# النفاق نوعان : اعتقادي وعملي

## النفاق الاعتقادي

**ستة أنواع**، صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار :

**الأول** : تكذيب الرسول ﷺ .

**الثاني** : تكذيب بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

**الثالث** : بغض الرسول ﷺ .

**الرابع** : بغض بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

**الخامس** : المسرة بانخفاض دين الرسول ﷺ .

**السادس** : الكراهية بانتصار دين الرسول ﷺ .

## النفاق العملي

**النفاق العملي خمسة أنواع** : والدليل قوله ﷺ : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان »، وفي رواية : « وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر » .



# معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

اعلم رحمك الله ـ تعالى ـ أن أول ما فرض الله على ابن آدم : الكفر بالطاغوت والإيمان بالله . والدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ .

**فأما صفة الكفر بالطاغوت** : فإن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها، وتكفّر أهلها وتعاديهم .

**وأما معنى الإيمان بالله** : فأن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم .

وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾.

والطاغوت عام، فكل ما عبد من دون الله، ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت .

## والطواغيت كثيرة ورؤسهم خمسة

**الأول : الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله**، والدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾ .

**الثاني : الحاكم الجائر المغير لأحكام الله ـ تعالى ـ**، والدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**

يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالًا بعيدًا ﴾

الثالث : الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله - تعالى - : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

الرابع : الذي يدّعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله - تعالى - : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا ◌ إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا ﴾، وقال - تعالى - : ﴿ وعنده مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾

الخامس : الذي يُعبد من دون الله وهو راض بالعبادة، والدليل قوله - تعالى - : ﴿ ومن يقل منهم إني إِلَهٌ من دونه فذلك نجزية جهنم كذلك نجزى الظالمين ﴾ .

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمنًا بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله - تعالى - : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ .

الرشد : دين محمد ﷺ . والغي : دين أبى جهل . والعروة الوثقى : شهادة أن لا إله إلا الله، وهى متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله - تعالى -، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

# عقيدة

# أهل السنة والجماعة

بقلم الفقير إلى ا لله

محمد بن صالح العثيمين

# مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الْمَلِك الحَقّ المبين .
وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المتقين .
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

**أما بعد :**

فإن الله تعالى أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وحجة على العباد أجمعين، بين به وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة كل ما فيه صلاح العباد، واستقامة أحوالهم في دينهم ودنياهم، من العقائد الصحيحة، والأعمال القويمة، والأخلاق الفاضلة، والآداب العالية . فترك ﷺ أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك [1] .

فسار على ذلك أمته الذين استجابوا لله ورسوله، وهم خيرة الخلق، من الصحابة والتابعين والذين اتبعوهم بإحسان، فقاموا بشريعته، وتمسكوا بسنته، وعضوا عليها بالنواجذ : عقيدةً، وعبادةً، وخلقًا، وأدبًا، فصاروا هم الطائفة الذين لا يزالون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم أو

---

(١) هذا جزء من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه رواه ابن ماجة في سننه (١٦/١) في المقدمة وأحمد في مسنده (١٢٦/٤) والحديث لا يقل عن درجة الحسن جمع طرقه المروزي في كتاب السنة له .



خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى وهم على ذلك [١] .

ونحن - و لله الحمد - على آثارهم سائرون، وبسيرتهم المؤيدة بالكتاب والسنة مهتدون، نقول ذلك تحدثًا بنعمة الله، وبيانًا لما يجب أن يكون عليه كل مؤمن .

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا وإخواننا المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب .

ولأهمية هذا الموضوع وتفرق أهواء الخلق فيه أحببت أن أكتب على سبيل الاختصار عقيدتنا : عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي : الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم والآخر، والقدر خيره وشره .

سائلاً الله - تعالى - أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه، موافقًا لمرضاته، نافعًا لعباده .

---

(١) هذا إشارة إلى حديث ثوبان ومعاوية والمغيرة رضي الله عنهم الذي رواه البخاري في صحيحه (٤/٢٥٢) في المناقب ومسلم في صحيحه (٣/١٥٢٣) الإمارة . واللفظ لمسلم من رواية ثوبان .



# عقيدتنا

**عقيدتنا** : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

فنؤمن بربوبية الله تعالى، أي : بأنه الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور .

ونؤمن بألوهية الله تعالى، أي : بأنه الإله الحق وكل معبود سواه باطل .

ونؤمن بأسمائه وصفاته، أي : بأن له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا .

ونؤمن بوحدانيته في ذلك، أي : بأنه لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصفاته، قال الله تعالى : ﴿ **ربُّ السمَوات والأرض وما بينهما فاعبُده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميًّا** ﴾[(١)] .

نؤمن بأنه : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السمَوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السمَوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم** ﴾[(٢)] .

ونؤمن بأنه : ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ۝ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ۝ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السمَوات والأرض وهو**

---

(١) سورة مريم، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ .

العزيز الحكيم ﴾ (١) .

ونؤمن بأن له ملك السماوات والأرض : ﴿ يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور ۞ أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير ﴾ (٢) .

ونؤمن بأنه : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ۞ له مقاليد السمَوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم ﴾ (٣) .

ونؤمن بأنه : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ (٤) .

ونؤمن بأنه : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ (٥) .

ونؤمن بأن الله : ﴿ عنده علم الساعة ويُنزّلُ الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ (٦) .

ونؤمن بأن الله يتكلم بما شاء متى شاء كيف شاء : ﴿ وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ (٧) ، ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾(٨)، ﴿ وناديناه من

---

(١) سورة الحشر، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٤ .

(٢) سورة الشورى، الآيتان : ٤٩ ـ ٥٠ .

(٣) سورة الشورى، الآيتان : ١١ ـ ١٢ .

(٤) سورة هود، الآية : ٦ .

(٥) سورة الأنعام، الآية : ٥٩ .

(٦) سورة لقمان، الآية : ٣٤ .

(٧) سورة النساء، الآية: ١٦٤ .

(٨) سورة الأعراف، الآية : ١٤٣ .

**جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًا** ﴾ [١] .

ونؤمن بأنه : ﴿ **لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي** ﴾ [٢]، ﴿ **ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ [٣] .

ونؤمن بأن كلماته أتم الكلمات، صدقًا في الأخبار وعدلاً في الأحكام وحسنًا في الحديث، قال تعالى : ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلا** ﴾ [٤]، وقال : ﴿ **ومن أصدق من الله حديثًا** ﴾ [٥] .

ونؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى، تكلم به حقًا وألقاه إلى جبريل، فنزل به جبريل على قلب النبي ﷺ : ﴿ **قل نَزَّله روح القدس من ربك بالحق** ﴾ [٦]، ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين ۞ نزل به الروح الأمين ۞ على قلبك لتكون من المنذرين ۞ بلسان عربي مبين** ﴾ [٧] .

ونؤمن بأن الله ـ عز وجل ـ عَلِيٌّ على خلقه بذاته وصفاته، لقوله تعالى : ﴿ **وهو العَلِيُّ العظيم** ﴾ [٨]، وقوله : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير** ﴾ [٩] .

---

(١) سورة مريم، الآية : ٥٢ .

(٢) سورة الكهف، الآية : ١٠٩ .

(٣) سورة لقمان، الآية : ٢٧ .

(٤) سورة الأنعام، الآية : ١١٥ .

(٥) سورة النساء، الآية : ٨٧ .

(٦) سورة النحل، الآية : ١٠٢ .

(٧) سورة الشعراء، الآيات : ١٩٢ ـ ١٩٥ .

(٨) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ .

(٩) سورة الأنعام، الآية : ١٨ .

ونؤمن بأنه : ﴿ **خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر** ﴾ [١] .

واستواؤه على العرش : عُلُوُّه عليه بذاته عُلوًّا خاصًا يليق بجلاله وعظمته، لا يعلم كيفيته إلا هو .

ونؤمن بأنه ـ تعالى ـ مع خلقه وهو على عرشه، يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر أمورهم، يرزق الفقير، ويجبر الكسير، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير . ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [٢] .

ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم : إنه مع خلقه في الأرض .

ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال، لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص .

ونؤمن بما أخبر به عنه رسوله ﷺ : أنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول : « من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له » [٣] .

ونؤمن بأنه ـ سبحانه وتعالى ـ يأتي يوم المعاد للفصل بين العباد، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **كلا إذا دكت الأرض دكًا دكًا ۝ وجاء ربك والملك صفًا**

---

(١) سورة يونس، الآية : ٣ .

(٢) سورة الشورى، الآية : ١١ .

(٣) رواه مالك في الموطأ (١/٢١٤) والبخاري في صحيحه (٩/٢٥ ، ٢٦ ) كتاب التوحيد، ومسلم في صحيحه ( ١/٥٢١) صلاة المسافرين، جميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

صفًا * وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ﴾[١] .

ونؤمن بأنه تعالى : ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ [٢] .

**ونؤمن بأن إرادته ـ تعالى ـ نوعان :**

**كونية** : يقع بها مراده ولا يلزم أن يكون محبوبًا له، وهي التي بمعنى المشيئة كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد** ﴾ [٣]، ﴿ **إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم** ﴾ [٤] .

**وشرعية** : لا يلزم بها وقوع المراد، ولا يكون المراد فيها إلا محبوبًا له، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **والله يريد أن يتوب عليكم** ﴾ [٥] .

ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته، فكل ما قضاه كونًا أو تعبد به خلقه شرعًا فإنه لحكمة وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم، أو تقاصرت عقولنا عن ذلك : ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾[٦]، ﴿ **ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون** ﴾[٧] .

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ـ يحب أولياءه وهم يحبونه : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ [٨]، ﴿ **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾[٩]،

---

(١) سورة الفجر الآيات : ٢١ ـ ٢٣ .
(٢) سورة البروج، الآية : ١٦ .
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٣ .
(٤) سورة هود، الآية : ٣٤ .
(٥) سورة النساء، الآية : ٢٧ .
(٦) سورة التين، الآية : ٧ .
(٧) سورة المائدة، الآية : ٥٠ .
(٨) سورة آل عمران، الآية : ٣١ .
(٩) سورة المائدة، الآية : ٥٤ .

﴿ **والله يحب الصابرين** ﴾[(١)]، ﴿ **وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾[(٢)]، ﴿ **وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** ﴾ [(٣)].

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ـ يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال، ويكره ما نهى عنه منها : ﴿ **إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾ [(٤)]، ﴿ **ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين** ﴾ [(٥)].

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ـ يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات : ﴿ **رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه** ﴾ [(٦)].

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ـ يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم : ﴿ **الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم** ﴾ [(٧)]، ﴿ **ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾ [(٨)].

ونؤمن بأن لله ـ تعالى ـ وجهًا موصوفاً بالجلال والإكرام : ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ [(٩)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٤٦ .

(٢) سورة الحجرات، الآية : ٩ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ١٩٥ .

(٤) سورة الزمر، الآية : ٧ .

(٥) سورة التوبة، الآية : ٤٦ .

(٦) سورة البينه، الآية : ٨ .

(٧) سورة الفتح، الآية : ٦ .

(٨) سورة النحل، الآية : ١٠٦ .

(٩) سورة الرحمن، الآية : ٢٧ .

ونؤمن بأن لله ـ تعالى ـ يدين كريمتين عظيمتين : ﴿ **بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾ [(١)]، ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ [(٢)].

ونؤمن بأن لله ـ تعالى ـ عينين اثنتين حقيقيتين لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا** ﴾ [(٣)]، وقال النبي ﷺ : « حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » [(٤)].

وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان، ويؤيده قول النبي ﷺ في الدجال : « ... إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور ... » [(٥)].

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ـ ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾ [(٦)].

ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة ۝ إلى ربها ناظرة** ﴾ [(٧)].

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ـ لا مثل له لكمال صفاته : ﴿ **ليس كمثله شيء**

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٦٤ .

(٢) سورة الزمر، الآية : ٦٧ .

(٣) سورة هود، الآية : ٣٧ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١٦٢/١) كتاب الإيمان حديث ٢٩٣ وابن ماجه في سننه (٧٠/١) المقدمة من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٥) جزء من حديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه (٧٥/٩) كتاب الفتن من حديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهما . وكذا في مواضع من صحيحه ومسلم في صحيحه (٢٢٤٨/٤) كتاب الفتن حديث (١٠١).

(٦) سورة الأنعام، الآية : ١٠٣ .

(٧) سورة القيامة، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .



**وهو السميع البصير** ﴾ [١] .

ونؤمن بأنه : ﴿ **لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ [٢] لكمال حياته وقيوميته .

ونؤمن بأنه لا يظلم أحدًا لكمال عدله، وبأنه ليس بغافل عن أعمال عباده لكمال رقابته وإحاطته .

ونؤمن بأنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض لكمال علمه وقدرته : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ [٣] .

وبأنه لا يلحقه تعب ولا إعياء لكمال قوته : ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ [٤]، أي : من تعب ولا إعياء .

ونؤمن بثبوت كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، لكننا نتبرأ من محظورين عظيمين هما :

التمثيل : أن يقول بقلبه أو لسانه : صفات الله ـ تعالى ـ كصفات المخلوقين .

والتكييف :أن يقول بقلبه أو لسانه : كيفية صفات الله ـ تعالى ـ كذا وكذا .

ونؤمن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وأن ذلك النفي يتضمن إثباتًا لكمال ضده، ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله .

ونرى أن السير على هذا الطريق فرض لا بد منه، وذلك لأن ما أثبته الله لنفسه أو نفاه عنها ـ سبحانه ـ فهو خبر أخبر الله به عن نفسه، وهو ـ سبحانه ـ أعلم بنفسه وأصدق قيلاً وأحسن حديثًا، والعباد لا يحيطون به علمًا .

---

(١) سورة الشورى، الآية : ١١ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ .

(٣) سورة يس، الآية : ٨٢ .

(٤) سورة ق، الآية ٣٨ .

وما أثبته له رسول ﷺ أو نفاه عنه فهو خبر أخبر به عنه، وهو أعلم الناس بربه وأنصح الخلق وأصدقهم وأفصحهم .

ففي كلام الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ كمال العلم والصدق والبيان، فلا عذر في رده أو التردد في قبوله .

# فصل

وكل ما ذكرناه من صفات الله ـ تعالى ـ تفصيلاً أو إجمالاً، إثباتًا أو نفيًا، فإننا في ذلك على كتاب ربنا وسنة نبينا معتمدون، وعلى ما سار عليه سلف الأمة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون .

ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة في ذلك على ظاهرها، وحملها على حقيقتها اللائقة بالله ـ عز وجل ـ .

ونتبرأ من طريق المحرّفين لها، الذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله ﷺ، ومن طريق المعطّلين لها الذين عطّلوها عن مدلولها الذي أراده الله ورسوله ﷺ .

ومن طريق المغالين فيها، الذين حملوها على التمثيل، أو تكلفوا لمدلولها التكييف .

ونعلم علم اليقين أن ما جاء في كتاب الله ـ تعالى ـ أو سنة نبيه ﷺ فهو حق لا يناقض بعضه بعضًا، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير** الله **لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا** ﴾[1] . ولأن التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضًا، وهذا محال في خبر الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ .

ومن ادّعى أن في كتاب الله ـ تعالى ـ أو في سنة رسوله ﷺ أو بينهما

(١) سورة النساء، آية : ٨٢ .

تناقضًا فذلك لسوء قصده وزيغ قلبه، فليتب إلى الله ـ تعالى ـ ولينزع عن غيه .

ومن توهم التناقض في كتاب الله ـ تعالى ـ أو في سنة رسوله ﷺ أو بينهما فذلك إما لقلة علمه أو قصور فهمه أو تقصيره في التدبر، فليبحث عن العلم وليجتهد في التدبر حتى يتبين له الحق، فإن لم يتبين له فليكل الأمر إلى عالمه وليكف عن توهمه، وليقل كما يقول الراسخون في العلم : ﴿ **آمنّا به كلٌ من عند ربنا** ﴾ [(١)]، وليعلم أن الكتاب والسنة لا تناقض فيهما ولا بينهما ولا اختلاف .

# فصل

ونؤمن بملائكة الله ـ تعالى ـ وأنهم : ﴿ **عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ [(٢)]، خلقهم الله ـ تعالى ـ فقاموا بعبادته وانقادوا لطاعته : ﴿ **لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ۞ يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ [(٣)]، حجبهم الله عنا فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، فقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته، له ستمائة جناح قد سد الأفق [(٤)]، وتمثل جبريل لمريم بشرًا سويًا فخاطبته وخاطبها، وأتى إلى النبي ﷺ وعنده الصحابة بصورة رجل لا يعرف ولا يرى عليه أثر السفر، شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، فجلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ، ووضع

---

(١) سورة آل عمران، آية : ٧ .

(٢) سورة الأنبيا، الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان : ١٩ ـ ٢٠ .

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٤٠/٤) بدء الخلق وكذا في تفسير سورة النجم (١٧٦/٦) ومسلم في صحيحه (١٥٨/١) الإيمان حديث ٢٨٠ـ٢٨٢ وانظر الفتح لابن حجر (٦١٠/٨) .

كفيه على فخذيه، وخاطب النبي ﷺ، وخاطبه النبي ﷺ، وأخبر النبي ﷺ أصحابه أنه جبريل [١].

ونؤمن بأن للملائكة أعمالاً كلفوا بها : فمنهم جبريل الموكل بالوحي ينزل به من عند الله على من يشاء من أنبيائه ورسله . ومنهم ميكائيل الموكل بالمطر والنبات . ومنهم إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور حين الصعق والنشور . ومنهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت . ومنهم ملك الجبال الموكل بها . ومنهم مالك خازن النار . ومنهم ملائكة موكلون بالأجنة في الأرحام . وآخرون موكلون بحفظ بني آدم . وآخرون موكلون بكتابة أعمالهم، لكل شخص ملكان : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد ۝ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ [٢] . وآخرون موكلون بسؤال الميت بعد الانتهاء من تسليمه إلى مثواه، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فـ ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾ [٣] . ومنهم الملائكة الموكلون بأهل الجنة : ﴿ **يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ﴾ [٤] . وقد أخبر النبي ﷺ : « أن البيت المعمور في السماء يدخله – وفي رواية : يصلي فيه – كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم » [٥] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/١٩) الإيمان باب سؤال جبريل النبي ﷺ وكذا في تفسير سورة لقمان، ومسلم في صحيحه (١/٣٧) الإيمان حديث ١ – ٧ من حديث أبي هريرة وعمر رضي الله عنهما واللفظ لمسلم من رواية عمر رضي الله عنه .

(٢) سورة ق، الآيتان : ١٧ - ١٨ .

(٣) سورة إبراهيم، الآية : ٢٧ .

(٤) سورة الرعد، الآيتان : ٢٣ - ٢٤ .

(٥) هذا الحديث جزء من حديث قصة المعراج رواه البخاري في صحيحه (٤/١٣٤) بدء الخلق ومسلم في صحيحه (١/١٥٠) الإيمان حديث ٢٦٤ كلاهما من حديث مالك بن صعصعه رضي الله عنه مرفوعًا .

# فصل

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ـ أنزل على رسله كتبًا، حجة على العالمين ومحجة للعاملين، يعلمونهم بها الحكمة ويزكونهم .

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ـ أنزل مع كل رسول كتابًا، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** ﴾ (١) .

**ونعلم من هذه الكتب :**

( أ ) **التوراة** التي أنزلها الله ـ تعالى ـ على موسى ﷺ، وهي أعظم كتب بني إسرائيل، ﴿ **فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** ﴾ (٢) .

(ب) **الإنجيل** الذي أنزله الله ـ تعالى ـ على عيسى ﷺ، وهو مصدق للتوراة ومتمم لها : ﴿ **وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين** ﴾(٣) ، ﴿ **ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم** ﴾ (٤) .

(ج) **الزبور** الذي آتاه الله ـ تعالى ـ داود ﷺ .

(د) **صحف إبراهيم وموسى** عليهما الصلاة والسلام .

(هـ) **القرآن العظيم** الذي أنزله الله على نبيه محمد خاتم النبيين : ﴿ **هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** ﴾ (٥)، فكان : ﴿ **مصدقًا لما بين يديه من**

---

(١) سورة الحديد، الآية : ٢٥ .

(٢) سورة المائدة، الآية : ٤٤ .

(٣) سورة المائدة، الآية : ٤٦ .

(٤) سورة آل عمران، الآية : ٥٠ .

(٥) سورة البقرة، الآية : ١٨٥ .



**الكتاب ومهيمنًا عليه** ﴾[١]، فنسخ الله به جميع الكتب السابقة، وتكفل بحفظه عن عبث العابثين وزيغ المحرفين : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[٢] لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة .

أما الكتب السابقة فإنها مؤقتة بأمد ينتهي بنزول ما ينسخها، ويبين ما حصل فيها من تحريف وتغيير، ولهذا لم تكن معصومة منه، فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص : ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾[٣] ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾[٤]، ﴿ **قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدًى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا** ﴾[٥]، ﴿ **وإن منهم لفريقًا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ۞ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله** ﴾[٦]، ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب** ﴾ إلى قوله :﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم** ﴾[٧] .

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٤٨ .
(٢) سورة الحجر، الآية : ٩ .
(٣) سورة النساء، الآية : ٤٦ .
(٤) سورة البقرة، الآية : ٧٩ .
(٥) سورة الأنعام، الآية : ٩١ .
(٦) سورة آل عمران، الآيتان : ٧٨ - ٧٩ .
(٧) سورة المائدة الآيتان : ١٥ - ١٧ .

# فصل

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ـ بعث إلى خلقه رسلاً : ﴿ **مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزًا حكيمًا** ﴾ [(١)] .

ونؤمن بأن أولهم نوح، وآخرهم محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾ [(٢)]، ﴿ **ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ [(٣)] .

وأن أفضلهم محمد، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم نوح، وعيسى بن مريم، وهم المخصوصون في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا** ﴾ [(٤)] .

ونعتقد أن شريعة محمد ﷺ حاوية لفضائل شرائع هؤلاء الرسل المخصوصين بالفضل، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ [(٥)] .

ونؤمن بأن جميع الرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، قال الله ـ تعالى ـ عن نوح وهو أولهم : ﴿ **ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك** ﴾ [(٦)] . وأمر الله ـ تعالى ـ محمدًا وهو آخرهم أن يقول : ﴿ **لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم**

---

(١) سورة النساء، الآية : ١٦٥ .
(٢) سورة النساء، الآية : ١٦٣ .
(٣) سورة الأحزاب، الآية : ٤٠ .
(٤) سورة الأحزاب، الآية : ٧ .
(٥) سورة الشورى،الآية : ١٣ .
(٦) سورة هود، الآية : ٣١ .

الغيب ولا أقول لكم إني ملك ﴾ (١) . وأن يقول ﴿لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله ﴾(٢) . وأن يقول : ﴿إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا ۝ قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا ﴾ (٣) .

ونؤمن بأنهم عبيد من عباد الله، أكرمهم الله ـ تعالى ـ بالرسالة ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم وفي سياق الثناء عليهم، فقال في أولهم نوح : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا ﴾ (٤) . وقال في آخرهم محمد ﷺ : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ﴾ (٥) . وقال في رسل آخرين : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار ﴾ (٦)، ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴾ (٧)، ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ﴾ (٨)، وقال في عيسى بن مريم : ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ﴾ (٩) .

ونؤمن بأن الله ـ تعالى ختم الرسالات برسالة محمد ﷺ، وأرسله إلى جميع الناس، لقوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ (١٠) .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة الأعراف،الآية : ١٨٨ .

(٣) سورة الجن، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ .

(٤) سورة الإسراء، الآية : ٣ .

(٥) سورة الفرقان، الآية : ١ .

(٦) سورة ص، الآية : ٤٥ .

(٧) سورة ص، الآية : ١٧ .

(٨) سورة ص، الآية : ٣٠ .

(٩) سورة الزخرف، الآية : ٥٩ .

(١٠) سورة الأعراف، الآية : ١٥٨ .



ونؤمن بأن شريعته ﷺ هي دين الإسلام الذي ارتضاه الله - تعالى - لعباده، وأن الله - تعالى - لا يقبل من أحد دينًا سواه، لقوله - تعالى - : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ [(١)]، وقوله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ [(٢)]، وقوله : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ [(٣)] .

ونرى أن من زعم اليوم دينًا قائمًا مقبولاً عند الله سوى دين الإسلام من دين اليهودية أو النصرانية أو غيرهما فهو كافر، يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتدًا، لأنه مكذب للقرآن .

ونرى أن من كفر برسالة محمد ﷺ إلى الناس جميعًا فقد كفر بجميع الرسل، حتى برسوله الذي يزعم أنه مؤمن به متبع له، لقوله - تعالى - : ﴿ **كذبت قوم نوح المرسلين** ﴾ [(٤)]، فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يسبق نوحًا رسول . وقال - تعالى - : ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقًا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينا** ﴾ [(٥)] .

ونؤمن بأنه لا نبي بعد محمد رسول الله ﷺ، ومن ادعى النبوة بعده أو صدّق من ادّعاها فهو كافر، لأنه مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين .

ونؤمن بأن للنبي ﷺ خلفاء راشدين خلفوه في أمته علمًا ودعوة وولاية على المؤمنين . وبأن أفضلهم وأحقهم بالخلافة : أبو بكر الصديق، ثم عمر بن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩ .

(٢) سورة المائدة، الآية : ٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ٨٥ .

(٤) سورة الشعراء، الآية : ١٠٥ .

(٥) سورة النساء، الآيتان : ١٥٠ - ١٥١ .



الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين .

وهكذا كانوا في الخلافة قدرًا كما كانوا في الفضيلة، وما كان الله ـ تعالى ـ وله الحكمة البالغة ليولّي على خير القرون رجلاً وفيهم من هو خير منه وأجدر بالخلافة .

ونؤمن بأن المفضول من هؤلاء قد يتميز بخصيصة يفوق فيها من هو أفضل منه، لكنه لا يستحق بها الفضل المطلق على من فَضَله، لأن موجبات الفضل كثيرة متنوعة .

ونؤمن بأن هذه الأمة خير الأمم وأكرمها على الله عز وجل، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ (١) .

ونؤمن بأن خير هذه الأمة : الصحابة، ثم التابعون، ثم تابعوهم، وبأنه : « لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل » (٢) .

ونعتقد أن ما جرى بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من الفتن فقد صدر عن تأويل اجتهدوا فيه، فمن كان منهم مصيبًا كان له أجران، ومن كان منهم مخطئًا فله أجر واحد، وخطؤه مغفور له .

ونرى أنه يجب أن نكفّ عن مساوئهم، فلا نذكرهم إلا بما يستحقونه من الثناء الجميل، وأن نطهر قلوبنا من الغل والحقد على أحد منهم، لقوله ـ تعالى ـ فيهم : ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك**

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١١٠ .

(٢) هذا طرف من حديث صحيح مرفوع، تقدم تخريجه في ص ٣٣ .

**أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى ﴾**[١] وقول الله - تعالى - فينا : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** ﴾[٢] .

# فصل

ونؤمن باليوم الآخر وهو يوم القيامة الذي لا يوم بعده، حين يبعث الناس أحياء للبقاء، إما في دار النعيم وإما في دار العذاب الأليم .

فنؤمن بالبعث، وهو : إحياء الله - تعالى - الموتى حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية : ﴿ **ونفخ في الصورة فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** ﴾[٣]، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة بلا نعال، عراة بلا ثياب، غرلاً بلا ختان : ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده وعدًا علينا إنا كنا فاعلين** ﴾[٤] .

ونؤمن بصحائف الأعمال تعطى باليمين أو من وراء الظهور بالشمال : ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ۝ وينقلب إلى أهله مسرورًا ۝ وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورًا ۝ ويصلى سعيرًا** ﴾[٥]، ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة**

---

(١) سورة الحديد، الآية : ١٠ .

(٢) سورة الحشر، الآية : ١٠ .

(٣) سورة الزمر، الآية : ٦٨ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية : ١٠٤ .

(٥) سورة الإنشقاق، الآيتان : ٧- ١٢ .

**كتابًا يلقاه منشورًا ۝ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾** [١] .

ونؤمن بالموازين توضع يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ۝ ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ [٢] ، ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ۝ ومن خفت موازينه فأولئك الذي خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ۝ تلفح وجههم النار وهم فيها كالحون** ﴾[٣]، ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون** ﴾ [٤] .

ونؤمن بالشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ خاصة، يشفع عند الله ـ تعالى ـ بإذنه ليقضي بين عباده حين يصيبهم من الهم والكرب مالا يطيقون، فيذهبون إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى، حتى تنتهي إلى رسول الله ﷺ .

ونؤمن بالشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين ليخرجوا منها، وهي للنبي ﷺ وغيره من النبيين والمؤمنين والملائكة . وبأن الله ـ تعالى ـ يخرج من النار أقوامًا من المؤمنين بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته .

ونؤمن بحوض رسول الله ﷺ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، طوله شهر، وعرضه شهر، وآنيته كنجوم السماء حسنا وكثرة، يرده المؤمنون من أمته، من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك .

ونؤمن بالصراط المنصوب على جهنم، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فيمر أولهم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، ثم كشد الرحال، والنبي ﷺ قائم على الصراط يقول : « يارب سَلِّم سَلِّم » حتى تعجز أعمال العباد،

---

(١) سوورة الإسراء، الآيتان : ١٣ ـ ١٤

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان : ٧ ـ ٨ .

(٣) سورة المؤمنين، الآيات : ١٠٢ ـ ١٠٤ .

(٤) سورة الأنعام، الآية : ١٦٠ .



فيأتي من يزحف . وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة، تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكردس في النار .

ونؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار ذلك اليوم وأهواله أعاننا الله عليها .

ونؤمن بشفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها، وهي للنبي ﷺ خاصة .

ونؤمن بالجنة والنار، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله ـ تعالى ـ للمؤمنين المتقين، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ [١]

والنار دار العذاب التي أعدها الله ـ تعالى ـ للكافرين الظالمين، فيها من العذاب والنكال ما لا يخطر على البال : ﴿ **إنا اعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها ۝ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا** ﴾ [٢] .

وهما موجودتان الآن ولن تفنيا أبد الآبدين : ﴿ **ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا قد أحسن الله له رزقا** ﴾ [٣]، ﴿ **إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرًا ۝ خالدين فيها أبدًا لا يجدون وليا ولا نصيرًا ۝ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا** ﴾ [٤] .

ونشهد بالجنة لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين أو بالوصف، فمن الشهادة بالعين : الشهادة لأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ونحوهم ممن عيّنهم

---

(١) سورة السجدة، الآية : ١٧ .

(٢) سورة الكهف، الآية : ٢٩ .

(٣) سورة الطلاق، الآية : ١١ .

(٤) سورة الأحزاب، الآيات : ٦٤ ـ ٦٦ .



النبي ﷺ [١] . ومن الشهادة بالوصف الشهادة لكل مؤمن أو تقي .

ونشهد بالنار لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين أو بالوصف : فمن الشهادة بالعين : الشهادة لأبي لهب وعمرو بن لحي الخزاعي [٢] ونحوهما . ومن الشهادة بالوصف الشهادة لكل كافر أو مشرك شركًا أكبر أو منافق .

ونؤمن بفتنة القبر، وهي سؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه، فـ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ [٣] فيقول المؤمن : ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد . وأما الكافر والمنافق فيقول : لا أدرى، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته .

ونؤمن بنعيم القبر للمؤمنين : ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ [٤] .

ونؤمن بعذاب القبر للظالمين الكافرين : ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾ [٥] .

والأحاديث في هذا كثيرة ومعلومة .

فعلى المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسنة من هذه الأمور الغيبية، وأن لا يعارضها بما يشاهد في الدنيا، فإن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا لظهور الفرق الكبير بينها . والله المستعان .

---

(١) أى : في حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه ( ٥ / ١٠ ) في فضائل أصحاب النبي ﷺ في صحيحه (٤ / ١٨٦٧ ) في الفضائل أيضا من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) انظر صحيح البخاري ( ٦ / ٦٩ ) كتاب التفسير وصحيح مسلم ( ٤ / ٢١٩١ ) الجنة جاء فيه : «رأيت عمرو بن الحي ... يجُرُّ قصبه في النار » .

(٣) سورة إبرا هيم، الآية : ٢٧ .

(٤) سورة النحل، الآية : ٣٢ .

(٥) سورة الأنعام، الآية : ٩٣ .



# فصل

ونؤمن بالقدر خيره وشره، وهو تقدير الله - تعالى - للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته .

**وللقدر أربع مراتب :**

**المرتبة الأولى : العلم**، فنؤمن بأن الله - تعالى - بكل شيء عليم، علم ما كان وما يكون وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل، ولا يلحقه نسيان بعد علم .

**المرتبة الثانية : الكتابة**، فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ، ما هو كائن إلى يوم القيامة : ﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾ (١) .

**المرتبة الثالثة : المشيئة**، فنؤمن بأن الله - تعالى - قد شاء كل ما في السماوات والأرض، لا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

**المرتبة الرابعة : الخلق**، فنؤمن بأن ﴿ **الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ۞ له مقاليد السماوات والأرض** ﴾ (٢) .

وهذه المراتب الأربعة شاملة لما يكون من الله تعالى نفسه ولما يكون من العباد، فكل ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال أو تروك فهي معلومة لله - تعالى -، مكتوبة عنده، والله - تعالى قد شاءها وخلقها : ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم ۞ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ (٣)، ﴿ **ولو شاء**

---

(١) سورة الحج، الآية : ٧٠ .

(٢) سورة الزمر، الآيتان : ٦٢ - ٦٣ .

(٣) سورة التكوير، الآيتان : ٢٨ - ٢٩ .

**ا لله ما اقتتلوا ولكن ا لله يفعل ما يريد** ﴾[١]، ﴿ **ولو شاء ا لله ما فعلوه فذرهم وما يفترون** ﴾[٢]، ﴿ **وا لله خلقكم وما تعملون** ﴾[٣] .

ولكننا مع ذلك نؤمن بأن ا لله ـ تعالى ـ جعل للعبد اختيارًا وقدرة، بهما يكون الفعل .

**والدليل على أن فعل العبد باختياره وقدرته أمور :**

**الأول** : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **فأتوا حرثكم أنّى شئتم** ﴾[٤]، وقوله : ﴿ **ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة** ﴾[٥]، فأثبت للعبد إتيانًا بمشيئته وإعدادًا بإرادته .

**الثاني** : توجيه الأمر والنهي إلى العبد، ولو لم يكن له اختيار وقدرة لكان توجيه ذلك إليه من التكليف بما لا يطاق، وهو أمر تأباه حكمة ا لله تعالى ورحمته، وخبره الصادق في قوله : ﴿ **لا يكلف ا لله نفسًا إلا وسعها** ﴾[٦] .

**الثالث** : مدح المحسن على إحسانه، وذم المسيء على إساءته، وإثابة كل منهما بما يستحق . ولولا أن الفعل يقع بإرادة العبد واختياره لكان مدح المحسن عبثًا، وعقوبة المسيء ظلمًا، وا لله ـ تعالى ـ منزّه عن العبث والظلم .

**الرابع** : أن ا لله ـ تعالى ـ أرسل الرسل : ﴿ **مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على ا لله حجة بعد الرسل وكان** ا لله **عزيزًا حكيمًا** ﴾[٧]، ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره ما بطلت حجته بإرسال الرسل .

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥٣ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٣٧ .

(٣) سورة الصافات، الآية : ٩٦ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ٢٢٣ .

(٥) سورة التوبة، الآية : ٤٦ .

(٦) سورة البقرة، الآية : ٢٨٦ .

(٧) سورة النساء، الآية : ١٦٥ .

**الخامس** : أن كل فاعل يحس أنه يفعل الشيء أو يتركه بدون أي شعور بإكراه، فهو يقوم ويقعد، ويدخل ويخرج، ويسافر ويقيم بمحض إرادته، ولا يشعر بأن أحدًا يكرهه على ذلك، بل يفرق تفريقًا واقعيًا بين أن يفعل الشيء باختياره وبين أن يكرهه عليه مكره . وكذلك فرق الشرع بينهما تفريقًا حكيمًا، فلم يؤاخذ الفاعل بما فعله مكرهًا عليه فيما يتعلق بحق الله تعالى .

ونرى أنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله ـ تعالى ـ، لأن العاصي يقدم على المعصية باختياره من غير أن يعلم أن الله ـ تعالى ـ قدرها عليه، إذ لا يعلم أحد قدر الله ـ تعالى ـ إلا بعد وقوع مقدوره : ﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا** ﴾ [١]، فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتج بها حين إقدامه على ما اعتذر بها عنه ؟ . وقد أبطل الله ـ تعالى ـ هذه الحجة بقوله : ﴿ **سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون** ﴾ [٢] .

ونقول للعاصي المحتج بالقدر : لماذا لم تقدم على الطاعة مقدرًا أن الله ـ تعالى ـ قد كتبها لك، فإنه لا فرق بينها وبين المعصية في الجهل بالمقدور قبل صدور الفعل منك ؟ . ولهذا لـمَّا أخبر النبي ﷺ الصحابة « بأن كل واحد قد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار » قالوا : أفلا نتكل وندع العمل ؟، قال : « لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له » [٣] .

---

(١) سورة لقمان، الآية : ٣٤ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٨ .

(٣) الحديث رواه البخاري في صحيحه (١٥٤/٨) كتاب القدر وكذا في التوحيد (١٩٥/٩) وفي تفسير سورة الليل ومسلم في صحيحه (٢٠٤٠/٤) كتاب القدر حديث ٧ من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا وكذا من حديث عمران وجابر رضي الله عنهما نحوه باختصار حديث ٨ ، ٩ .



ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لو كنت تريد السفر لمكة وكان لها طريقان، أخبرك الصادق أن أحدهما مخوف صعب، والثاني آمن سهل، فإنك ستسلك الثاني، ولا يمكن أن تسلك الأول، وتقول: إنه مقدر عليّ، ولو فعلت لعدك الناس في قسم المجانين.

ونقول له - أيضًا -: لو عرض عليك وظيفتان، إحداهما ذات مرتب أكثر، فإنك سوف تعمل فيها دون الناقصة، فكيف تختار لنفسك في عمل الآخرة ما هو الأدنى ثم تحتج بالقدر؟. ونقول له - أيضًا -: نراك إذا أصبت بمرض جسمي طرقت باب كل طبيب لعلاجك، وصبرت على ما ينالك من ألم عملية الجراحة وعلى مرارة الدواء، فلماذا لا تفعل مثل ذلك في مرض قلبك بالمعاصي؟.

ونؤمن بأن الشر لا ينسب إلى الله - تعالى لكمال رحمته وحكمته، قال النبي ﷺ: «والشر ليس إليك» [1]، فنفس قضاء الله - تعالى - ليس فيه شر أبدًا، لأنه صادر عن رحمة وحكمة.

وإنما يكون الشر في مقتضياته، لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علمه الحسن: «وقني شر ما قضيت» [2]، فأضاف الشر إلى ما قضاه، ومع هذا فإن الشر في المقتضيات ليس شرًا خالصًا محضًا، بل هو شر في محله من وجه، خير من وجه، أو شر في محله خير في محل آخر. فالفساد في الأرض: من الجدب والمرض والفقر والخوف شر، لكنه خير في محل آخر، قال الله - تعالى -: **﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي**

(١) رواه مسلم في صحيحه (٥٣٥/١) صلاة المسافرين من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرج حديث دعاء القنوت: أبو داود في سننه (١٣٣/٢) الوتر. والنسائي في سننه (٢٤٨/٣) قيام الليل. والترمذي في (٢٨٩/١) أبواب الوتر وقال: (حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه). وابن ماجه في (٣٧٢/١) إقامة الصلاة. وأحمد في مسنده (١٩٩/١ و ٢٠٠). والدارمي في سننه (٣٧٣/١).

**عملوا لعلهم يرجعون ﴾** [(١)] .

وقطع يد السارق ورجم الزاني شر بالنسبة للسارق والزاني في قطع اليد، وإزهاق النفس، لكنه خير لهما من وجه آخر، حيث يكون كفارة لهما، فلا يجمع لهما بين عقوبتي الدنيا والآخرة . وهو ـ أيضًا ـ خير في محل آخر، حيث إن فيه حماية الأموال والأعراض والأنساب .

# فصل

**هذه العقيدة السامية المتضمنة لهذه الأصول العظيمة تثمر لمعتقدها ثمرات جليلة كثيرة :**

**فالإيمان با لله ـ تعالى وأسمائه وصفاته** : يثمر للعبد محبة ا لله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه، والقيام بأمر ا لله ـ تعالى ـ واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع : ﴿ **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ [(٢)] .

**ومن ثمرات الإيمان بالملائكة :**

**أولاً** : العلم بعظمة خالقهم تبارك ـ وتعالى ـ وقوته وسلطانه .

**ثانيًا** : شكره ـ تعالى ـ على عنايته بعباده، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم .

**ثالثًا** : محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة ا لله ـ تعالى ـ على الوجه

---

(١) سورة الروم، الآية : ٤١ .

(٢) سورة النحل، آية : ٩٧ .



الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين .

**ومن ثمرات الإيمان بالكتب :**

**أولاً** : العلم برحمة الله ـ تعالى ـ وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به .

**ثانيًا** : ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم مناسبًا لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة .

**ثالثًا** : شكر نعمة الله ـ تعالى ـ على ذلك .

**ومن ثمرات الإيمان بالرسل :**

**أولاً** : العلم برحمة الله ـ تعالى ـ وعنايته بخلقه، حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد .

**ثانيًا** : شكره ـ تعالى ـ على هذه النعمة الكبرى .

**ثالثًا** : محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله ـ تعالى ـ وخلاصة عبيده، قاموا لله بعبادته وتبليغ رسالته، والنصح لعباده، والصبر على أذاهم .

**ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر .**

**أولاً** : الحرص على طاعة الله ـ تعالى ـ رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفًا من عقاب ذلك اليوم .

**ثانيًا** : تسلية المؤمن عمّا يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها .

**ومن ثمرات الإيمان بالقدر :**

**أولاً** : الاعتماد على الله ـ تعالى ـ عند فعل الأسباب، لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره .



**ثانيًا** : راحة النفس وطمأنينة القلب، لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله ـ تعالى ـ، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس، واطمأن القلب، ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشًا وأريح نفسًا وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر .

**ثالثًا** : طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله ـ تعالى ـ على ذلك، ويدع الإعجاب .

**رابعًا** : طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأن ذلك بقضاء الله ـ تعالى ـ الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك، ويحتسب الأجر . وإلى هذا يشير الله ـ تعالى ـ بقوله : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ۞ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ [1] .

فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يثبتنا على هذه العقيدة، وأن يحقق لنا ثمراتها، ويزيدنا من فضله، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب، والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

تَمَّت

بقلم مؤلفها

**محمد بن صالح العثيمين**

٣٠/ شوال / ١٤٠٤ هـ

---

(١) سورة الحديد، الآيتان : ٢٢ ـ ٢٣ .

# أصول الدين الإسلامي
## مع قواعده الأربع


تأليف المصلح الإسلامي الكبير

الشيخ : محمد بن سليمان التميمي

- رحمه الله تعالى -

رتبها

على نهج السؤال والجواب مع بعض توضيحات نافعة

الشيخ العلامة السلفي

محمد الطيّب بن إسحاق الأنصاري المدني

- رحمه الله تعالى -

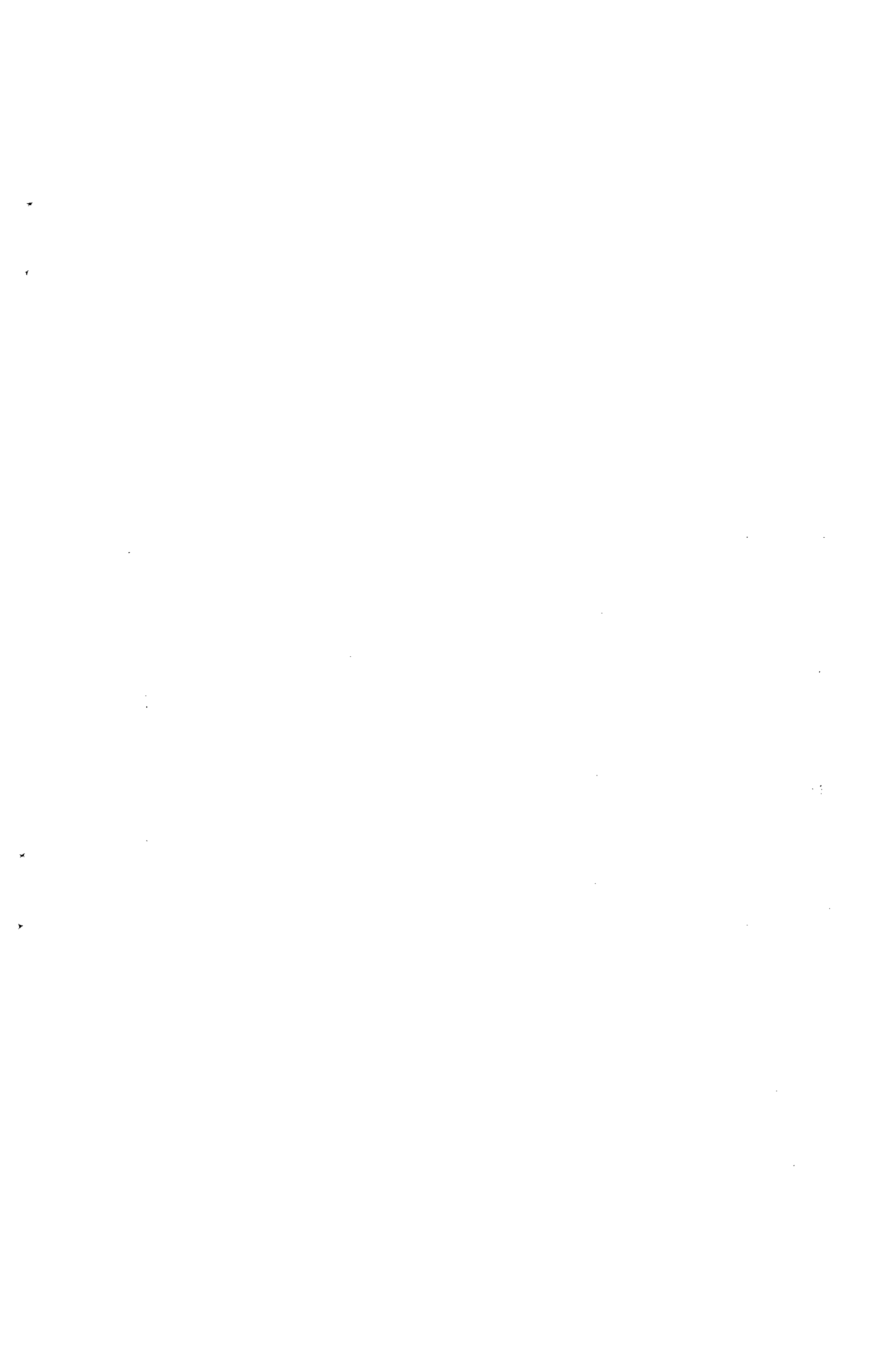

وبذيلها

## عقيدة السلف

للشيخ : محمد الطيّب المذكور - عفا الله عنه -

وفي آخرها

## الصلاة والمحافظة عليها



## أصـــول الـــدّيـــن الإســـلامـــي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وبه نستعين والصلاة والسّلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

**س** / ما هي المسائل الأربع التي يجب على كل إنسان أن يتعلمها ؟ .

**جـ** ـ الأولى : العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيّه ﷺ ومعرفة دين الإسلام بالأدلّة .

الثانية : العمل بهذا العلم .

الثالثة : الدعوة إليه .

الرّابعة : الصّبر على الذي فيه

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **والعصر ۝ إنّ الإنسان لفي خسر ۝ إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصّبر** ﴾ .

**س** / ما الذي قاله الشافعي في هذه السّورة ؟ .

**جـ** ـ قال : ( لو ما أنزل الله على خلقه إلاّ هذه السورة لكفتهم ) .

**س** / هل القول والعمل قبل العلم أو العلم قبلهما ؟ .

**جـ** ـ العلم قبلهما بدليل قوله تعالى : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين** ﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل . قاله البخاري رحمه الله .

**س** / ما المسائل الثلاثة التي يجب تعلمها والعمل بها ؟ .

**جـ ـ الأولى** : أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنّة، ومن عصاه دخل النّار .

**س** / وما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **إنّا أرسلنا إليكم رسولاً شاهدًا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً ۞ فعصى فرعون الرّسول فأخذناه أخذًا وبيلاً** ﴾ .

**الثانية** : أنّ الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾ .

**الثالثة** : أنّ من أطاع الرّسول ووحّد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **لا تجد قومًا يؤمنون با لله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروحٍ منه** ﴾ الآية .

**س** / ما الحنيفيّة ملّة إبراهيم ؟ .

**جـ** ـ أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، وبذلك أمر الله جميع النّاس وخلقهم لها .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾ .

**س** / ما معنى يعبدون ؟ .

**جـ** ـ يوحدوني، وآمرهم وأنهاهم .

**س** / ما هو أعظم شيءٍ أمر الله به ؟ .

**جـ** ـ التّوحيد .

**س** / ما هو التّوحيد ؟ .

**جـ** ـ هو إفراد الله بالعبادة وإثبات اتصافه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، وتنزيهه عن النقائص والعيوب، ومشابهة المخلوقات .

**س** / ما هو أعظم شيءٍ نهى الله عنه ؟ .

**جـ** ـ الشرك .

**س** / ما هو الشرك ؟ .

**جـ** ـ دعوة غير الله معه . وأن تجعل لله ندًّا في العبادة وهو خلقك .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادًا** ﴾ .

**س** / ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها وتحقيق العمل بها والدّعوة إليها ؟ .

**جـ** ـ معرفة العبد ربّه ودينه ونبيّه محمد ﷺ .

**س** / من ربّك ؟ .

**جـ** ـ ربّي الله الذي ربّاني وربّى جميع العالمين بنعمته وهو معبودي ليس لي معبود سواه .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **الحمد لله ربّ العالمين** ﴾، وكل من سوى الله عالم، وأنا واحدٌ من ذلك العالم .

**س** / بِمَ عرفت ربّك ؟ .

**جـ** ـ عرفته بآياته ومخلوقاته، الليل والنّهار والشمس والقمر، والسّموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إيّاه تعبدون** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **إنّ ربّكم الله الذي خلق السّموات والأرض في ستة أيامٍ ثمّ استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا، والشمس والقمر والنجوم مسخَّراتٍ بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين** ﴾ .

**س** / ما هو الرّب ؟ .

**جـ** ـ الرّب هو السيد المالك الموجد من العدم إلى الوجود، وهو المستحق للعبادة .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقون ۝ الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسّماء بناءً وأنزل من السّماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون** ﴾ . فالخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة .

**س** / ما هي العبادة ؟ .

**جـ** ـ العبادة هي غاية الخضوع والتذلل، وغاية الحبّ والتعلّق لمن فُعِل له



ذلك . وبعبارةٍ أخرى هي : اسمٌ جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة .

**س** / كم أنواع العبادة التي أمر الله بها ؟ .

**جـ** ـ كثيرة، منها : الإسلام، والإيمان، والإحسان، والدعاء، والخوف، والرجاء، والتّوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذّبح، والنّذر، وغير ذلك من العبادات التي أمر الله بها، كلها مخصوصة بالله تعالى .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **وقضى ربّك أن لا تعبدوا إلاّ إيّاه** ﴾ .

**س** / ماحكم من صرف منها شيئًا لغير الله ؟ .

**جـ** ـ من صرف منها شيئًا لغير الله ـ تعالى ـ فهو مشركٌ كافرٌ .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربّه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ .

**س** / ما الدليل على أنّ الدعاء عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **وقال ربّكم ادعوني استجب لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين** ﴾ . وقوله عليه الصّلاة والسّلام : « الدعاء مخ العبادة » . وفي رواية : « الدعاء هو العبادة » .

**س** / ما الدليل على أنّ الخوف عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

**س** / ما الدليل على أنّ الرجاء عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربّه أحدًا** ﴾ .

**س** / ما الدليل على أنّ التّوكل عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ . ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ .

**س** / ما الدليل على أنّ الرّغبة والرّهبة والخشوع عبادات ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين** ﴾ .

**س** / ما الدليل على أنّ الخشية عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **فلا تخشوهم واخشونِ** ﴾ .

**س** / ما الدليل على أنّ الإنابة عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له** ﴾ . الآية .

**س** / ما الدليل على أنّ الاستعانة عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **إيّاك نعبد وإيّاك نستعين** ﴾ . وفي الحديث : « إذا استعنت فاستعن با لله » .

**س** / ما الدليل على أنّ الاستعاذة عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **قل أعوذ بربّ النّاس، ملك النّاس إله النّاس** ﴾ .

**س** / ما الدليل على أنّ الاستغاثة عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أنّي ممدكم بألفٍ من الملائكة مردفين** ﴾ .



**س** / ما الدليل على أنّ الذّبح عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين** ﴾ .

ومن السنّة قوله عليه الصّلاة والسّلام : « لعن الله من ذبح لغير الله » .

**س** / ما الدليل على أنّ النّذر عبادة ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **يوفون بالنّذر ويخافون يومًا كان شرّه مستطيرًا** ﴾ .

**س** / ما الأصل الثاني ؟ .

**جـ** ـ معرفة دين الإسلام بالأدلّة .

**س** / وما هو دين الإسلام ؟ .

**جـ** ـ هو الاستسلام لله بالتّوحيد، والانقياد له بالطاعة؛ والبراءة من الشرك وأهله .

**س** / كم مراتب دين الإسلام ؟ .

**جـ** ـ مراتبه ثلاثة : ( الإسلام، والإيمان، والإحسان ) وكل مرتبة لها أركان .

**س** / كم أركان الإسلام ؟ .

**جـ** ـ خمسة : شهادة أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمدًا رسول الله، وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة، وصوم رمضان، وحجّ بيت الله الحرام .

**س** / ما دليل شهادة أنّ لا إله إلاّ الله ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلاّ هو العزيز الحكيم** ﴾ .

**س** / ما معنى لا إله إلاّ الله ؟ .

**جـ** ـ معناه لا معبود بحق إلاّ الله وحده .

**س** / ما المقصود بلا إله ؟ .

**جـ** ـ المقصود نفي جميع ما يعبد من دون الله .

**س** / ما المقصود بـ﴿ **إلاّ الله** ﴾ ؟ .

**جـ** ـ المقصود إثبات العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنّه ليس له شريك في ملكه .

**س** / ما تفسيرها الذي يوضحها ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براءٌ مما تعبدون إلاّ الذي فطرني فإنه سيهدين ۞ وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه لعلّهم يرجعون** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتّخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون** ﴾ .

**س** / ما دليل شهادة أنّ محمدًا رسول الله ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيم** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **محمدٌ رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم** ﴾ .

**س** / ما معنى شهادة أنّ محمدًا رسول الله ؟ .

**جـ** ـ طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا نعبد الله إلاّ بما شرّع . عليه الصّلاة والسّلام .



**س** / ما دليل الصّلاة والزّكاة وتفسير التّوحيد ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلاّ ليعبدوا اللهَ مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيّمة** ﴾ .

**س** / وما دليل الصّيام ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصّيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون** ﴾ .

**س** / ما دليل الحجّ ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **و لله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإنّ اللهَ غنيٌ عن العالمين** ﴾ .

**س** / ما المرتبة الثانية من مراتب دين الإسلام ؟ .

**جـ** ـ هي الإيمان .

**س** / كم شعب الإيمان ؟ .

**جـ** ـ هي بضعٌ وسبعون شعبةٍ، أعلاها قول : « لا إله إلاّ اللهُ »، وأدناها : « إماطة الأذى عن الطريق »، والحياء شعبةٌ من الإيمان .

**س** / كم أركان الإيمان ؟ .

**جـ** ـ ستة : « أن تؤمن با لله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه » .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قِبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن با لله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾ الآية .

**س** / ما دليل القدر ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **إنّا كلّ شيءٍ خلقناه بقدر** ﴾ .

**س** / ما المرتبة الثالثة من مراتب الإسلام ؟ .

**جـ** ـ هي الإحسان، وله ركنٌ واحدٌ .

**س** / ما هو الإحسان ؟ .

**جـ** ـ هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **إنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **وتوكّل على العزيز الرّحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبّك في السّاجدين إنّه هو السّميع العليم** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عملٍ إلاّ كنّا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه** ﴾ .

**س** / ما الدليل من السنّة على مراتب الدين الثلاثة ؟ .

**جـ** ـ حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ قال : ( بينما نحن جلوس عند النّبيّ ﷺ، إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منّا أحد، فجلس إلى النّبيّ ﷺ، وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفّيه على فخذيه، وقال : يا محمد، أخبرني عن الإسلام . فقال : « أن تشهد أنّ لا الله إلاّ الله وأنّ محمدًا رسول الله، وتقيمٍ الصّلاة، وتؤتي الزّكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً » . قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدّقه . قال : أخبرني عن الإيمان، قال : « أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرّه » . قال : أخبرني عن الإحسان . قال :



« أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك » . قال : أخبرني عن السّاعة ؟ . قال : : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » . قال أخبرني عن أماراتها ؟ . قال : « أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان » . قال : فمضى . فلبثنا قليلاً . فقال : « يا عمر، أتدرون من السائل ؟ » . قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : « هذا جبريل أتاكم ليعلّمكم أمر دينكم » . رواه مسلم في صحيحه .

**س** / ما هو الأصل الثالث ؟ .

**جـ** ـ معرفة نبيّنا محمد ﷺ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرّيّة إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ عليه وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة والسّلام .

**س** / كم عمر النّبيّ ﷺ ؟ .

**جـ** ـ ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النّبوّة، وثلاث وعشرون نبيًّا رسولاً، نبئَ بـ ﴿ **إقرأ** ﴾ ، وأرسل بـ ﴿ **المدثر** ﴾، وبلده مكّة .

**س** / بأي شيءٍ بعثه الله ؟ .

**جـ** ـ بعثه الله بالنذارة عن الشرك، وبالدعوة إلى التّوحيد .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **يا أيّها المدثّر ۝ قم فأنذر ۝ وربّك فكبّر ۝ وثيابك فطهّر ۝ والرجز فاهجر ۝ ولا تمنن تستكثر ۝ ولربّك فاصبر** ﴾ .

**س** / ما معنى ﴿ **قم فأنذر** ﴾ ؟ .

**جـ** ـ معناه أنذر عن الشرك وادع إلى التّوحيد .

**س** / ما معنى ﴿ **وربّك فكبّر ۝ وثيابك فطهّر** ﴾ ؟ .

**جـ** ـ معناه عظّم ربّك بالتّوحيد، وطهّر أعمالك عن الشرك .

**س** / ما معنى ﴿ **والرّجز فاهجر** ﴾ ؟ .

**جـ** ـ معناه : اهجر الأصنام . وهجرها : تركها وأهلها، والبراءة منها وأهلها .

**س** / كم أخذ على هذا ﷺ ؟ .

**جـ** ـ أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها عُرج به إلى السّماء وفرضت عليه ﷺ الصلوات الخمس ليلتئذٍ، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة المنوّرة .

**س** / ما هي الهجرة ؟ .

**جـ** ـ هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، ومن بلد البدعة إلى بلد السّنة .

**س** / ما حكم الهجرة ؟ .

**جـ** ـ حكمها أنّها فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، ومن بلد البدعة التي يدعو أهلها إليها إلى بلد السّنّة . وأنّها باقية إلى أن تطلع الشمس من مغربها .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **إنّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنّم وساءت مصيرًا ۝ إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً ۝ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوًا غفورًا** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **يا عبادي الذين آمنوا إنّ أرضي واسعةٌ فإياي فاعبدون** ﴾ .

**س** / ما سبب نزول هاتين الآيتين ؟ .

**جـ** ـ سبب نزول الآية الأولى : أنّ قومًا من أهل مكّة أسلموا وتخلّفوا



عن الهجرة مع رسول الله ﷺ، وافتتن بعضهم وشهد مع المشركين حرب يوم بدر، فأبى الله قبول عذرهم، فجازاهم جهنّم .

وسبب نزول الآية الثانية : أنّ قومـًا من المسلمين كانوا بمكّة لم يهاجروا، فناداهم الله باسم الإيمان، وحضهم على الهجرة .

**س** / ما الدليل على بقاء الهجرة في الحديث ؟ .

**جـ** ـ قوله ﷺ : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التّوبة، ولا تنقطع التّوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » .

**س** / ما الذي أمر ﷺ به بعد أن استقر بالمدينة ؟ .

**جـ** ـ أمر ببقية شرائع الإسلام، من : الزّكاة، والصّوم، والحجّ، والأذان، والجهاد، وغير ذلك من شرائع الإسلام .

**س** / كم أخذ على هذا ﷺ ؟ .

**جـ** ـ أخذ على هذا عشر سنين . وتوفى صلاة الله وسلامه عليه ودينه باقٍ، وهذا دينه، لا خير إلاّ دلّ الأمّة عليه، ولا شرّ إلاّ حذّرها منه .

**س** / ما الخير الذي دلّ الأمّة عليه ؟ وما الشرّ الذي حذّرها عنه ؟ .

**جـ** ـ الخير الذي دلّ الأمّة عليه : التّوحيد وجميع ما يحبّه الله ويرضاه .

والشرّ الذي حذّرها عنه : الشرك وجميع ما يكره الله ويأباه .

**س** / هل بعثه الله لقبيلةٍ مخصوصةٍ أم لجميع النّاس ؟ .

**جـ** ـ بعثه الله إلى كافة النّاس، وافترض طاعته على جميع الثقلين : الجنّ والإنس .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **قل يا أيّها النّاس إني رسول الله إليكم جميعـًا** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجنّ يستمعون القرآن** ﴾ .

**س** / هل أكمل الله به الدين أم كمل بعده ؟ .

**جـ** ـ نعم، كمّل الله به الدين حتى لا يحتاج لشيءٍ من الدين بعده، صلوات الله وسلامه عليه .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ .

**س** / ما الدليل على موته عليه الصّلاة والسّلام ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **إنّك ميّت وإنّهم ميّتون ۝ ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون** ﴾ .

**س** / هل يبعث النّاس بعد موتهم أم لا ؟ .

**جـ** ـ نعم، يبعثون، لقوله تعالى : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتًا ۝ ثمّ يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجًا** ﴾ .

**س** / هل النّاس محاسبون ومجزيون بأعمالهم بعد البعث، أم لا ؟ .

**جـ** ـ نعم، محاسبون ومجزيون بأعمالهم، بدليل قوله تعالى : ﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ .

**س** / ما حكم من كذّب بالبعث ؟ .

**جـ** ـ حكمه أنّه كافر، بدليل قوله تعالى : ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل بلى وربّي لتبعثنّ ثمّ لتنبؤنّ بما عملتم، وذلك على الله يسير** ﴾ .



**س** / بأي شيء أرسل الله الرّسل ؟ .

**جـ** ـ أرسلهم الله بالبشارة لمن وحّد الله بالجنّة، وبالنذارة لمن أشرك بالله بعذاب النّار .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل** ﴾ .

**س** / من أوّل الرّسل ؟ .

**جـ** ـ نوح ـ عليه السلام ـ .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنّبيين من بعده** ﴾ .

**س** / هل بقيت أمّة لم يبعث الله لها رسولاً يأمرهم بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت ؟ .

**جـ** ـ لم تبق أمّة إلاّ بُعث إليها رسولاً، بدليل قوله تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ .

**س** / ما هو الطاغوت ؟ .

**جـ** ـ هو ما تجاوز به العبد حدّه من معبودٍ أومتبوعٍ أو مطاعٍ .

**س** / كم عدد الطواغيت ؟ .

**جـ** ـ كثيرون ورؤوسهم خمسة : إبلس لعنه الله ـ، ومن عُبِدَ وهو راضٍ، ومن دعا النّاس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله .

وقد أمرنا الله أن نكفر بها، ونجتنبها، ونكون من المسلمين .

**س** / ما الدليل على ذلك ؟ .

**جـ** ـ قوله تعالى : ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبيّن الرّشد من الغي ۝ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن با لله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميعٌ عليمٌ** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كلّ أمّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنّا مسلمون** ﴾ .

وهذا هو معنى لا إله إلاّ الله، وفي الحديث : « رأس الأمر الإسلام وعموده الصّلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله » . . . وا لله أعلم .

تَمَّتْ



## الوصية باتباع الصراط المستقيم
## وبمعرفة القواعد الأربع في الإسلام

[ كما قال الله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النّفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ذلكم وصّاكم به لعلّكم تعقلون ۝ ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلّف نفسًا إلاّ وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكرون ۝ وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتّبعوه ولا تتبعوا السّبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون ﴾، وقال تعالى : ﴿ والعصر ۝ إنّ الإنسان لفي خسر ۝ إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ] .

# القـــواعـــد الأربـــع

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن يتولاّك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركًا أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطى شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإنّ هؤلاء الثلاث عنوان السعادة .

اعلم ـ أرشدك الله لطاعته ـ أنّ الحنيفيّة ملّة إبراهيم : أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين، كما قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾[١] [٢] .

فإذا عرفت أنّ الله خلقك لعبادته، فاعلم أنّ العبادة لا تسمّى عبادة إلاّ مع التّوحيد، كما أنّ الصلاة لا تسمّى صلاة إلاّ مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة [٣] .

فإذا عرفت أنّ الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل، وصار صاحبه من الخالدين في النّار؛ عرفت أنّ أهم ما عليك معرفة ذلك، لعلّ الله أنّ يخلصك وينجيك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله

---

(١) سورة الذاريات، آية : ٥٦ .

(٢) قال ابن كثير في تفسيره : ( أي : إنّما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لحتياجي إليهم ) .
أقول : ولا شك أنّ العالم خلق على حالةٍ صالحةٍ للعبادة مستعدّةٍ لها، حيث ركّب الله سبحانه فيهم عقولاً، وجعل لهم حواس ظاهرة وباطنة، إلى غير ذلك من وجود الاستعداد .

(٣) وكالخل إذا خالط العسل، أو السمّ إذا دخل في الجسم، نعوذ با لله من ذلك .



- تعالى - فيه : ﴿ **إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[(١)]، وذلك بمعرفة أربع قواعد، ذكرها الله تعالى في كتابه .

**القاعدة الأولى** : أن تعلم أنّ الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بأن الله - تعالى - هو الخالق الرّازق المدبّر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام [ أي : وأن مجرّد الإقرار لم يدخلهم في الإسلام حتى يضيفوا إلى ذلك إفراد الله بالعبادة ]، والدليل قوله تعالى : ﴿ **قل من يرزقكم من السّماء والأرض أمّن يملك السّمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتّقون** ﴾[(٢)] .

**القاعدة الثانية** : أنهم [ أي : المشركين ] يقولون : ما دعوناهم [ أي : الأولياء ] وتوجهنا إليهم إلاّ لطلب القربة والشفاعة، فدليل القربة [ أي : فدليل أنّ دعاء الأولياء لقصد أن يقرّبوهم إلى الله شرك ] قوله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى إنّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إنّ الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفّار** ﴾[(٣)] .

ودليل الشفاعة [ أي : ودليل أنّ دعاء الأولياء والتّوسل بهم لقضاء الحاجات وتفريج الكربات واتخاذهم شفعاء عند الله شرك ] قوله تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبِّئون الله بما لا يعلم في السّموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عمّا يشركون** ﴾[(٤)] .

**والشفاعة شفاعتان : شفاعةٌ منفيّةٌ، وشفاعةٌ مثبتةٌ** .

**فالشفاعة المنفيّة** : ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاّ الله،

---

(١) سورة النساء، آية : ١١٦ .
(٢) سورة يونس، آية : ٣١ .
(٣) سورة الزمر، آية : ٣ .
(٤) سورة يونس، آية : ١٨ .

والدليل قوله تعالى : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا أنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خلّةٌ ولا شفاعةٌ والكافرون هم الظالمون ﴾[(١)] [(٢)] .

**والشفاعة المثبتة** : هي التي تُطلَب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن [ وهذه الشفاعة لا تطلب إلاّ من الله وحده، لأنها ملك لله وحده، فمن طلبها من غير الله فقد أشرك، وأتى بما يناقض طلبه ويمتنع عليه حصوله، لأن الله لا يرضى إلاّ التّوحيد، ولا يأذن للشفاعة إلاّ للموحدين ] كما قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه ﴾[(٣)]، ﴿ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى ﴾[(٤)]، ﴿ قل لله الشّفاعة جميعًا ﴾[(٥)] [(٦)] .

---

(١) سورة البقرة، آية : ٢٥٤ .

(٢) قال الحافظ عماد الدين المشهور بابن كثير في تفسير هذه الآية : ( يأمر الله ـ تعالى ـ عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ليدخروا ثواب ذلك عند ربّهم ومليكهم، وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدنيا، من قبل أن يأتي يوم ـ يعني : يوم القيامة ـ، لا بيعٌ فيه ولا خلّةٌ ولا شفاعةٌ، أي : لا يباع أحد من نفسه، ولا يفادى بمال لو بذله، ولو جاء بملء الأرض ذهبًا، ولا تنفعه خلّة أحد ـ يعني : صداقته ـ، بل ولا نسابته، كما قال تعالى : ﴿ فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون ﴾، ولا شفاعة أي : ولا تنفعهم شفاعةُ الشافعين . وقوله تعالى : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ مبتدأ محصور في خبر، أي : ولا ظالمٌ أظلم ممّن وافى الله يومئذ كافرًا . وقد روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال : الحمد لله الذي قال : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ ولم يقل والظالمون هم الكافرون ) . والله أعلم .

(٣) سورة البقرة، آية : ٢٥٥ .

(٤) سورة الأنبياء، آية : ٢٨ .

(٥) سورة الزمر، آية : ٤٤ .

(٦) أي : لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عند الله ـ تعالى ـ إلاّ بإذنه له في الشفاعة، لعظمته تعالى وجلاله وكبريائه، كما في حديث الشفاعة : (( آتي تحت العرش، فأخرّ ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثمّ يقال : ارفع رأسك، وقل تسمع، واشفع تُشفّع . قال : فيحدّ لي حدًّا فأدخلهم الجنّة )) . والله أعلم .



**والقاعدة الثالثة** : أنّ النّبيّ ﷺ ظهر في أناس متفرقين في عبادتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشّمس والقمر . وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرّق بينهم، والدليل قوله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنةً ويكون الدين كلّه لله** ﴾[1] .

ودليل أنّ عبادة الشّمس والقمر وسائر الكواكب، واعتقاد أنّ لها تأثيرًا وتصرفات في حوادث العالم السّفلي شرك؛ قوله تعالى : ﴿ **ومن آياته الليل والنّهار والشّمس والقمر لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إيّاه تعبدون** ﴾[2] .

ودليل أنّ عبادة الملائكة شرك؛ قوله تعالى : ﴿ **ولا يأمركم أن تتّخذوا الملائكة والنّبيّين أربابًا** ﴾[3] [4] .

ودليل أنّ عبادة الأنبياء ودعاءهم شرك؛ قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للنّاس اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أنْ أقول ما ليس لي بحق إنْ كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علاّم الغيوب** ﴾[5] .

---

(١) سورة الأنفال، آية : ٣٩ .

(٢) سورة فصلت، آية : ٣٧ .

(٣) سورة آل عمران، آية : ٨ .

(٤) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : ( أي : ولا يأمركم بعبادة أحدٍ غير الله لا نبيّ مرسل ولا ملك مقرَّب، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون أي : لا يفعل ذلك إلاّ من دعا إلى عبادة غير الله، ومن دعا إلى عبادة غير الله، فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون** ﴾ ، وقوله أربابًا أي : آلهةً من دون الله ) والله أعلم .

(٥) سورة المائدة، آية : ١١٦ .

ودليل أنّ عبادة الأولياء والصالحين بدعائهم والاستغاثة بهم والاستعاذة بهم شرك بالله تعالى [ سبحان الله وتعالى عمّا يشركون ] قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾(١) (٢) .

دليل أنّ التبرّك بالأشجار والأحجار وبقبور الأولياء والنّذر، والذّبح لها لقضاء الحاجات وتفريج الكربات، والتّبرك بالعكوف والتعبّد عندها، والتّبرّك بأستارها وأتربتها شرك؛ قوله تعالى : ﴿ **أفرأيتم اللاّت والعزّى ۝ ومناة الثالثة الأخرى** ﴾(٣) (٤) .

---

(١) سورة الإسراء، آية : ٥٧ .

(٢) روى البخاري بسنده عن عبد الله في قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين** ﴾ الآية، قال : ( ناس من الجنّ كانوا يُعْبَدُون فأسلموا )، وعن ابن مسعود قال : ( نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجنّ فأسلم الجنّيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فنزلت هذه الآية ) والله أعلم .

(٣) سورة النجم، آية : ١٩ .

(٤) يقول الله تعالى ذلك مقرعًا المشركين في عبادتهم الأصنام والأوثان والأنداد، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرّحمن ـ عليه السّلام ـ .

وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار وخدمة، وحوله فناء معظّم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش .

والعزى : كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكّة والطائف، وكانت قريش تعظّمها، ولذلك قال أبو سفيان يوم وقعة أحد : ( لنا العزي ولا عزي لكم )، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » .

ومناة كانت بالمشلل عند قديد بين مكّة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتهم يعظّمونها ويهلون منها للحجّ إلى الكعبة .

فبعث النّبيّ ﷺ أناسًا من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلى هدمها : فأرسل خالد بن الوليد سيف الله على المشركين إلى العزي فهدمها، وجعل يقول :

يا عز كفرانك لا سبحانك     إنّي رأيت الله قد أهانك



وحديث أبي واقد الليثي - رضي الله عنه - قال : « خرجنا مع النّبيّ ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها : ذات أنواط . فمررنا بسدرةٍ فقلنا : يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ : « الله أكبر، إنها السّنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى : ﴿ **اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهةً قال إنكم قومٌ تجهلون** ﴾، لتركبن سنن من كان قبلكم » أي : النصارى واليهود [1] . ( رواه الترمذي ) .

**القاعدة الرابعة** : إنّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين، لأن

---

وأرسل المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب إلى اللات فهدماها، وجعلا مكانها مسجدًا بالطائف .

وبعث رسول الله ﷺ إلى مناة أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها، ويقال : هدمها علي بن أبي طالب .

فالنّبيّ ﷺ جاء بالدين الحق، وإخلاص العبودية، وإفراد المعبود بالحق، وإبطال العادات القبيحة، وكل ما يشوبه شيء من الشرك، وجرى على ذلك أصحابه العظام، وتابعه الكرام من بعده، إلى أن اختلط الحابل بالنابل، واستحوذ الشيطان وغواة الباطل على عقول كثير من المسلمين، فجددوا عبادة الأوثان، ولا سيما في عصرنا الحاضر؛ عصر الجهل المركّب والصور المزخرفة، فلقد طَمّ البلاْ وعمّ، والعلماء ساكتون إلاّ من شاء الله . فإنّا لله وإنا إليه راجعون .

(١) الحديث أخرجه الترمذي وصححه، وقوله : « حدثاء عهد بكفر » أي : قريبٌ عهدهم بالكفر والخروج منه للدخول في دين الإسلام، فلم يتمكن الإسلام من قلوبهم . وقوله : « ينوطون » أي : يعلقون بها أسلحتهم تبركًا بها وتعظيمًا لها، وقوله : « ذات أنواط » هو جمع نوط، مصدر سمي به المنوط، أي : المعلق . ظنوا أن هذا الأمر محبوب عند الله، فقصدوا التقرّب به إليه سبحانه، وإلاّ فهم أجلّ قدرًا من أن يقصدوا مخالفة النّبيّ ﷺ . وباقي الحديث مع شرحه لنا مذكور في ( كتاب التّوحيد الذي هو حق الله على العبيد )، فارجع إليه فإنك تجد فيه ما يسرّك . **والله أعلم** .

الأولين يشركون في الرّخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرّخاء والشدة، والدليل قوله تعالى : ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدّين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون** ﴾[1] .

[ لذا نرى كثيرًا ممن يعبدون الأولياء وأضرحة المشايخ والسّادة يخلصون في الشرك بدعائهم والاستغاثة بهم في حال الشدة والرّخاء، بل ربما أنّ بعضهم ليزداد في الشرك كلما اشتد بهم البلاء، بخلاف المشركين الأولين، فإنهم كانوا يشركون بالله في حال الرّخاء والسرور، وفي حال الشدة كانوا يخلصون الدعاء والتّضرّع إلى الله، كما نطق بذلك القرآن الكريم، ومشركو زماننا شركهم في الرّخاء والشدة دائم، يدعون الأولياء ويستغيثون بهم في كل وقت . فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرٍّ هل هنّ كاشفات ضرّه أو أرادني برحمةٍ هل هنّ ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكّل المتوكّلون** ﴾، ويقول تعالى : ﴿ **أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكّرون** ﴾، ويقول تعالى : ﴿ **والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ۝ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** ﴾، ويقول تعالى : ﴿ **ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ۝ وإذا حشر النّاس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ .

والله الموفّق، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله ] .

---

(١) سورة العنكبوت، آية : ٦٥ .

## عقيدة السلف الصالح

لشيخنا العلاّمة المحدّث
الشيخ : محمد الطيّب بن إسحاق الأنصاري المدني - رحمه الله تعالى -

بسم الله الرحمن الرحيم

**وبعد :**

فإنّي أعتقد : أنّ الله إلهٌ واحدٌ لا إله إلاّ هو فردٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .

وأنّه لا يستحق شيئًا من أنواع العبادة غيره، وأنّ من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغيره فهو مشرك كافر .

والعبادة هي : اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، كأركان الإسلام الخمسة، والدعاء، والرّجاء، والخوف، والتوكّل، والرّغبة، والرّهبة، والاستعانة، والاستغاثة، والذّبح، والنّذر، وغير ذلك من أنواع العبادة .

وأنّه سبحانه موصوف ومسمّى بجميع ما وصف به نفسه وسمّاه به، وما وصفه وسمّاه به رسول الله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وصفًا حقيقيًا لا مجازًا .

ومنه : استواؤه على عرشه، أي : علوّه عليه بذاته، بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، كما قال تعالى : ﴿ **الرّحمن على العرش استوى** ﴾ .

وأنّه متكلّم بكلام قديم النوع حادث الآحاد، كما نقل عن السلف، أنّهم يقولون : ( لم يزل متكلمًا، ويتكلّم إذا شاء ) .

ومن كلامه : القرآن، وهو اللفظ المنزل على محمد ﷺ للتعبّد به والإعجاز، الذي سمعه جبريل عليه السّلام من الله ـ تعالى ـ بلا واسطة، وأنزل على محمد ﷺ بحروفه ومعانيه كما سمعه من ربّه ـ عزّ وجلّ ـ، وليس هو بعبارة : من جبريل ولا محمد ﷺ، وكيفما تصرف فهو كلام الله .

وأنّه سبحانه يتكلّم بحرفٍ وصوتٍ كما نادى موسى لّما أتى الشجرة : ﴿ **إنّي أنا ربّك فاخلع نعليك إنّك بالوادي المقدّس طوى** ﴾، وينادي عباده يوم القيامة بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : « أنا الملك، أنا الديّان »، وأنّ مثل هذا مما يخاطب به رسله وملائكته ومن شاء من عباده، أو ينزل عليهم من كتبه من آحاد كلامه الغير الأزلي، ولكنّه غير مخلوق، لأنه من صفاته، وصفاته كلّها غير مخلوقة .

وأنّه سبحانه يحبّ ويرضى ويكره، وينزل، ويحيي ويميت، ويسخط، ويفرح بتوبة عبده أشدّ فرح .

وأنّه سبحانه يراه المؤمنون يوم القيامة بأبصارهم كما دلّت عليه الآيات والأحاديث الصحيحة . وكل هذا وما أشبهه صفات له حقيقيّة لا مجازيّة ـ كما أثبتها الكتاب والسنّة ـ، كما قال تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد ۝ الله الصّمد ۝ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ .

فهذا هو ما نعتقده وندين الله في أسمائه وصفاته، بلا تكييف، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، كما قال تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

ونشهد أنّ محمدًا عبده، ورسوله إلى جميع الثقلين الجنّ والإنس، وأنّه بلّغ الرّسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمّة، و لم يزل مجاهدًا في سبيل الله حتى كمّل



الله به الدين، كما قال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾، ثم استأثر به ربّه، وألحقه بالرّفيق الأعلى، وفارق الدنيا وأهلها .

وأنّه لا يؤمن أحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به، وحتى يكون هو أحبّ إليه من نفسه وولده والنّاس أجمعين .

وأنّ معنى محبّته ﷺ : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلاّ بما شرع، لا إطراؤه والغلو فيه ورفعه عن منزلته التي أنزله الله ـ عزّ وجلّ ـ؛ بدعائه والاستغاثة به، فقد قال ﷺ : « الدعاء هو العبادة »، وقال عليه الصّلاة والسّلام : « أنّه لا يستغاث بي وإنّما يستغاث با لله عزّ وجلّ »، وأنّ الاستغاثة به ـ فضلاً عن غيره من الأولياء وأصحاب المشاهد ـ شرك با لله ـ تعالى ـ .

والتّعلّق بغير الله ـ تعالى ـ في جلب خير أو دفع شر، استقلالاً أو وسيطًا؛ شرك [ أي : وأنّ تعلّق القلب بالأولياء أو الجنّ بالتوكّل عليهم، والالتجاء إليهم، ومراقبة روحانياتهم بأنواع من النّسك، في قضاء الحاجات وتفريج الكربات؛ شرك بالله ـ تعالى ـ، سواء كان ذلك باسم الطلسمات أو التّوسلات، كل ذلك شرك وضلال، ما أنزل الله الكتاب ولا أرسل الرّسول إلاّ لإبطالها، وإبادة جذورها، وتطهير القلوب منها . فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله ] .

ونعتقد : أنّ الملائكة وكتب الله حق، والنبيين حق، والبعث بعد الموت حق، والجنة حق، والنّار حق .

ونؤمن أنّ الميزان حق، وأنّ حوض نبيّنا محمد ﷺ حق، لا يضمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدّل وغيّر .

ونؤمن بالقدر خيره وشرّه .

ونعتقد : أنّ شفاعة نبيّنا محمد ﷺ وجميع الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسّلام ـ والصالحين حق، لكن بعد إذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له، قال تعالى : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى** ﴾، وأنّ نبيّنا محمدًا ﷺ هو أوّل شافع وأوّل مشفّع، وأنّه قد خصّ بشفاعات لا يشاركه فيها غيره :

أوّلها : الشفاعة في فصل القضاء، وهو المقام المحمود الذي يغبطه به الأنبياء والمرسلون .

ومنها : الشفاعة في إخراج من أُدخل النّار [١] .

ومنها : الشفاعة في تسريحهم إلى الجنّة بعدما نُقُّوا وهُذِّبُوا .

ونعتقد : أنّ خير القرون القرن الذي اجتمعوا مع رسول الله ﷺ مؤمنين به وهم أصحابه، ثم الذين اتبعوهم بإحسان، كما قال ﷺ : « خير القرون قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم » .

ونعتقد : أنّ أحسن الكلام كلام الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل بدعةٍ ضلالةٍ .

هذا، ولولا خشية الإطالة لأتينا بدليل كلّ مسألةٍ من هذه المسائل من كتاب الله وسنّة رسوله عليه الصّلاة والسّلام، وإجماع السّلف الصالح .

---

(١) **الصواب** : أنّ الشفاعة في إخراج من دخل النّار بذنوبه ليست خاصة بالنّبيّ ﷺ، بل هي من الشفاعة المشتركة، كما يعلم ذلك من الأحاديث المستفيضة عن النّبيّ ﷺ، وإنما الذي يخصّه عليه الصّلاة والسّلام بعد الشفاعة العظمى الشفاعة في دخول أهل الجنّة، كما صرّح به الحديث عنه عليه الصّلاة والسّلام، وهكذا الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمّه أبي طالب من خصائصه عليه الصّلاة والسّلام، والله الموفّق .

**قاله : عبد العزيز بن عبد الله بن باز**، رئيس الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، وفقه الله لكل خير .



ونسأل الله - تعالى - أن يهدينا صراطه المستقيم في جميع الأقوال والأعمال، ويعصمنا من مضللات الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويثبّتنا ويتوفّانا على الإسلام . وصلّى الله على نبيّنا محمّد وآله وسلّم [1].

**هذه العقيدة السّلفية التي كتبها الشيخ :**

محمد الطّيب بن إسحاق الأنصاري

**- رحمه الله تعالى -**

**بالمدينة المنوّرة، سنة ١٣٥٨ هـ**

**المتوفى بها في ١٣٦٣/٦/٧ هـ**

ولإخوانه المسلمين

---

(١) **استدراك** : أيّها القارئ الكريم، تجد في هذه النّسخة تعليقات توضيحيّة بين قوسين هكذا [ ] هي للنّاشر، وتعليقات على القواعد الأربع لفضيلة الشيخ : محمد منير الدّمشقي - رحمه الله -، وتعليقًا في ( ص ٩٢ ) لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئيس الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة، وفقه الله وعفا عنه .
وفي آخرها الصّلاة والمحافظة عليها، هي أيضًا للنّاشر - عفا الله عنه - .

**أحد طلبة العلم بالمسجد الحرام**

## الصلاة والمحافظة عليها

أخي المسلم : هدانا الله وإياك صراطه المستقيم، ورزقنا الاستقامة عليه، حتى نلقى الله - تعالى - غير ضالين ولا مفتونين .

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيّنا محمد وآله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

**وبعد :**

فاعلم أنّ الصّلاة هي أعظم ركن من أركان الإسلام الخمسة، التي أوّلها : شهادة أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمدًا رسول الله . وثانيها : إقام الصّلاة . وثالثها : إيتاء الزّكاة . ورابعها : صوم رمضان . وخامسها : حجّ بيت الله لمن استطاع إليه سبيلاً .

وقد جعل الله للصّلاة أهميّة وميّزةً خاصة، فهي صلة بين العبد وربّه، وجعلها الله مقرونةً بالشهادتين في معظم آي القرآن الكريم، فمن تعمّد ترك الصّلاة فقد نقض إسلامه، وارتدّ - والعياذ بالله - . كما لا تصحّ الصّلاة إلاّ بعد الإقرار بالشهادتين مع العلم بمعناها ومقتضاها .



# فصل

## في معنى الشهادتين

فمعنى لا إله إلاّ الله : لا معبود بحق إلاّ الله، وحده لا شريك له في عبادته، كما أنّه ليس له شريك في ملكه .

ومقتضاها : أنّ لا نعبد إلاّ الله، ولا نشرك به شيئًا، ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله، ولا نترك فرائض الله، كما أنّنا لا نتعدّى حدوده، ولا ننتهك محارمه .

ومعنى شهادة أنّ محمدًا رسول الله هو : العلم والاعتراف بأنّ محمدًا بن عبد الله بنِ عبد المطلّب بن هاشم القرشي، عبد الله ورسوله، أرسله الله إلى النّاس كافةً بالهدى ودين الحق، الباقي إلى قيام السّاعة، ولا نبيّ بعده .

ومقتضاها : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا نعبد الله إلاّ بما شرعه، عليه الصّلاة والسّلام .

وأنّ طاعته واتّباع هديه فريضة على جميع الأمّة، فمن أطاعه دخل الجنّة، ومن عصاه واتّبع هدى غيره دخل النّار، قال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيّمة** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتّخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **اتّبعوا ما أُنزل إليكم من ربّكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكّرون** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **إنّا أرسلنا إليكم رسولاً شاهدًا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرّسول فأخذناه أخذًا وبيلاً** ﴾ .



## فصل

## في الأدلّة على أهمّية الصّلاة والمحافظة عليها

قال تعالى : ﴿ حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾، وقال تعالى : ﴿ إنّ الصّلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا ﴾، أي : مفروضًا في وقتها، لا يجوز تأخيرها عن وقتها، كما لا يصحّ تقديمها قبل وقتها، إلاّ من نسى صلاة أو نام عنها فليصلّها إذا ذكرها، لحديث أنس ـ رضي الله عنه ـ : « من نسى صلاة فليصلّها إذا ذكرها، لا كفّارة لها إلاّ ذلك » . متفق عليه .

فإنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول : ﴿ أقم الصّلاة لذكري ﴾ .

وقد وعد الله المحافظين على الصّلاة بالسّلامة والكرامة في الدنيا والآخرة بقوله تعالى : ﴿ إنّ الإنسان خلق هلوعًا ۝ إذا مسّه الشرّ جزوعًا ۝ وإذا مسّه الخير منوعًا ۝ إلاّ المصلّين الذين هم على صلاتهم دائمون ۝ والذين في أموالهم حقّ معلوم ۝ للسائل والمحروم ۝ والذين يصدّقون بيوم الدين ۝ والذين هم من عذاب ربّهم مشفقون ۝ إنّ عذاب ربّهم غير مأمون ۝ والذين هم لفروجهم حافظون ۝ إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين ۝ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ۝ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ۝ والذين هم بشهاداتهم قائمون ۝ والذين هم على صلاتهم يحافظون ۝ أولئك في جنّات مكرمون ﴾، وقال تعالى : ﴿ أقم الصّلاة لدلوك الشّمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهودًا ﴾، وقال تعالى : ﴿ أقم الصّلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إنّ الحسنات يذهبن السّيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴾، وقال تعالى : ﴿ وأقم الصّلاة إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : يا رسول الله، أي الأعمال أفضل ؟، قال : « الصّلاة في أوّل وقتها » . قلت : ثمّ أي ؟، قال : « برّ الوالدين » . قلت : ثمّ أي ؟، قال : « الجهاد في سبيل الله » متّفق عليه .

ومن المحافظة على الصّلاة : أداؤها في وقتها مع الجماعة في المساجد حيث يؤذّن لها، قال تعالى : ﴿ **حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾ أي : خاشعين مطيعين لله كما أمرنا الله مع الجماعة .

وقد أجمع الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ على أنه لا يحافظ على الصّلوات الخمس مع الجماعة إلاّ مؤمن، ولا يتخلّف عنها إلاّ منافق معلوم النّفاق، كما قال الخليفة الرّاشد عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ : ( من حافظ على الصّلوات الخمس فقد حفظ دينه، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع ) .

وقد قال ﷺ : « من سرّه أن يلقى الله تعالى غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصّلوات حيث ينادى بهنّ » ثمّ قال راوي الحديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : ( ولقد رأيتنا وما يتخلّف عن الصّلاة في الجماعة إلاّ منافقٌ معلوم النّفاق أو مريض ) .

فهي عمود الإسلام، وشعار الإيمان، ولا إسلام ولا إيمان لمن ترك الصّلاة، كما قال النّبيّ ﷺ : « بين العبد والكفر ترك الصّلاة »، وقال ـ أيضًا ـ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصّلاة فمن تركها فقد كفر » رواهما مسلم .

وقد ذكر الله ـ سبحانه ـ مصير المتخلّفين عن الصّلاة، وحكم مضيّعها، فقال عزّ من قائل : ﴿ **ما سلككم في سقر ۞ قالوا لم نك من المصلّين ۞ ولم نك نطعم المسكين ۞ وكنّا نخوض مع الخائضين ۞ وكنّا نكذّب بيوم الدين ۞ حتى أتانا اليقين ۞ فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **وأقيموا الصّلاة ولا تكونوا من المشركين** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **وأن أقيموا الصّلاة واتّقوه وهو الذي إليه تحشرون** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصّلاة وآتوا**



**الزّكاة فإخوانكم في الدين ﴾** .

فجعل سبحانه التّوبة وإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة شرطًا في الأخوة الدينية والدخول في الإسلام، ومن لم يقم الصّلاة فهو لما سواها أضيع، وهي أوّل ما يحاسب عنه من أعماله يوم القيامة، فإن صلحت نظر في سائر عمله، وإن فسدت رُدّت ورُدّ سائر عمله .

وقد اتّفق علماء السّلف على قتل من أضاع الصّلاة وأصرّ على تركها بعد الاستتابة .

هذا، وإنّ من أقبح المنكرات الظاهرة التي توجب العقوبة؛ ما ابتلى به الكثير من النّاس : التثاقل عن الصّلوات، والتهاون بأدائها مع الجماعة في المساجد، ولا شك أنّ هذا من أفسد خصال المنافقين، قال تعالى : ﴿ **إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصّلاة قاموا كسالى يراءون النّاس ولا يذكرون الله إلاّ قليلاً** ﴾ .

ومن إضاعتها : تأخيرها عن وقتها، كما قال تعالى : ﴿ **فويلٌ للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا** ﴾ والغيّ : وادٍ في جهنّم، لو سيّرت فيه الجبال لذابت من شدّة حرّها، أعاذنا الله من ذلك .

ومن إضاعة الصّلاة : ترك الجماعة مع القدرة على ذلك، وقد قال عليه الصّلاة والسّلام : « من سمع النّداء فلم يجب فلا صلاة له إلاّ من عذر » . وقال ـ أيضًا ـ : « من سمع النّداء فلم يجب صُبّ في أذنيه الآنك يوم القيامة » ، والآنك : الرّصاص المذاب في النّار يوم القيامة، أعاذنا الله من ذلك .

ومن إضاعة الصّلاة : نقرها وعدم الاطمئنان فيها في الرّكوع والسّجود، ومسابقة الإمام فيها، ومن سابق الإمام فلا وحده صلّى ولا بإمامه اقتدى، وناصيته بيد شيطان، وأنّ نقر الصّلاة وعدم الاطمئنان فيها ومسابقة الإمام فيها منافٍ للخشوع، الذي هو ثمرة الصّلاة وروحها، وقد لا تقبل الصّلاة



بدون خشوع، فإنّ من أسباب الخشوع في الصّلاة : سكون الأعضاء، واطمئنان الجوارح، وحفظ العين، والتزام المتابعة لصفة صلاة النّبيّ ﷺ، واستحضار القلب بوقوفه بين يدي ربّه يناجيه سبحانه . فينبغي للمصلّي أن يتدبّر معاني ما يقرأه في صلاته، فيجعل قلبه حاضرًا، ويقرأ ويركع ويسجد معه سويًا، فيحصل له من الخشوع ولذّة المناجاة ما ينال به نصيبه من القبول، فإنّها ستكون بذلك قرّة عينه، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهذا مقام الإحسان، والله المستعان، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

فصلاةٌ تخلو من هذا المعنى حريٌّ بأن تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها، وتقول : ضيّعك الله كما ضيّعتني، كما صحّ ذلك عن النّبيّ ﷺ، ويشير إلى هذا قوله تعالى : ﴿ **فويلٌ للمصلّين ۞ الذين هم عن صلاتهم ساهون ۞ الذين هم يراءون ۞ ويمنعون الماعون** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشّهوات فسوف يلقون غيًا** ﴾، لأنّ الله - تعالى - يقول : ﴿ **أقم الصّلاة لذكري** ﴾ .

فاتقوا الله عباد الله، وأخلصوا العبادة لله وحده، وحافظوا على الصّلوات الخمس مع الجماعة بالإحسان والخشوع كما أمركم الله، ووصّاكم أن تعتصموا به تنجوا وتفلحوا، كما قال تعالى : ﴿ **وما أُمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيّمة** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **حافظوا على الصّلوات والصّلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾ أي : خاشعين مطيعين، وقال تعالى : ﴿ **قد أفلح المؤمنون ۞ الذين هم في صلاتهم خاشعون ۞ والذين هم عن اللغو معرضون ۞ والذين هم للزّكاة فاعلون ۞ والذين هم لفروجهم حافظون ۞ إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ۞ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ۞ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ۞ والذين هم على صلواتهم يحافظون ۞ أولئك هم الوارثون ۞ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير**

**لعلّكم تفلحون ۞ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرّسول شهيدًا عليكم وتكونوا شهداء على النّاس فأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة واعتصموا با لله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النّصير** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلّكم تفلحون** ﴾ .

واعلم يا أخي : أنّ من شرط صحّة الصّلاة : الوضوء قبلها لمن كان محدثًا، كما قال تعالى : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصّلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين** ﴾ الآيات .

وتفصيل ذلك في الحديث الصّحيح في صفة وضوء النّبيّ ﷺ : عن حمران مولى عثمان، أنّ عثمان ـ رضي الله عنه ـ دعا بوضوء، فغسل كفيه ثلاث مرّات، ثمّ تمضمض واستنشق واستنثر ثلاثًا، ثمّ غسل وجهه ثلاث مرّات، ثمّ غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرّات، ثمّ غسل اليسرى مثل ذلك، ثمّ مسح رأسه ـ أي : مسح جميع رأسه مرّة واحدة مع الأذنين ـ، ثمّ غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرّات، ثمّ اليسرى مثل ذلك، ثمّ قال : ( رأيت رسول الله ﷺ توضّأ نحو وضوئي هذا ) . متّفقٌ عليه .

ثمّ تقول عند فراغك من الوضوء : « أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله » .

[ ثمّ تهيأ للصّلاة كما أمرك رسول الله ﷺ حيث قال ] : « إذا قمت إلى الصّلاة فكبّر، ثمّ اقرأ ما تيسّر معك من القرآن، ثمّ اركع حتى تطمئن راكعًا، ثمّ ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثمّ اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثمّ افعل ذلك في صلاتك كلّها » متفقٌ عليه . وفي رواية قال ﷺ : « إذا أردت أن تصلّي فتوضأ وأحسن وضوءك، ثمّ استقبل القبلة فكبّر، ثمّ اقرأ بأم القرآن »

متفقٌ عليه . أم القرآن هي : الفاتحة، قال ﷺ : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » متفقٌ عليه .

وفي حديث آخر قال ﷺ : « ما من رجلٍ يتطهّر فيحسن الطهور، ثمّ يعمد إلى مسجدٍ من هذه المساجد، إلاّ كتب الله له بكل خطوةٍ حسنة، ويحطّ عنه بها سيّئة » رواه مسلم، وذلك تأويل قوله تعالى : ﴿ **إنّ الحسنات يذهبن السّيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ .

نسأل الله ـ تعالى ـ لنا ولكم الهداية والاستقامة، والتّوفيق لما يحبّه ويرضى، فإنّه نعم المولى ونعم النّصير، ولا حول ولا قوّة إلاّ با لله .

## فصل

## نبذة من صفة الصلاة خلف رسول الله ﷺ

إذا تبيّن لك هذا، فاعلم أيّها الأخ المسلم أنك إذا قمت إلى الصّلاة فأحسن وضوءك كما تقدّم لك في الحديث السابق، وتأكد تمامًا من طهارة بدنك، ومكان الصّلاة، ولباسك السّاتر لجميع العورة على الوجه المطلوب .

ثمّ استقبل القبلة فكبّر، فقل : الله أكبر، رافعًا يديك حذو منكبيك، ثمّ ضعهما على صدرك كما صحّ ذلك من فعل النّبيّ ﷺ إذا قام إلى الصّلاة .

ثمّ اقرأ الفاتحة فتقول : أعوذ با لله من الشيطان الرّجيم، ﴿ **بسم الله الرّحمن الرّحيم** ﴾ ﴿ **الحمد لله ربّ العالمين ۞ الرّحمن الرّحيم ۞ مالك يوم الدين ۞ إيّاك نعبد وإيّاك نستعين ۞ إهدنا الصراط المستقيم ۞ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالين** ﴾ آمين . ثمّ تقرأ بعد ذلك ما تيسّر معك من القرآن .

ثمّ اركع رافعًا يديك حذو منكبيك قائلاً : ( اللّٰه أكبر )، حتى تستوي راكعًا، وتقول في الركوع : ( سبحان ربّي العظيم ) ثلاثًا .

ثمّ ارفع رأسك رافعًا يديك قائلاً : ( سمع اللّٰه لمن حمده ) حتى تعتدل قائمًا، فتقول : ( ربّنا ولك الحمد، ملء السّموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد ) .

ثمّ أَهْوِ إلى السجود قائلاً : ( اللّٰه أكبر )، فتضع ركبتيك وكفيك وجبهتك مع الأنف وبطون قدميك على الأرض، وتقول في سجودك : ( سبحان ربّي الأعلى ) ثلاثًا .

ثمّ ارفع رأسك قائلاً : ( اللّٰه أكبر ) حتى تجلس معتدلاً، وواضعًا يديك على فخذيك فتقول : ( اللّهم اغفر لي وأرحمني واهدني وارزقني وتب عليّ وعافني ) .

ثمّ اسجد السّجدة الثانية مثل الأولى .

ثم انهض للركعة الثانية قائلاً : ( اللّٰه أكبر ) حتى تستوي قائمًا، فاصنع في الرّكعة الثانية مثل ما صنعت في الرّكعة الأولى، بالاطمئنان التام والخشوع، كما قال ﷺ : « صلّوا كما رأيتموني أُصلّي »، لأنّ اللّٰه يقول لنبيّه وللمؤمنين : ﴿ **قد أفلح المؤمنون ۝ الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ .

وهنا نوضح لك أيّها الأخ المسلم ـ رحمك اللّٰه ـ أنّ للصلاة شروطًا وأركانًا يجب عليك تعهدها والإتيان بها في صلاتك، كما يعلم ذلك من صلاة النّبيّ ﷺ ووصيته، حيث قال : « صلّوا كما رأيتموني أُصلّي » متفق عليه .

**فشروط الصّلاة تسعة** : الإسلام، والعقل، والتمييز، ورفع الحدث ـ وهو الوضوء المعروف ـ، وإزالة النّجاسة من البدن والثوب والمكان، وستر العورة، ودخول وقت الصّلاة، واستقبال القبلة، وإخلاص النيّة للّٰه ـ عزّ وجلّ ـ .

**وأركان الصّلاة أربعة عشر** : القيام للصّلاة مع القدرة، وتكبيرة الاحرام، وقراءة الفاتحة ـ كما سبق ذكرها ـ، والرّكوع، والاعتدال منه، والسّجود



على الأعضاء السّبعة، والرّفع منه، والجلسة بين السّجدتين، والإطمئنان في جميع الأركان، والترتيب، والتّشهّد الأخير، والجلوس له، والصلاة على النّبيّ ﷺ، والتسليمتان .

كما يجب عليك أن تقتدي بإمامك في جميع صلاتك، ولا تختلف عليه، ولا تسابقه لا في الأركان ولا في الواجبات والسّنن، وحافظ على الخشوع والإطمئنان التام، والمتابعة خلف إمامك في الصّلاة .

ولاحظ ـ كما لا يخفاك ـ أنّ عدد ركعات الصّلوات الخمس كما يلي :

١ ـ الصبح ركعتان . ٢ ـ الظهر أربع ركعات .
٣ ـ العصر أربع ركعات . ٤ ـ المغرب ثلاث ركعات .
٥ ـ العشاء أربع ركعات .

فإذا صلّيت الصبح فاجلس للتخيّات كما سيأتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ، وإذا صلّيت الركعتين من المغرب والعشاء والظهر والعصر فاجلس للتحيات الأولى، فتقول : « التّحيات لله والصّلوات الطيبات، السّلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته، السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين، أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله » .

ثمّ انهض إلى الرّكعة الثالثة من المغرب وإلى الثالثة ثمّ الرابعة من العشاء والظّهر والعصر .

حتى إذا صرت في آخر ركعة من صلاتك فاجلس للتحيات الأخيرة، فقل كما كان رسول الله ﷺ يعلّم أصحابه فتقول : « التّحيات لله والصّلوات الطيبات، السّلام عليك أيّها النّبيّ ورحمة الله وبركاته، السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين، أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبد الله ورسوله » « اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم . اللّهم بارك على محمد وعلى



آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنّك حميدٌ مجيدٌ »، ثمّ لتختر من الدعاء ما وفقك الله لخيري الدنيا والآخرة . وتقول كما عَلّمَ رسول الله ﷺ أبا بكر الصدّيق ــ رضي الله عنه ــ أن يدعو الله في آخر صلاته، فتقول : « اللّهم ربِّ إنّي ظلمت نفسي ظلمـًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلاّ أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنّك أنت الغفور الرّحيم » « اللّهم إنّي أعوذ بك من الكفر والنّفاق، ومن عذاب القبر، ومن عذاب النّار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدّجال » .

ثمّ سلّم عن يمينك قائلاً : « السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته »، وعن يسارك : « السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

[ وإذا كنت في سفر ] فأقصر الصّلاة الرباعيّة ركعتين حتى ترجع من سفرك، وإذا جدّ بك السّير في السفر فاجمع بين المغرب والعشاء في وقت أحدهما، وكذلك الظهر والعصر في وقت أحدهما، مع قصر الرباعيّة جمع تقديم أو تأخير؛ رخصة من الله - عزّ وجلّ - .

ثمّ تقول عقب التّسليم : « أستغفر الله » ثلاثـًا، « أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم وأتوب إليه » « لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير » « لا إله إلاّ الله ولا نعبد إلاّ إيّاه، له النّعمة وله الفضل وله الحمد وله الثناء الحسن » « لا إله إلاّ الله مخلصين له الدين ولو كَره الكافرون » « ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم » « اللّهم أنت السّلام ومنك السّلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام » « اللّهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » « اللّهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » . ثمّ تقول : « سبحان الله » ثلاثـًا وثلاثين، و« الحمد لله » ثلاثـًا وثلاثين، و« الله أكبر » ثلاثـًا وثلاثين، وتقول تمام المائة : « لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير » . وتكرر : « لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له



الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير » عشر مرّات عقب صلاة المغرب، وعقب صلاة الصّبح، كما صحَّ ذلك عن النّبيّ ﷺ، ثمّ تنصرف .

وكان رسول الله ﷺ إذا سلّم استغفر ثلاثًا، ثمّ ينصرف بوجهه إلى المأمومين وهو جالس، فيذكر الله ويسبّحه ويحمده ويكبّره، ويقول : « لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير » ثمّ ينصرف حيث يأمره الله .

اللّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم . اللّهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنّك حميدٌ مجيدٌ .

## فصل

## في شروط لا إله إلاّ الله

**وهي سبعة :**

**الأول** : العلم المنافي للجهل . فيعلم معناها ومقتضاها : بأن لا معبود بحق إلاّ الله وحده، فلا نعبد إلاّ الله، ولا نشرك به شيئًا .

**الثاني** : اليقين المنافي للشك في ذلك .

**الثالث** : الإخلاص المنافي للشرك في ذلك .

**الرّابع** : الصدق مع الله المنافي للنفاق في ذلك .

**الخامس** : المحبّة لتوحيد الله المالك المنعم المتفضّل خالصًا من القلب، المنافية للبغض لشيءٍ من الإسلام .

**السادس** : القبول لأوامر الله وأوامر رسول الله ﷺ بدون إنكار ولا تردد .

**السابع** : الإنقياد لها المنافي للترك، فيقوم بمقتضى لا إله إلاّ الله بالقبول والرضى .

## فصل

## في نواقض الإسلام، أعاذنا الله من ذلك

**وهي عشرة :**

١ ـ الشرك بالله . فمن أشرك أحدًا في عبادة الله فقد نقض الإسلام وكفر .

٢ ـ من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أويستغيث بهم، فقد كفر وأشرك .

٣ ـ من اعتقد أنّ غير هدى الرّسول ﷺ أكمل من هديه، أو حُكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يُفضِّل حكم الطواغيت على حكمه، من اعتقد هذا فقد كفر .

٤ ـ من أبغض شيئًا ممّا جاء به النّبيّ ﷺ فقد كفر، ولو عمل به ظاهرًا .

٥ ـ من لم يكفِّر المشركين أو شكّ في كفرهم، أو صحّح مذهبهم الباطل؛ فقد كفر، كحال الأكثرين الذين يسافرون إلى الخارج لموالاة أهل الكفر، والأخذ عنهم علومهم الفاسدة .

٦ ـ من استهزأ بشيء من دين الله أو بثوابه أو عقابه فقد كفر، كالذي يستنكر ويستهزئ بإقامة الحدود التي أنزلها الله في الكتاب لحفظ الأمن والحياة ،مثل : القصاص، وقطع يد السارق، وما إلى ذلك .

٧ - السِّحْر وأنواعه، فمن فعل ذلك أو رضي به فقد كفر .

٨ - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، فمن قام بذلك فقد كفر .

٩ - من اعتقد أنّ بعض النّاس يسعه الخروج عن شريعة رسول الله ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى - عليهما السلام - فقد كفر، كحال مشايخ الطرق الصوفيّة الدجّالين .

١٠ - الإعراض عن دين الله - تعالى - لا يتعلمه ولا يعمل به، ولا يريد بعلمه إلاّ الحياة الدنيا، كحال الأكثرين من أهل الدراسات اليوم، فإنّ هذا كفر بالله وباليوم الآخر، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله، كما قال تعالى - في سورة يونس، آية ٧ - : ﴿ **إنّ الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النّار بما كانوا يكسبون** ﴾، وقال تعالى - في سورة هود، آية ١٤ - : ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ۞ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النّار وحبط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون** ﴾ .

نسأل الله - سبحانه وتعالى - العفو والعافية، والهداية والتّوبة، وحسن الخاتمة على الإسلام، والنّجاة من النّار .

وكما نسأله سبحانه أنّ يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، وتابعةً لسنّة نبيّه محمد، عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم، وعلى جميع الآل والأصحاب وأتباعهم بإحسان إلى يوم الجزاء والحساب .

والله أعلم .

والحمد لله ربّ العالمين .

# كشف الشبهات
# في التوحيد

تأليف الإمام

محمّد بن عبد الوهّاب

المتوفى سنة ١٢٠٦ هجرية

- رحمه الله تعالى -

علّق عليها وضبطها وراجع أصولها وصحّحها

السلفي الشهير

محمّد منير الدمشقي الأزهري

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله القائل : ﴿ **يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم الّذي خلقكم والّذين من قبلكم لعلّكم تتقون ۝ الّذي جعل لكم الأرض فراشًا والسّماء بناءً وأنزل من السّماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون** ﴾، والقائل : ﴿ **وقال ربّكم ادعوني استجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين** ﴾، والقائل : ﴿ **فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشركْ بعبادة ربّه أحدًا** ﴾ .

والصّلاة والسّلام على نبيّه المصطفى ورسوله المجتبى القائل : « إنّ أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وإن ما تدعون لآتٍ وما أنتم بمعجزين »، والقائل : « من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النّار »، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، وسلّم تسليمًا كثيرًا .

**أمّا بعد :**

فيقول صاحب إدارة الطباعة المنيريّة : محمد منير عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهري :

( قد كثر القيل والقال في عصرنا الحاضر بين عوام النّاس وبعض قاصري العلم من الطلاب في مذهب الوهابيّة، هل لهم مذهب جديد غير ما دوّنه أئمة الفقه الأعلام كالشافعي ومالك ؟، أو ينسبون إلى مذهب إمام متقدّم صاحب قول ومذهب يعتمد قوله ويحبّذ رأيه ؟ .



وفي هذا العصر، الجهل ضارب أطنابه وأهله كثيرون، والعقلاء [ الذين يَزِنُونَ أقوال العلماء ويفقهونها، وينزلون الأحكام على الحوادث الواقعة، ويمعنون النّظر في الحكم والمصالح المشتملة عليها، وما غرض الشارع منها إلى غير ذلك كما هو دأب الناظرين المحققين المصنفين ] قليلون .

فأسأل الله الحليم أن يلطف بالأمّة ويهديها صوابها، ويكثر من النّبغاء العاملين فيها، إنه جواد كريم، وبالمؤمنين رءوف رحيم .

لا شك أنّ من اطّلع على الكتب التي نشرت بواسطة جلالة الملك ابن سعود وطبعت على نفقته، يتحقق يقينًا أنّ مذهب من ينتسب إلى الوهابية مذهب الإمام أحمد بن حنبل، الورع الصالح، إمام أئمة الحديث في عصره، والقدوة في وقته في الفروع الفقهيّة، لأن جلّ ما طبع ونشر بواسطة جلالته فقه في مذهب السّادة الحنابلة، أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، وفي الأصول عقيدة أصحاب الأثر وعلماء الحديث من الصحابة والتابعين وتابعي تابعيهم، ولذلك أكثر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التآليف في ذلك، وقد نشرت إدارة الطّباعة المنيريّة كثيرًا من مؤلفاته الدّالة على مذهبه وعقيدته، ولا ريب في أنها كلها موافقة لما كان عليه السّلف الصّالح، رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد ظفرت أخيرًا برسالة من تأليف الإمام المذكور، أسماها : ( كشف الشبهات في التّوحيد )، تدل على مبدئه ومقصده، فقمت بتصحيحها وضبط كلماتها، والتّعليق عليها بما يسهّل فهمها لطالبي العمل على الصراط المستقيم .

والله أسأل الأجر والثواب .



# كشف الشبهات في التوحيد

بسم الله الرّحمن الرّحيم

وبه نستعين

اعلم ـ رحمك الله ـ أنّ التّوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الرّسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده .

فأولهم نوحٌ عليه السّلام، أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين : ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر [١] .

وآخر الرّسل محمد ﷺ، وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله إلى قوم يتعبّدون ويحجّون ويتصدّقون ويذكرون الله، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون : نريد منهم التقرّب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده . مثل الملائكة، وعيسى، ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمدًا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرّب والاعتقاد محض حق الله، لا يصلح منه شيء لا لملكٍ مقربٍ ولا لنبيٍ مرسلٍ، فضلاً عن غيرهما . وإلاّ فهؤلاء المشركون يشهدون

---

(١) قال البخاري في صحيحه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا** ﴾ : ( عن ابن عبّاس : أن هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمّا هلكوا أوحى الشّيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمّوها بأسمائهم . ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت ) . قال ابن عبّاس : ( وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد) وهكذا قال عكرمة، والضّحاك، وقتادة، ومحمد بن إسحاق .

أن الله هو الخالق وحده لا شريك لـه، وأنـه لا يـرزق إلاّ هـو، ولا يحيـي إلاّ هو، ولا يميت إلاّ هو، ولا يدبّـر الأمـر إلاّ هـو، وأن جميـع السّـموات ومـن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن؛ كلهم عبيده، وتحت تصرّفه وقهره .

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قـاتلهم رسـول الله ﷺ يشـهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالى : ﴿ **قل من يرزقكم مـن السّـماء والأرض أمّـن يملـك السّمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ومـن يدبّـر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتّقون** ﴾ وقوله : ﴿ **قل لمـن الأرض ومـن فيهـا إن كنتم تعلمون سيقولون لله قـل أفـلا تذكّـرون ۝ قـل مـن ربّ السّـموات السّبع وربّ العـرش العظيـم سـيقولون لله قـل أفـلا تتّقـون ۝ قـل مـن بيـده ملكوت كلّ شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمـون سـيقولون لله قـل فأنّى تسحرون** ﴾ وغير ذلك من الآيات .

فإذا تحققت أنهم مقرّون بهذا و لم يدخلهم في التّوحيد الذي دعاهم إليـه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التّوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبـادة الـذي يسمّيه المشركون في زماننا ( الاعتقاد )، كما كانوا يدعون الله ـ سـبحانه ـ ليلاً ونهارًا ، ثمّ منهم مـن يدعـو الملائكـة لأجـل صلاحهـم وقربهـم إلى الله ليشـفعوا لـه، أو يدعـو رجـلاً صالحـًا مثـل الـلات، أو نبيـًّا مثـل عيسـى . وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم علـى هـذا الشـرك، ودعـاهم إلى إخـلاص العبادة، كما قال تعالى : ﴿ **فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾، وقال : ﴿ **لـه دعـوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء** ﴾، وتحققت أن رسـول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدّعـاء كلّـه لله، والنّـذر كلّـه لله، والذّبـح كلّـه لله، والاستغاثة كلّها بالله، وجميع العبادات كلّها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الرّبوبيّة لم يدخلهـم في الإسـلام، وأن قصدهـم الملائكـة والأنبيـاء والأوليـاء يريدون شفاعتهم، والتّقرّب إلى الله بذلك؛ هو الـذي أحـلّ دمـاءهم وأموالهـم . عرفت حينئذٍ التّوحيد الذي دعت إليه الرّسل، وأبى عن الإقرار به المشركون .



وهذا التّوحيد هو معنى قولك : ( لا إله إلاّ الله )، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكًا أو نبيًّا أو وليًّا أو شجرةً أو قبرًا أو جنيًّا، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرّازق المدبّر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدّمت لك، وإنّما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ ( السّيد )، فأتاهم النّبيّ ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد ( لا إله إلا الله )، والمراد من هذه الكلمة معناها، لا مجرّد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله ـ تعالى ـ بالتعلّق، والكفر بما يُعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لمّا قال لهم : « قولوا : لا إله إلاّ الله » قالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إنّ هذا لشيءٌ عجاب** ﴾ .

فإذا عرفت أن جهال الكفّار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهّال الكفرة، بل يظنّ أن ذلك هو التلفّظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظنّ أن معناها : لا يخلق ولا يرزق إلاّ الله ولا يدبّر الأمر إلاّ الله، فلا خير في رجلٍ جُهّال الكفّار أعلم منه بمعنى لا إله إلاّ الله .

إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه : ﴿ **إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾، وعرفت دين الله الذي أرسل به الرّسل من أوّلهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحدٍ سواه، وعرفت ما أصبح غالب النّاس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين :

**الأولى** : الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال تعالى : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ .

**وأفادك ـ أيضًا ـ** : الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمةٍ يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل، فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظنّ أنها تقرّبه إلى الله ـ تعالى ـ، كما ( كان يفعل ) الكفّار، خصوصًا إن ألهمك الله ما قصّ عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم



أتوه قائلين : ﴿ اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهةً ﴾، فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله .

واعلم أنّه سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التّوحيد إلاّ جعل له أعداء، كما قال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوًا شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعضٍ زخرف القول غرورًا** ﴾ .

وقد يكون لأعداء التّوحيد علومٌ كثيرةٌ وكتبٌ وحججٌ، كما قال تعالى : ﴿ **فلمّا جاءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم** ﴾ [(١)] .

إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بدّ له من أعداء قاعدين عليه؛ أهل فصاحةٍ وعلمٍ وحججٍ، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحًا تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربّك ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ **لأقعدن لهم صراطك المستقيم ۝ ثمّ لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** ﴾ .

ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيّناته فلا تخف ﴿ **إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفًا** ﴾، والعامي من الموحّدين يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين، قال تعالى : ﴿ **وإنّ جندنا لهم الغالبون** ﴾، فجند الله هم الغالبون بالحجّة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسّيف والسّنان، وإنّما الخوف على الموحّد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد منّ الله ـ تعالى ـ علينا بكتابه الذي جعله تبيانًا لكل شيء، وهدى ورحمةً وبشرى للمسلمين، فلا يأتي صاحب باطل بحجّة إلاّ وفي القرآن ما ينقضها ويبيّن بطلانها، كما قال تعالى : ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحقّ وأحسن تفسيرًا** ﴾ [(٢)]، قال بعض المفسّرين : ( هذه الآية عامة في كلّ حجّة يأتي بها

---

(١) ليست الحجج بكثرة الكتب وتعدد العلوم، بل ما وافق الصواب منها، وإلاّ فلا .

(٢) فلو أنّ علماء عصرنا اقتصروا في الرّد على الخارجين عن الدين الإسلامي والمعادين له على أدلّة القرآن، وإن زادوا على ذلك فليكن ما في القرآن الحكيم هو العمدة في ذلك .

أهل الباطل إلى يوم القيامة ) .

وأنا أذكر لك شيئًا مما ذكر الله في كتابه، جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا، فنقول :

( **جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل، ومفصّل** .

**أمّا المجمل** : فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٍ محكماتٍ هنّ أم الكتاب وأخر متشابهاتٍ فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾، وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فأحذروهم » .

مثال ذلك : إذا قال لك بعض المشركين : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون** ﴾، وإنّ الشفاعة حق، وإنّ الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلامًا للنبيّ ﷺ يستدلُّ به على شيءٍ من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره .

**فجاوبه بقولك** : إنّ الله ذكر أنّ الذين في قلوبهم زيغٌ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أنّ الله ذكر أنّ المشركين يقرّون بالربوبيّة، وأنّ كفرهم بتعلّقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم : ﴿ **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ هذا أمر محكم بيّن، لا يقدر أحدٌ أن يغيّر معناه، وما ذكرتَ لي أيّها المشرك من القرآن أو كلام النبيّ ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أنّ الله لا يتناقض، وأن كلام النبيّ ﷺ لا يخالف كلام الله .

وهذا جواب سديد، ولكن لا يفهمه إلاّ من وفّقه الله، فلا تستهونه فإنّه كما قال تعالى : ﴿ **وما يلقّاها إلاّ الّذين صبروا وما يلقّاها إلاّ ذو حظٍّ عظيم** ﴾ .

**وأمّا الجواب المفصّل** : فإنّ أعداء الله لهم اعتراضاتٌ كثيرةٌ يصدون بها النّاس، منها قولهم : نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنّه لا يخلق ولا يرزق، ولا ينفع ولا يضرّ إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه



نفعًا ولا ضرًّا، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم .

**فجاوبه بما تقدّم،** وهو : أنّ الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرّون بما ذكرت، ومقرّون أنّ أوثانهم لا تدبّر شيئًا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة . واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه .

**فإن قال هؤلاء :** الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين أصنامًا ؟ ..

**فجاوبه بما تقدّم،** فإنّه إذا أقرّ أنّ الكفّار يشهدون بالربوبيّة كلّها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلاّ الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره، فاذكر له أنّ الكفّار منهم من يدعو الصالحين والأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم : ﴿ **أولئك الّذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب** ﴾، ويدعون عيسى بن مريم وأمه، وقد قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرّسل وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبيّن لهم الآيات ثمّ انظر أنّى يؤفكون** ﴾، واذكر قوله تعالى : ﴿ **ويوم يحشرهم جميعًا ثمّ يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ .

**فقل له :** أعرفت أن الله كفّر من قصد الأصنام، وكفّر ـ أيضًا ـ من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله ﷺ ؟ .

**فإن قال :** الكفّار يريدون منهم، وأنا أشهد أنّ الله هو النّافع الضّار المدبّر، لا أريد إلاّ منه، والصالحين ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم .

**فالجواب :** أنّ هذا قول الكفّار سواء بسواء، فاقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ **ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى** ﴾، وقوله : ﴿ **هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ .

**واعلم أنّ هذه الشبه الثلاث** هي أكبر ما عندهم .

فإذا عرفت أنّ الله وضحها في كتابه، وفهمتها فهمًا جيّدًا، فما بعدها أيسر منها .

**فإن قال** : أنا لا أعبد إلاّ الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة .

**فقل له** : أنت تقرّ أنّ الله فرض عليك إخلاص العبادة، وهو حقّه عليك .

**فإذا قال** : نعم .

**فقل له** : بيّن لي هذا الذي فرض عليك، وهو إخلاص العبادة لله وحده، وهو حقّه عليك . فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها .

**فبيّنها له بقولك** : قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **ادعوا ربكم تضرّعًا وخفيةً** ﴾ .

فإذا أعلمته بهذا، فقل له : هل هذا عبادة ؟ . فلا بد أن يقول : نعم . والدعاء مخ العبادة .

فقل له : إذا أقررت أنها عبادة، ودعوت الله ليلاً ونهارًا وخوفًا وطمعًا، ثمّ دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره، هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ .

فلا بدّ أن يقول : نعم .

فقل له : فإذا عملت بقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **فصلِّ لربّك وانحر** ﴾، وأطعت الله ونحرت له، هل هذا عبادة ؟ . فلا بدّ أن يقول : نعم .

فقل له : إذا نحرت لمخلوق نبيّ أو جنيّ أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ .

فلا بدّ أن يقرّ ويقول : نعم .

وقل له ـ أيضًا ـ : المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ .

فلا بدّ أن يقول : نعم .

فقل له : وهل كانت عبادتهم إيّاهم إلاّ في الدّعاء والذّبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلاّ فهم مقرّون أنّهم عبيد الله تحت قهره، وأن الله هو الذي يدبّر الأمر، ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة . وهذا ظاهرٌ جدًا .

فإن قال : أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها .

فقل : لا أنكرها ولا أتبرّأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفع، وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله، كما قال تعالى : ﴿ **قُل لله الشفاعة جميعًا** ﴾، ولا تكون إلاّ من بعد إذن الله، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه** ﴾، ولا يشفع في أحدٍ إلاّ من بعد أن يأذن الله فيه، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ **ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى** ﴾، وهو لا يرضى إلاّ التّوحيد، كما قال تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه** ﴾، فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلاّ بعد إذنه، ولا يشفع النبيّ ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلاّ لأهل التّوحيد؛ تبين لك أنّ الشفاعة كلها لله، أطلبها منه، وأقول : اللّهم لا تحرمني شفاعته، اللّهم شفّعه فيّ . وأمثال هذا .

فإن قال : النبي ﷺ أُعطي الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله .

فالجواب : أنّ الله أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا، وقال : ﴿ **فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾، فإذا كنت تدعو الله أن يشفّع نبيّه فيك، فأطعه في قوله : ﴿ **فلا تدعوا مع الله أحدًا** ﴾، وأيضًا فإن الشفاعة أعطيها غير النّبيّ ﷺ، فصحّ أنّ الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول : أنّ الله أعطاهم الشفاعة، وأطلبها منهم ؟ .

فإن قلت هذا، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه .

وإن قلت : لا، بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله .

فإن قال : أنا لا أشرك با لله شيئًا، حاشى وكلاّ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك .



فقل له : إذا كنت تقرّ أنّ الله حرّم الشرك أعظم من تحريم الزّنا، وتقرّ أنّ الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرّمه الله وذكر أنّه لا يغفره ؟ .

فإنه لا يدري .

فقل له : كيف تبرئ نفسك من الشرك، وأنت لا تعرفه ؟ أم كيف يحرّم الله عليك هذا، ويذكر أنّه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه ؟، أتظنّ أنّ الله يحرّمه ولا يبيّنه لنا ؟ .

فإن قال : الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام .

فقل : وما معنى عبادة الأصنام ؟، أتظنّ أنهم يعتقدون أنّ تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق، وتدبّر أمر من دعاها، فهذا يكذّبه القرآن .

وإن قال : هو من قصد خشبةً أو حجرًا أو بنيةً أو غيره، يدعون ذلك ويذبحون له، ويقولون : إنه يقرّبنا إلى الله زلفى ويدفع عنّا ببركته .

فقل : صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها .

فهذا أقرّ أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب .

ويقال له ـ أيضًا ـ قولك : ( الشرك عبادة الأصنام ) هل مرادك : أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك، فهذا يردّه ما ذكر الله في كتابه مِنْ كفر مَنْ تعلّق على الملائكة وعيسى والصالحين، فلا بدّ أن يقرّ لك من أنّ من أشرك في عبادة الله أحدًا من الصالحين، فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب .

وسرّ المسألة أنّه إذا قال : ( أنا لا أشرك بالله ) . فقل : ( وما الشرك بالله فسّره لي ؟ ) . فإن قال : ( هو عبادة الأصنام ) . فقل : ( وما معنى عبادة الأصنام فسّرها لي ؟ ) . فإن قال : ( أنا لا أعبد إلاّ الله ـ وحده ـ ) . فقل : ( ما معنى عبادة الله وحده، فسّرها لي ؟ ) . فإن فسّرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدّعي شيئًا وهو لا يعرفه ؟! .



وإن فسّر ذلك بغير معناه بيّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأنّه الذي يفعلون في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون كما صاح إخوانهم، حيث قالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيءٌ عجاب** ﴾ .

فإذا عرفت أنّ هذا الذي يسمّيه المشركون في وقتنا هذا ( الاعتقاد ) هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ النّاس عليه ..

فاعلم أنّ شرك الأولين أخفّ من شرك أهل وقتنا بأمرين :

**أحدهما** : أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلاّ في الرخاء، وأمّا في الشدّة فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى : ﴿ **وإذّا مسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلاّ إيّاه فلمّا نجّاكم إلى البرّ أعرضتم وكان الإنسان كفورًا** ﴾، وقوله : ﴿ **قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم السّاعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون** ﴾، وقوله : ﴿ **و إذا مسّ الإنسان ضرٌّ دعا ربّه منيبًا إليه** ﴾ إلى قوله : ﴿ **قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار** ﴾، وقوله : ﴿ **وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ .

فمن فهم هذه المسألة التي وضّحها الله في كتابه، وهي : أنّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضرّ والشدّة فلا يدعون إلاّ الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبيّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهمًا راسخًا ؟. وا لله المستعان .

**والأمر الثاني** : أن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقرّبين عند الله، إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارًا أو أحجارًا مطيعةً لله ليست عاصية . وأهل زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق النّاس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور، من : الزّنا، والسّرقة، وترك

الصلاة، وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده، ويشهد به .

إذا تحققت أن الذين قاتلهم الرّسول ﷺ أصحّ عقولاً وأخفّ شركًا من هؤلاء ..

فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها ..

وهي أنهم يقولون : إنّ الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أنّ لا إله إلاّ الله، ويكذّبون الرّسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذّبون القرآن ويجعلونه سحرًا .

ونحن نشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمدًا رسول الله، ونصدّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلّي ونصوم . فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟ .

**فالجواب** : أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرّجل إذا صدّق رسول الله ﷺ في شيء وكذّبه في شيءٍ أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقرّ بالتّوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقرّ بالتّوحيد والصلاة وجحد الزّكاة، أو أقرّ بهذا كله وجحد الحجّ، ولمّا لم ينقد أناس في زمن النّبيّ ﷺ للحجّ أنزل الله في حقهم : ﴿ **ولله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين** ﴾، ومن أقرّ بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحلّ دمه وماله، كما قال جلّ جلاله : ﴿ **إنّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقًا واعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا** ﴾، فإذا كان الله قد صرّح في كتابه أنّ من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقًا، وأنه يستحق ما ذكر؛ زالت الشبهة .

وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسل إلينا .

ويقال : إذا كنت تقرّ أنّ من صدّق الرّسول ﷺ في كل شيءٍ وجحد

وجوب الصلاة أنّه كافر حلال الدّم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقرّ بكل شيءٍ إلاّ البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدّق بذلك كله، ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا ..

فمعلوم أن التّوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النّبيّ ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزّكاة والصوم والحجّ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرّسول ﷺ ؟، وإذا جحد التّوحيد الذي هو دين الرّسل كلهم لا يكفر ؟! سبحان الله ما أعجب هذا الجهل ! .

ويقال - أيضًا - : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النّبيّ ﷺ، وهم يشهدون : أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدًا رسول الله، ويصلّون ويؤذّنون .

فإن قال : إنّهم يقولون : إنّ مسيلمة نبيّ .

قلنا : هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النّبيّ ﷺ كفر وحلّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع ( شمسان ) و( يوسف )، أو صحابيًا أو نبيًا في مرتبة جبّار السّموات والأرض ؟ . سبحان الله ما أعظم شأنه . كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون .

ويقال - أيضًا - : الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنّار، كلهم يدَّعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلّموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟، أتظنّون أنّ الصحابة يكفّرون المسلمين ؟، أم تظنّون الاعتقاد في ( تاج ) وأمثاله لا يضرّ، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفّر ؟ .

ويقال - أيضًا - : بنو عبيد القداح، الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العبّاس، كلهم يشهدون أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدًا رسول الله، ويدّعون الإسلام، ويصلّون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء



دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأنّ بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنفذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

ويقال ـ أيضًا ـ : إذا كان الأولون لم يكفروا إلاّ أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرّسول ﷺ والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب : "باب حكم المرتد" وهو : المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ذكروا أنواعًا كثيرةً، كل نوع منها يكفّر ويحلّ دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياءً يسيرةً عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب .

ويقال ـ أيضًا ـ : الذين قال الله فيهم : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾، أما سمعت أنّ الله كفّرهم بكلمةٍ مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، يجاهدون معه، ويصلّون معه، ويزكّون، ويحجّون، ويوحّدون ؟ . وكذلك الذين قال الله فيهم : ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾، فهؤلاء الذين صرّحٍ الله أنهم كفروا بعد إيمانهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح .

فتأمّل هذه الشبهة وهي قولهم : تكفّرون المسلمين، أناسًا يشهدون أنّ لا إله إلاّ الله، ويصلّون، ويصومون ..

ثمّ تأمّل جوابها، فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق .

ومن الدليل على ذلك ـ أيضًا ـ : ما حكى الله عن بني إسرائيل، مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنّهم قالوا لموسى : ﴿ **اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهةً** ﴾، وقول ناس من الصحابة : « اجعل لنا ذات أنواط »، فحلف ﷺ أنّ هذا نظير قول بني إسرائيل : ﴿ **اجعل لنا إلهًا** ﴾ .

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصّة، وهي أنهم يقولون :

( إنّ بني إسرائيل لم يكفروا، وكذلك الذين قالوا : « اجعل لنا ذات أنواط »[1] لم يكفروا ) .

**فالجواب أن تقول** : إنّ بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النّبيّ ﷺ، ولا خلاف في أنّ بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أنّ الذين نهاهم النّبيّ ﷺ لو لم يطيعوه واتّخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا . وهذا هو المطلوب .

ولكن هذه القصّة تفيد : أنّ المسلم ـ بل العالم ـ قد يقع في أنواعٍ من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلّم والتحرّز، ومعرفة أنّ قول الجاهل : ( التّوحيد فهمناه ) أنّ هذا من أكبر الجهل، ومكائد الشيطان .

وتفيد ـ أيضًا ـ : أنّ المسلم إذا تكلّم بكلام كفر وهو لا يدري، فنبّه على ذلك، فتاب من ساعته، أنّه لا يكفر، كما فعل بنوا إسرائيل، والذين سألوا النّبيّ ﷺ .

وتفيد ـ أيضًا ـ : أنّه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا، كما فعل رسول الله ﷺ .

**وللمشركين شبهة أخرى يقولون** : ( إن النّبيّ ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال : لا إله إلاّ اللهُ، وقال له : « أقتلته بعد أن قال لا إله إلاّ اللهُ ؟ » . وكذلك قوله : « أمرت أن أقاتل النّاس حتى يقولوا : لا إله إلاّ اللهُ » وأحاديث أخرى في الكفّ عمّن قالها .

ومراد هؤلاء الجهلة : أنّ من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء الجهلة : معلومٌ أنّ رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم، وهم يقولون : لا إله إلاّ اللهُ . وأنّ أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة

(١) هو حديث أخرجه الترمذي وصححه، والأنواط : جمع نوط، مصدر سمّي به المنوط، أي : المعلق، وهي شجرة كانوا يتبرّكون بها .



وهم يشهدون أنّ لا إلـه إلاّ الله وأنّ محمّـدًا رسـول الله، ويصلّـون، ويدّعـون الإسلام . وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنّار .

وهؤلاء الجهلة يقولون : إنّ من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال : لا إله إلاّ الله، وإنّ من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيـف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع ؟، وتنفعه إذا جحد التّوحيد الذي هـو أسـاس دين الرّسل ورأسه ؟، ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث، ولن يفهموا .

فأمّا حديث أسامة : فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام، بسبب أنّه ظنّ أنّه ما ادعى الإسلام إلاّ خوفًا على دمـه ومالـه، والرجـل إذا أظهـر الإسـلام وجـب الكفّ عنه حتى يتبيّن منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله ـ تعالى ـ في ذلـك : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا** ﴾ أي : تثبتـوا . فالآية تـدل على أنه يجب الكفّ عنه والتثبّت، فإذا تبيّن منه بعد ذلك ما يخالف الإسـلام قتل، لقوله تعالى : ﴿ **فتبيّنوا** ﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالهـا لم يكـن للتثبّـت معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثالـه، معنـاه مـا ذكرنـاه . وأنّ مـن أظهـر التّوحيد والإسلام وجـب الكـفّ عنـه إلاّ أن يتبيّـن منـه مـا ينـاقض ذلـك . والدليل على هذا : أنّ رسول الله ﷺ هو الذي قال : « أقتلته بعد ما قـال : لا إله إلاّ الله ؟ »، وقال : « أمرت أن أقاتل النّاس حتى يقولوا : لا إله إلاّ الله »، هـو الـذي قـال في الخـوارج : « أينمـا لقيتموهـم فـاقتلوهم، لئـن أدركتهـم لأقتلنّهم قتل عاد »، مع كونهم من أكثر النّاس عبادةً وتهليلاً وتسبيحـًا، حتى أنّ الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وتعلّموا العلم من الصحابة فلم تنفعهـم لا إله إلاّ الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام، لمّا ظهر منهم مخالفة الشريعة .

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد ﷺ أن يغزو بني المصطلق لمّا أخبره رجلٌ منهم أنهم منعوا الزّكاة، حتـى أنزل الله : ﴿ **يا أيّهـا الذيـن آمنـوا إن جـاءكم فاسـقٌ بنبـإٍ فتبيّنـوا** ﴾، وكـان الرجل كاذبًا عليهم . وكل هذا يدّل على أنّ مراد النّبيّ ﷺ في الأحـاديث

التي احتجوا بها ما ذكرناه .

**ولهم شبهة أخرى**، وهي : ما ذكر النّبيّ ﷺ أنّ النّاس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذر، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ . قالوا : فهذا يدلّ على أنّ الاستغاثة بغير الله ليست شركًا .

**والجواب أن نقول** : سبحان من طبع على قلوب أعدائه!، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصّة موسى : ﴿ **فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه** ﴾، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره، في أشياء يقدر عليها المخلوق . ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلاّ الله .

إذا ثبت ذلك، فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعو الله أن يحاسب النّاس، حتى يستريح أهل الجنّة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجلٍ صالحٍ حي، يجالسك ويسمع كلامك، تقول له : ادع الله لي، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته، وأما بعد موته فحاش وكلاّ أنهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر السّلف على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه .

**ولهم شبهة أخرى**، وهي : قصّة إبراهيم لمّا ألقيَ في النّار، اعترض له جبريل في الهواء، فقال له : ( ألك حاجة ؟ )، فقال إبراهيم : « أمّا إليك فلا »، فقالوا : فلو كانت الاستغاثة شركًا لم يعرضها على إبراهيم .

**فالجواب** : أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله فيه : ﴿ **شديد القوى** ﴾، فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم عنهم في مكان بعيد لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السّماء

لفعل، وهذا كرجلٍ غنيٍ له مالٌ كثيرٌ، يرى رجلاً محتاجًا فيعرض عليه أن يقرضه ويهبه شيئًا يقضي به حاجته، فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ، ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منّة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك، لو كانوا يفقهون ؟ .

**ولنختم الكلام بمسألةٍ عظيمةٍ مهمةٍ تفهم مما تقدم**، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها فنقول :

لا خلاف أنّ التّوحيد لا بدّ أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيءٌ من هذا لم يكن الرجل مسلمًا، فإن عرف التّوحيد و لم يعمل به فهو كافرٌ معاندٌ ككفر فرعون وإبليس .

وهذا يغلط فيه كثير من النّاس، يقولون : إنّ هذا حق، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنّه الحق، ولكنّا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلاّ من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار . و لم يدر المسكين أنّ غالب أئمة الكفر يعرفون الحق و لم يتركوه إلاّ لشيءٍ من الأعذار، كما قال تعالى : ﴿ **اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً** ﴾، وغير ذلك من الآيات، كقوله تعالى : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ .

فإن عمل بالتّوحيد عملاً ظاهرًا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافقٌ، وهو شرٌ من الكافر الخالص : ﴿ **إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار** ﴾ .

وهذه المسألة طويلة، تتبيّن لك إذا تأملتها في ألسنة النّاس، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه، أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألته عمّا يعتقده بقلبه ؟، فإذا هو لا يعرفه .

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله :

أولاهما : قوله تعالى : ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾، فإذا تحققت أنّ بعض الصحابة الذين غزوا الرّوم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب

كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح، تبيّن لك أنّ الذي يتكلّم بالكفر أو يعمل به خوفًا من نقص مالٍ أو جاهٍ أو مداراةٍ لأحد أعظم ممن يتكلّم بكلمةٍ يمزح بها .

والآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلاّ من أُكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذابٌ عظيم ۝ ذلك بأنهم استحبّوا الحياة الدنيا على الآخرة** ﴾ الآية، فلم يعذر الله من هؤلاء إلاّ من أُكره مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان، وأمّا غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعل خوفًا أو مداراةً، أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعل على وجه المرح، ولغير ذلك من الأغراض إلاّ المُكره .

فالآية تدلّ على هذا من وجهين :

الأول : قوله تعالى : ﴿ **إلاّ من أُكره** ﴾، فلم يستثنِ الله ـ تعالى ـ إلاّ المُكره، ومعلوم أنّ الإنسان لا يكره إلاّ على الكلام أو الفعل، وأمّا عقيدة القلب فلا يُكره أحدٌ عليها .

والثاني : قوله تعالى : ﴿ **ذلك بأنّهم استحبّوا الحياة الدنيا** ﴾، فصرّح أنّ الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل، والبغض للدين، ومحبّة الكفر، وإنما سببه أنّ له في ذلك حظًا من حظوظ الدنيا، فآثره على الدين .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم وأعزّ وأكرم .

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم .

( تمت بحمد الله )

## هذه نبذة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
## ترغب في اتباع الكتاب والسنة، والاقتداء بهما، وطرح ما سواهما

جمع الفقير إلى رحمة ربّه الغني :
محمد منير الدمشقي الأزهري
ـ صاحب إدارة الطباعة المنيريّة ـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قال الله ـ تعالى ـ في محكم كتابه : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً** ﴾[1]،

(١) أمر الله ـ تعالى ـ في كتابه الحكيم عباده الذين آمنوا، لأنهم جديرون بالطاعة والامتثال، أن يطيعوا الله والرّسول، وأولي الأمر منهم، وبيّن لنا أنّه لو حصل تنازع واختلاف في شيءٍ من الأمور الشرعيّة أن نردّ ما تنازعنا فيه واختلفنا إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ وإلى رسوله ﷺ، إن كنّا نؤمن با لله حقًا، ونصدّق بما جاء به الرّسول ﷺ، ونؤمن باليوم الآخر . وأخبر تعالى ذكره أنّ ذلك خيرٌ لنا، وأحسن تأويلاً .
أما اطاعة الله ـ تعالى ـ فبأن تكون بإلزام نفوسنا امتثال ما أمرنا الله به، واجتناب ما نهى عنه، ويدخل في ذلك الأوامر جميعها والنواهي كافة، وقد أحاط بذلك القرآن الكريم، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **ما فرّطنا في الكتاب من شيء** ﴾ .
وطاعة رسوله محمد ﷺ : بأن نقبل ما جاء به، ونعمل بما بيّنه لنا من سنّته، وننصره، ونفديه بأموالنا وأولادنا وأنفسنا، ونجاهد أعداءه بكل الوسائل المشروعة والأعمال المبرورة .
وطاعة أولى الأمر منا ـ وهم العلماء والأمراء ـ : بأن نتعاون معهم على البرّ والتقوى، ونشر الأحكام الشرعيّة، واستتباب الأمن في البلاد، والأخذ على يد الظالم، والعمل بالكتاب والسنّة في القوانين المرعيّة، والمصالح النّافعة، والمشاريع المطلوبة، وأن لا نخرج عليهم، ونوالي =

أعداء الدين، وطاعتهم في ذلك كله تجب، وهي طاعةٌ لله ولرسوله فيما لا معصية لله فيه، ولذلك جاء في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال :« من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصا أميري فقد عصاني » وروى الإمام أحمد في مسنده عن عمران بن الحصين عن النّبيّ ﷺ قال : « لا طاعة في معصية الله » .

ثم أخبر الله ـ تبارك اسمه ـ أنه لو حصل نزاعٌ واختلافٌ بين أمراء الأمّة وقادتها، من : علماء، وقضاة، ومجتهدين؛ في حكمٍ من أحكام الدين، ومسألةٍ من مسائله، أن نردّ ما تنازعنا فيه إلى الله ـ جلّ وعزّ ـ . والردّ إليه ـ تعالت أسماؤه ـ : الردّ إلى كتابه الحكيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إذا كان نصًّا فيه، أو إشارةً . وإلى الرّسول إذا كان مبيّنًا ما في الكتاب ومفصلاً له، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزل إليهم** ﴾ . والردّ إلى الرّسول ﷺ في حال حياته : بسؤاله عن ما اختلف فيه وتنوزع، وبعد موته ـ أفديه بأبي وأمي ﷺ ـ بالاحتكام إلى سنّته المطهرة الصحيحة، وعلى ذلك يكون من آمن بالله واليوم الآخر، ولا شك في أنّ ذلك كما أخبر الله تعالى به، خيرٌ وأحسن تأويلاً أي : مرجعًا، وأحمد عاقبةً .

ومفهوم ذلك : أنّ من لم يرجع إلى كتاب الله وسنّة رسوله عند التنازع والاختلاف ويحكمهما في كل ذلك، لا يكون مؤمنًا بالله واليوم الآخر . ونعوذ بالله من ذلك .

قال الحافظ عماد الدين أبو الفداء في تفسيره : ( قال مجاهد وغير واحد من السلف : أي : إلى كتاب الله وسنّة رسوله، وهذا أمر من الله ـ عزّ وجلّ ـ بأنّ كل شيءٍ تنازع النّاس فيه، من أصول الدين وفروعه، أن يردّ التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنّة، كما قال تعالى : ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله** ﴾، فما حكم به الكتاب والسنّة، وشهدا له بالصحّة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلاّ الضلال، ولهذا قال تعالى : ﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ أي : ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنّة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فدلّ على أن من لم يتحاكم في محل النّزاع إلى الكتاب والسنّة، ولا يرجع إليهما في ذلك، فليس مؤمنًا بالله ولا باليوم الآخر ) اهـ .

قال العلاّمة شمس الدين بن قيّم الجوزيّة في كتابه "إعلام الموقعين عن ربّ العالمين" : ( فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل إعلامًا بأن طاعة الرّسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، و لم يأمر بطاعة أولي الأمر

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **وهذا كتابٌ أنزلناه مباركٌ فاتبعوه واتقوا لعلّكم ترحمون** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفورٌ رحيم** ﴾، وقال جلّ ذكره : ﴿ **فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلّموا تسليمًا** ﴾، وقال تبارك وتعالى : ﴿ **إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرًا كبيرًا وأنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابًا أليمًا** ﴾ .

عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ أنّ رسول الله ﷺ خطب النّاس في حجّة الوداع فقال : « إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم، ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم، فاحذروا، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا : كتاب الله وسنّة نبيّه » الحديث رواه الحاكم، وقال : ( صحيح الإسناد ) . قال الحافظ المنذري : ( وله أصل في الصحيح عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مرعوب، فقال : « أطيعوني ما كنت بين أظهركم، وعليكم بكتاب الله، أحلّوا حلاله، وحرّموا حرامه » رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقاة .

عن أبي شريح الخزاعي قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « أليس تشهدون أنّ لا إله إلاّ الله وأني رسول الله ؟ » قالوا بلى، قال : « إنّ هذا

=

استقلالاً، بل حذف الفعل، وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرّسول؛ إيذانًا بأنهم إنما يطاعون تبعًا لطاعة الرّسول، فمن أمر منهم بطاعة الرّسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرّسول فلا سمع له ولا طاعة، كما صحّ عنه ﷺ أنه قال: « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »، « إنما الطاعة في المعروف »، وقال في ولاة الأمور : « من أمركم منهم بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة » ) اهـ .

القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدًا » رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد .

عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال : ( وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا : يا رسول الله، كأنها موعظة مودّعٍ فأوصنا . قال : « أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشيٌّ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ بدعةٍ ضلالةٍ » رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي : ( حديث حسن صحيح ) .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه الشيخان في صحيحيهما، وأبو داود ولفظه : « من صنع أمرًا على غير أمرنا فهو رد »، وابن ماجه، وفي رواية لمسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من رغب عن سنّتي فليس منّي » رواه مسلم .

عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالك » رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنّة باسناد حسن .

[ وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين ] .

# تجريد

# التوحيد المفيد

للإمـــــام

**تقي الدين أحمد بن علي المقريزي**

المتوفَّى سنة ٨٥٤ هجرية



# مقدمة المؤلف

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلّى الله على نبيّنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

**أما بعد :**

فهذا كتاب جمّ الفوائد، بديع الفرائد، ينتفع به من أراد الله والدّار الآخرة، سمّيته : « **تجريد التّوحيد المفيد** » .

والله أسأل العون على العمل به بمنّه .





**اعلم أن الله سبحانه هو ربّ كل شيءٍ ومالكه وإلهه .**

**فالرّب** : مصدر ربَّ يَرُبُّ ربًّا فهو رابٌّ، فمعنى قوله تعالى : ﴿ **ربِّ العالمين** ﴾ : رابُّ العالمين، فإن الربّ ـ سبحانه وتعالى ـ هو الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفّل بصلاحهم من خلقٍ ورزقٍ وعافيةٍ وإصلاح دين ودنيا .

**والإلهيّة** : كون العباد يتّخذونه سبحانه محبوبًا مألوهًا، ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات، والتّوبة والنّذر والطّاعة، والطّلب والتّوكل ونحو هذه الأشياء .

**فإن التوحيد حقيقته** : أن ترى الأمور كلها من الله ـ تعالى ـ رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلاّ منه تعالى، وهذا المقام يثمر التّوكل، وترك شكاية الخلق، وترك لومهم، والرضا عن الله ـ تعالى ـ، والتسليم لحكمه .

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده، والتألّه من عباده له سبحانه، كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه عز وجل .

واعلم أن أنفس الأعمال وأجلّها قدرًا : توحيد الله ـ تعالى ـ، غير أن التّوحيد له قشرتان :

**الأولى** : أن تقول بلسانك : لا إله إلاّ الله، ويسمّى هذا القول : توحيدًا، وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى، وهذا التّوحيد يصدر أيضًا من المنافق الذي يخالف سرّه جهره .

**والقشرة الثانية** : أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به، وهذا هو توحيد عامة النّاس .



**ولُبَاب التّوحيد** : أن يرى الأمور كلها لله ـ تعالى ـ، ثم يقطع الالتفات إلى الوسائط، وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره .

ويخرج عن هذا التّوحيد : أتباع الهوى، فكلّ من اتّبع هواه فقد اتّخذ هواه معبوده، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه** ﴾ .

وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده إنما عبد هواه، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه، فيتبع ذلك الميل، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى .

**ويخرج عن هذا التوحيد** : السخط على الخلق، والالتفات إليهم، فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه ؟ .

وهذا التوحيد مقام الصديقين .

ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقرّوا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهيّة والمحبّة، كما قد حكى الله ـ تعالى ـ عنهم في قوله : ﴿ **ومن الناس من يتّخذ من دون الله أندادًا يحبّونهم كحبّ الله والّذين آمنوا أشدّ حبًّا لله** ﴾، فلما سووا غيره به في هذا التّوحيد كانوا مشركين، كما قال تعالى : ﴿ **الحمد لله الّذي خلق السّموات والأرض وجعل الظّلمات والنّور ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون** ﴾ .

وقد علّم الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده كيفية مباينة الشّرك في توحيد الإلهيّة، وأنه تعالى حقيق بإفراده وليًّا وحكمًا وربًّا، فقال تعالى : ﴿ **قل أغير الله أتّخذ وليًّا** ﴾ وقال : ﴿ **أفغير الله أبتغي حكمًا** ﴾ وقال : ﴿ **قل أغير الله أبغي ربًّا** ﴾، فلا وليّ ولا حكم ولا ربّ إلاّ الله، الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيّته ولو وحّد ربوبيّته، فتوحيد الربوبيّة هو الذي اجتمعت فيه

الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهيّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، ولهذا كانت كلمة الإسلام : لا إله إلاّ الله، ولو قال : لا ربّ إلاّ الله أجزاه عند المحققين، فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العباد، ولهذا كان أصل « الله » الإله، كما هو قول سيبويه، وهو الصحيح، وهو قول جمهور أصحابه إلاّ من شذّ منهم .

وبهذا الاعتبار الذي قررنا به الإله وأنه المحبوب، لاجتماع صفات الكمال فيه، كان الله : هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا، وهو الذي ينكره المشركون، ويحتج الربّ ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم بتوحيدهم ربوبيّته على توحيد ألوهيّته، كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **قل الحمد لله وسلام على عباده الّذين اصطفى آلله خير أمّا يشركون ۝ أمّن خلق السّموات والأرض وأنزل لكم من السّماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجةٍ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قومٌ يعدلون** ﴾، وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها : ﴿ **أإله مع الله** ﴾ ؟، فأبان سبحانه وتعالى بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون في إثبات توحيد الإلهيّة لا الربوبيّة، على أن منهم من أشرك في الربوبيّة كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله ـ تعالى ـ .

وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكري الإلهيّة بإثباتهم الربوبيّة .

**والملك** : هو الآمر الناهي الذي لا يخلق خلقًا بمقتضى ربوبيّته ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، فإن الملك هو الآمر الناهي، المعطي المانع، الضار النافع، المثيب المعاقب، ولذلك جاءت الاستعاذة في سورة الناس وسورة الفلق بالأسماء الحسنى الثلاثة : الربّ والملك والإله، فإنه لما قال : ﴿ **قل أعوذ بربّ النّاس** ﴾ كان فيه إثبات أنه

خالقهم وفاطرهم، فبقي أن يقال : لَمّا خلقهم هل كلّفهم وأمرهم ونهاهم ؟، قيل : نعم، فجاء : ﴿ **ملك النّاس** ﴾، فأثبت الخلق والأمر ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾، فلما قيل ذلك، قيل : فإذا كان ربًّا موجدًا، وملكًا مكلفًا، فهل يحب ويرغب إليه، ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر، قيل : ﴿ **إلَهَ النّاس** ﴾ أي : مألوههم ومحبوبهم، الذي لا يتوجّه العبد المخلوق المكلّف العابد إلا له، فجاءت الإلهيّة خاتمة وغاية، وما قبلها كالتوطئة لها .

وهاتان السورتان أعظم عوذة في القرآن، وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك، وهو حين سحر النبي ﷺ، وخيّل إليه أنه يفعل الشيء ﷺ وما فعله، وأقام على ذلك أربعين يومًا، كما في الصحيح، وكانت عقد السّحر إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله المعوّذتين إحدى عشرة آية، فانحلّت بكلّ آيةٍ عقدةٍ .

وتعلقت الاستعاذة في أوائل القرآن باسمه الإله، وهو المعبود وحده، لاجتماع صفات الكمال فيه . ومناجاة العبد لهذا الإله الكامل، ذي الأسماء الحسنى والصفات العليا، المرغوب إليه؛ في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربّه . ثم استحب التعليق باسم الإله في جميع المواطن الذي يقال فيها : ( أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم )، لأن اسم الله ـ تعالى ـ هو الغاية للأسماء، ولهذا كان كل اسم بعده لا يتعرف إلاّ به، فتقول : الله هو السّلام، المؤمن، المهيمن، فالجلالة تعرّف غيرها، وغيرها لا يعرفها .

والذين أشركوا به تعالى في الربوبيّة منهم من أثبت معه خالقًا آخر، وإن لم يقولوا : إنه إله مكافئ له، وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدريّة .

وربوبيّته سبحانه للعالم الربوبيّة الكاملة المطلقة الشاملة تبطل أقوالهم، لأنها

تقتضي ربوبيّته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال .

وحقيقة قول القدرية المجوسية : أنه تعالى ليس ربًّا لأفعال الحيوان ولا تتناولها ربوبيّته، إذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه .

**وشرك الأمم كله نوعان** : شرك في الإلهيّة، وشرك في الربوبيّة .

**فالشرك في الإلهيّة والعبادة** : هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عبّاد الأصنام، وعبّاد الملائكة، وعبّاد الجّن، وعبّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات، الذين قالوا : ﴿ **ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى** ﴾، ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته .

والكتب الإلهيّة كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وتردّه، وتقبّح أهله، وتنص على أنهم أعداء الله ـ تعالى ـ، وجميع الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ متفقون على ذلك، من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك الله ـ تعالى ـ ( من أهلك ) من الأمم إلاّ بسبب هذا الشرك، ومن أجله . وأصله : الشرك في محبّة الله، قال تعالى : ﴿ **يحبّونهم كحبّ الله والّذين آمنوا أشدّ حبًّا لله** ﴾، فأخبر سبحانه وتعالى أنه من أحبّ مع الله شيئًا غيره كما يحبّه فقد اتّخذ ندًّا من دونه . وهذا على أصح القولين في الآية : أنهم يحبونهم كما يحبون الله، وهذا هو العدل المذكور في قوله تعالى : ﴿ **ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون** ﴾، والمعنى على أصح القولين : أنهم يعدلون به غيره في العبادة، فيسوون بينه وبين غيره في الحبّ والعبادة . وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم : ﴿ **تالله إن كنّا لفي ضلالٍ مبين ۝ إذ نسوّيكم بربّ العالمين** ﴾، ومعلوم قطعًا أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربّهم وخالقهم، فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرّين بأن الله ـ تعالى ـ وحده هو ربّهم وخالقهم،

وأن الأرض ومن فيها لله وحده، وأنه ربّ السّموات السّبع وربّ العرش العظيم، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيءٍ، وهو يجير ولا يجار عليه، وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله - تعالى - في المحبّة والعبادة، فمن أحبّ غير الله - تعالى - وخافه ورجاه، وذلّ له كما يحبّ الله - تعالى - ويخافه ويرجوه؛ فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحبّ إليه، وأخوف عنده، وهو في مرضاته أشد سعيًا منه في مرضاة الله ؟ . فإذا كان المسوّي بين الله وبين غيره في ذلك مشركًا، فما الظن بهذا ؟، فعياذًا بالله من أن ينسلخ القلب من التّوحيد والإسلام كانسلاخ الحيّة من قشرها، وهو يظن أنه مسلم موحّد، فهذا أحد أنواع الشرك .

والأدلة الدّالة على أنه تعالى يجب أن يكون وحده هو المألوه يبطل هذا الشرك، ويدحض حجج أهله، وهي أكثر من أن يحيط بها إلاّ الله، بل كل ما خلقه الله - تعالى - فهو آية شاهدة بتوحيده، وكذلك كل ما أمر به، فخلقه وأمره، وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى؛ شاهد بأنه الله الذي لا إله إلاّ هو، وأن كل معبود سواه باطل، وأنه هو الحق المبين، تقدس وتعالى .

فواعجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكةٍ ... وتسكينةٍ أبدًا شاهد
وفي كل شيءٍ له آيةٌ ... تدل على أنه واحد

**والنوع الثاني من الشرك** : الشرك به تعالى في الربوبيّة، كشرك من جعل معه خالقًا آخر، كالمجوس وغيرهم، الذين يقولون : بأن للعالم ربّين، أحدهما خالق الخير، يقولون له بلسان الفارسيّة ( يزدان )، والآخر : خالق الشر، ويقولون له بلسانهم : ( أهرمن ) . وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون : بأنه لم يصدر عنه إلاّ واحد بسيط، وإن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس، وإن مصدر هذا العالم عن العقل الفعّال هو ربّ كل ما تحته ومدبّره . وهذا شرّ من شرك عبّاد الأصنام والمجوس والنّصارى، وهو أخبث شرك في العالم، إذ يتضمن من التعطيل وجحد الإلهيّة والربوبيّة واستناد الخلق إلى غيره سبحانه وتعالى ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم . وشرك القدريّة مختصر من هذا، وباب يدخل منه إليه، ولهذا شبّههم الصّحابة - رضي الله عنهم - بالمجوس، كما ثبت عن ابن عمر وابن عبّاس - رضي الله عنهم -، وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعًا : أنهم مجوس هذه الأمة .

وكثيرًا ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر، والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله - تعالى - كلها مصرّحةً بالرد على أهل هذا الإشراك، كقوله تعالى : ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾، فإنه ينفي شرك المحبّة والإلهيّة، وقوله : ﴿ **وإيّاك نستعين** ﴾ فإنه ينفي شرك الخلق والربوبيّة، فتضمّنت هذه الآية تجريد التّوحيد لربّ العالمين في العبادة، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه، لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات، فالشرك به في الأفعال، كالسجود لغيره سبحانه وتعالى، والطواف بغير بيته المحرّم، وحلق الرأس عبوديّةً وخضوعًا لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه في الأرض، وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها . وقد لعن النبي ﷺ من اتّخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، فكيف من اتّخذ القبور أوثانًا تعبد من دون الله ؟ ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾، وفي الصحيح عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم

أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى، اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذّر ما صنعوا . وفيه عنه ـ أيضًا ـ : « إن من شرار النّاس من تدركهم السّاعة وهم أحياء، والذين يتّخذون القبور مساجد »، وفيه ـ أيضًا ـ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إن من كان قبلكم كانوا يتّخذون القبور مساجد، ألا فلا تتّخذوا القبور مساجد، فإنّي أنهاكم عن ذلك »، وفي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبّان عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم : « لعن الله زوّارات القبور، والمتّخذين عليها المساجد والسرج »، وقال : « اشتدّ غضب الله على قوم اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد »، وقال : « إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرّجل الصّالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوّروا فيه تلك الصّور، أولئك شرار الخلق عند الله » .

والنّاس في هذا الباب ـ أعني : زيارة القبور ـ على ثلاثة أقسام :

قوم يزورون الموتى فيدعون لهم . وهذه هي الزّيارة الشرعيّة .

وقوم يزورونهم يدعون بهم، فهؤلاء هم المشركون في الألوهيّة والمحبّة .

وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم، وقد قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم : « اللّهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد »، وهؤلاء هم المشركون في الربوبيّة .

وقد حمى النبيّ ﷺ جانب التّوحيد أعظم حماية، تحقيقًا لقوله تعالى : ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾، حتى نهى عن الصّلاة في هذين الوقتين لكونه ذريعةً إلى التّشبيه بعبّاد الشّمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين، وسد الذّريعة بأن منع من الصّلاة بعد العصر والصّبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشّمس .

وأمّا السّجود لغير الله فقد قال عليه الصّلاة والسّلام : « لا ينبغي لأحد

أن يسجد لأحد إلاّ لله » .

و« لا ينبغي » في كلام الله ورسوله ﷺ إنما يستعمل للذي هو في غاية الامتناع، كقوله تعالى : ﴿ **وما ينبغي للرّحمن أن يتّخذ ولدًا** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **وما علّمناه الشّعر وما ينبغي له** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **وما تنزّلت به الشّياطين وما ينبغي لهم** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **ما كان ينبغي لنا أن نتّخذ من دونك من أولياء** ﴾ .

ومن الشرك بالله ـ تعالى ـ المباين لقوله تعالى : ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾ الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه ﷺ أنه قال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » صحّحه الحاكم وابن حبّان .

قال ابن حبّان : أخبرنا الحسن وسفيان، ثنا عبد الله بن عمر الجعفي، ثنا عبد الرّحمن بن سليمان، عن الحسن بن عبد الله النخعي، عن سعيد بن عبيدة قال : كنت عند ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، فحلف رجل بالكعبة، فقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : ( ويحك، لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد أشرك » ) .

ومن الإشراك قول القائل لأحد من النّاس : ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبيّ ﷺ أنه قال له رجل : ما شاء الله وشئت . فقال : « أجعلتني لله ندًا ؟، قل ما شاء الله وحده » . هذا مع أن الله ـ تعالى ـ قد أثبت للعبد مشيئة، كقوله تعالى : ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾، فكيف بمن يقول : أنا متوكّل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلاّ الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض ؟؟، وزن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب النّاس اليوم وبين ما نهى عنه من : ما شاء الله وشئت، ثم انظر أيّها أفحش ؟؛ يتبيّن لك أن قائلها أولى بالبعد من ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾، وبالجواب من النبي ﷺ

لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعل رسول الله ﷺ ندًا فهذا قد جعل من لا يدانيه لله ندًا .

وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾ هي السّجود، والتوكّل، والإنابة، والتّقوى، والخشية، والتّوبة، والنّذور، والحلف، والتّسبيح، والتّكبير، والتّهليل، والتّحميد، والاستغفار، وحلق الرأس خضوعًا وتعبّدًا، والدعاء ، كل ذلك محض حق الله ـ تعالى ـ .

وفي مسند الإمام أحمد : أن رجلاً أتى به إلى النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قد أذنب ذنبًا، فلما وقف بين يديه قال : اللّهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمّد، فقال ﷺ : « عرف الحق لأهله » . وأخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود بن سريع وقال : ( حديث صحيح ) .

**وأما الشرك في الإرادات والنيّات** : فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، فمن نوى بعمله غير وجه الله ـ تعالى ـ فلم يقُم بحقيقة قوله : ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾، فإن ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾ هي الحنيفيّة ملّة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها، وهي حقيقة الإسلام : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾، فاستمسك بهذا الأصل، ورد ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه تتحقق معنى الكلمة الإلهيّة .

فإن قيل : المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله ـ تعالى ـ، وأنه لعظمته لا ينبغي الدخول عليه إلاّ بالوسائط والشفعاء، كحال الملوك، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبيّة، وإنما قصد تعظيمه، وقال : ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾، وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربني إليه، وتدخل بي عليه، فهو الغاية، وهذه وسائل، فلم كان هذا القدر موجبًا لسخط الله ـ تعالى ـ وغضبه، مخلداً في النار، وموجبًا لسفك دماء أصحابه، واستباحة حريمهم وأموالهم ؟، وهل يجوز في العقل أن يشرع الله ـ تعالى ـ لعباده التقرّب إليه بالشفعاء والوسائط،



فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط، أم ذلك قبيح في الشرع والعقل، يمنع أن تأتي به شريعة من الشرائع، وما السر في كونه لا يغفر من بين الذنوب، كما قال تعالى : ﴿ **إنّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ؟؟ .

**قلنا : الشرك شركان :**

شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله .

وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا شريك له في ذاته ولا في صفاته .

وأما الشرك الثاني وهو الذي فرغنا من الكلام فيه، وأشرنا إليه الآن، وسنشبع الكلام فيه إن شاء الله - تعالى - .

**أما الشرك الأول : فهو نوعان :**

**أحدهما** : شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون في قوله : ﴿ **وما ربّ العالمين** ﴾ ؟، وقال : ﴿ **يا هامان ابنِ لي صرحًا لعلّي أبلغ الأسباب ۝ أسباب السّموات فأطّلع إلى إله موسى وإنّي لأظنّه كاذبًا** ﴾، والشرك والتّعطيل متلازمان، فكل مشرك معطّل، وكل معطّل مشرك، لكن الشرك لا يستلزم أصل التّعطيل، بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وتعالى وصفاته ولكنه معطّله حق التّوحيد .

**وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها** : هو التّعطيل، وهو ثلاثة أقسام :

أحدها : تعطيل المصنوع عن صانعه .

الثاني : تعطيل الصّانع عن كماله الثابت له .

الثالث : تعطيل معاملته عمّا يجب على العبد من حقيقة التّوحيد .

ومن هذا شرك أهل الوحدة، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديّته، وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها، ويسمّونها العقول والنفوس .

ومنه شرك معطّلة الأسماء والصفات، كالجهمية والقرامطة وغلاة المعتزلة .

**النوع الثاني : شرك التمثيل**، وهو شرك من جعل معه إلهًا آخر، كالنصارى في المسيح، واليهود في عزير، والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور، وحوادث الشر إلى الظلمة، وشرك القدرية والمجوسيّة مختصر منه .

وهؤلاء أكثر مشركي العالَم، وهم طوائف جمّة، منهم من يعبد أجزاء أرضية، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة، ومنهم من يزعم أن إلهه من جملة الآلهة، ومنهم من يزعم أنه إذا خصّه بعبادته والتبتّل إليه أقبل عليه واعتنى به، ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقاني، والفوقاني يقربه إلى من هو فوقه، حتى تقرّبه تلك الآلهة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فتارة تكثر الوسائط، وتارة تقل .

فإذا عرفت هذه الطوائف، وعرفت اشتداد نكير الرّسول ﷺ على من أشرك به تعالى في الأفعال والأقوال والإرادات كما تقدّم ذكره، انفتح لك باب الجواب عن السّؤال، فنقول :

**اعلم أن حقيقة الشرك** : تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق .

أمّا الخالق فإن المشرك شبّه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهيّة، وهي التفرّد بملك الضّر والنفع، والعطاء والمنع، فمن علّق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى، وسوّى بين التراب وربّ الأرباب، فأي فجور وذنب أعظم من هذا ؟ .

**واعلم أن من خصائص الإلهيّة** : الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلاً وشرعًا وفطرةً، فمن جعل ذلك لغيره فقد شبّه الغير بمن لا شبيه له، ولشدّة قبحه وتضمّنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرّحمة أنه لا يغفره أبدًا .

**ومن خصائص الإلهيّة والعبوديّة** التي لا تقوم إلاّ على ساق الحب والذّل، فمن أعطاهما لغيره فقد شبّهه بالله ـ سبحانه وتعالى ـ في خالص حقه . وقُبح هذا مستقر في العقول والفطر، لكن لما غيّرت الشياطين فطر أكثر الخلق، واجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، كما روى عن الله أعرف الخلق به وبخلقه، عموا عن قبح الشرك حتى ظنّوه حسنًا .

**ومن خصائص الإلهيّة : السّجود**، فمن سجد لغيره فقد شبّهه به .

**ومنها : التوكل**، فمن توكل على غيره فقد شبهه به .

**ومنها : التوبة**، فمن تاب لغيره فقد شبهه به .

**ومنها : الحلف باسمه**، فمن حلف بغيره فقد شبّهه به .

**ومنها : الذّبح له**، فمن ذبح لغيره فقد شبّهه به .

**ومنها** : حلق الرّأس . إلى غير ذلك . **هذا في جانب التّشبيه** .

**وأمّا في جانب التّشبّه** : فمن تعاظم وتكبّر، ودعى النّاس إلى إطرائه ورجائه ومخافته؛ فقد تشبّه بالله ونازعه في ربوبيّته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويجعله كالذّر تحت أقدام خلقه .

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « يقول الله عزّ وجل : العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني في واحدٍ منهما عذّبته » .

وإذا كان المصوّر الذي يصنع الصور بيده من أشد النّاس عذابًا يوم القيامة

لتشبّهه بالله في مجرّد الصّنعة، فما الظّن بالمشبّه بالله في الربوبيّة والإلهيّة ؟، كما قال ﷺ : « أشدّ النّاس عذابًا يوم القيامة المصوّرون، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم »، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « يقول الله عزّ وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ؟، فليخلقوا ذرّةً فليخلقوا شعيرةً »، فنبّه بالذّرة والشعيرة على ما هو أعظم منهما .

وكذلك : **من تشبّه به تعالى في الاسم الذي لا ينبغي إلاّ له**، كملك الملوك، وحاكم الحكّام، وقاضي القضاة، ونحوه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أخنع الأسماء عند الله رجلٌ تسمّى بشاهان شاه، ملك الملوك، لا مالك إلاّ الله »، وفي لفظ : « أغيظ رجلٍ عند الله رجلٌ تسمّى ملك الأملاك » .

وبالجملة **فالتّشبيه والتّشبّه هو حقيقة الشرك**، ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرّب إلى غيره بعبادةٍ ما يقرّبه ذلك الغير إليه تعالى فإنه يخطئ، لكونه شبّهه به، وأخذ ما لا ينبغي أن يكون إلاّ له، فالشرك منعه سبحانه وتعالى حقّه، فهذا قبيح عقلاً وشرعًا، ولذلك لم يشرع، ولم يغفر لفاعله .

واعلم أن الذي ظن أن الرّب ـ سبحانه وتعالى ـ لا يسمع له، أو لا يستجيب له إلاّ بواسطة تُطلعه على ذلك، أو تسأل ذلك منه؛ فقد ظنّ بالله ظنّ السّوء، فإنه إن ظنّ أنه لا يعلم أو لا يسمع إلاّ بإعلام غيره له وإسماعه؛ فذلك نفي لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه، وكفى بذلك ذنبًا .

وإن ظنّ أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يليّنه ويعطّفه عليه، فقد أساء الظّن بأفضال ربّه وبرّه وإحسانه وسعة جوده .

وبالجملة **فأعظم الذنوب عند الله ـ تعالى ـ إساءة الظّن**، ولهذا يتوعّدهم في كتابه على إساءة الظّن به أعظم وعيد، كما قال تعالى : ﴿ **الظّانّين بالله ظنّ**

**السّوء عليهم دائرة السّوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنّم وساءت مصيرًا** ﴾، وقال تعالى عن خليله إبراهيم ـ عليه السلام : ﴿ **أئفكًا آلهةً دون الله تريدون ۝ فما ظنّكم بربّ العالمين** ﴾ أي : فما ظنّكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره، وظننتم أنه يحتاج في الاطلاع على ضرورات عباده، لمن يكون بابًا للحوائج إليه، ونحو ذلك .

وهذا بخلاف الملوك، فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورةً لحاجتهم وعجزهم وضعفهم، وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين .

فأما من لا يشغله سمع عن سمع، وسبقت رحمته غضبه، وكتب على نفسه الرّحمة، فما تصنع الوسائط عنده ؟ .

فمن اتخذ واسطةً بينه وبين الله ـ تعالى ـ فقد ظنّ به أقبح الظّن، ومستحيل أن يشرعه لعباده، بل ذلك يمتنع في العقول والفطر .

واعلم أن الخضوع والتألّه الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه، كما قرّرناه، لا سيما إذا كان المجعول له ذلك عبدًا للملك العظيم الرّحيم القريب المجيب، ومملوكًا له، كما قال تعالى : ﴿ **ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مّا ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواءٌ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم** ﴾ أي : إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفردٌ به، وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري، ولا تصلح لسواي، فمن زعم ذلك فما قدّرني حقّ قدري، ولا عظّمني حقّ تعظيمي .

وبالجملة فما قدّر الله حقّ قدره من عبد معه من ظنّ أنه يوصل إليه، قال تعالى : ﴿ **يا أيّها النّاس ضرب مثلٌ فاستمعوا له إنّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا** ﴾ الآية، إلى أن قال : ﴿ **ما قدروا الله حقّ قدره إن الله لقويٌّ**

**عزيز ﴾**، وقال تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسّموات مطويّات بيمينه سبحانه وتعالى عمّا يشركون** ﴾، فما قدّر القويّ العزيز حقّ قدره من أشرك معه الضّعيف الذّليل .

واعلم أنك إذا تأمّلت جميع طوائف الضّلال والبدع، وجدت أصل ضلالهم راجعًا إلى شيئين :

أحدهما : الظّن بالله ظنّ السّوء، ولم يقدروا الرّب حقّ قدره، فلم يقدره حقّ قدره من ظنّ أنه لم يرسل رسولاً، ولا أنزل كتابًا، بل ترك الخلق سدى، وخلقهم عبثًا . ولا قدره حقّ قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده، من طاعتهم ومعاصيهم، وأخرجهما عن خلقه وقدرته . ولا قدر الله حقّ قدره أضداد هؤلاء، الذين قالوا : إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله، بل يعاقبه على فعله سبحانه وتعالى، وإذا استحال في العقول أن يجبر السّيد عبده على فعل ثمّ يعاقبه عليه، فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين ؟، وقول هؤلاء شرّ من أشباه المجوس القدريّة الأذلين . ولا قدره حقّ قدره من نفى رحمته ورضاه، ومحبّته وغضبه، وحكمته مطلقًا، وحقيقة فعله، لم يجعل له فعلاً اختياريًا، بل أفعاله منفعلة عنه . ولا قدره حقّ قدره من جعل له صاحبةً وولدًا، وجعله يحلّ في مخلوقاته، أو جعله عين هذا الوجود . ولا قدره حقّ قدره من قال : إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته، وجعل فيهم الملك، ووضع أولياء رسوله وأهل بيته، وهذا يتضمّن غاية القدح في الرّب، تعالى الله عن قول الرّافضة . وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول ربّ العالمين : إنه أرسل ملكًا ظالمًا، فادعى النبوّة، وكذب على الله، ومكث زمنًا طويلاً يقول أمرني بكذا ونهاني عن كذا، ويستبيح دماء أبناء الله وأحبائه، والرّب ـ تعالى ـ يظهره ويؤيده، ويقيم الأدّلة والمعجزات على صدقه، ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه، ويقيم دولته على الظهور



والزيادة، ويذّل أعداءه أكثر من ثمان مائة عام . فوازن بين قول هؤلاء وقول إخوانهم من الرّافضة تجد القولين سواء . ولا قدره حقّ قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى، ولا يبعث من في القبور ليبيّن لعباده الذي كانوا فيه يختلفون، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

وبالجملة : فهذا بابٌ واسعٌ، والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فإنما عبد شيطانًا، قال تعالى : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشّيطان** ﴾، فما عبد أحدٌ أحدًا من بني آدم كائنًا من كان إلاّ وقد وقعت عبادته للشّيطان، فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله ـ تعالى ـ، وذلك غاية رضى الشيطان، ولهذا قال تعالى : ﴿ **ويوم يحشرهم جميعًا يا معشر الجنّ قد استكثرتم من الإنس** ﴾ أي : من اغوائهم وإضلالهم، ﴿ **وقال أولياؤهم من الإنس ربّنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الّذي أجّلت لنا قال النّار مثواكم خالدين فيها إلاّ ما شاء الله إنّ ربّك حكيم عليم** ﴾، فهذه إشارةٌ لطيفةٌ إلى السّر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله، وأنه لا يغفر بغير التوبة منه، وأنه موجبٌ للخلود في العذاب العظيم، وأنه ليس تحريمه قبحه بمجرّد النّهي عنه فقط، بل يستحيل على الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يشرع لعباده عبادة إله غيره، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله .

**واعلم أن النّاس في عبادة الله ـ تعالى ـ والاستعانة به أقسام :**

**أجلّها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها** : فعبادة الله غاية مرادهم، وطلبهم منه أن يعينهم عليها، ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم، ولهذا كان أفضل ما يسأل الرّب ـ تعالى ـ الإعانة على مرضاته، وهو الذي علّمه النّبي ﷺ لمعاذ بن جبل فقال : « يا معاذ، والله إني أحبّك، فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة : اللّهم أعنّي على ذكرك وشُكرك وحُسن عبادتك »، فأنفع الدّعاء طلب العون على مرضاته تعالى .

**ويقابل هؤلاء القسم الثاني : المعرضون عن عبادته والاستعانة به**، فلا عبادة لهم ولا استعانة، بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته، والله ـ سبحانه وتعالى ـ يسأله من في السّموات والأرض، ويسأله أولياؤه وأعداؤه، فيمد هؤلاء وهؤلاء . وأبغض خلق الله إبليس ومع هذا أجاب سؤاله وقضى حاجته، ومتّعه بها، ولكن لما لم تكن عونًا على مرضاته كانت زيادةً في شقوته وبعده . وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على ما لم يكن عونًا له على طاعته، كان سؤاله مبعدًا له عن الله، فليتدبّر العاقل هذا، وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه، بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه، ويكون منعه منها حمايةً له وصيانةً، والمعصوم من عصمه الله، والإنسان على نفسه بصيرة .

**وعلامة هذا** : أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمر، إذا رآه سبحانه وتعالى يقضي حوائج غيره يسيء ظنّه به تعالى، وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر .

**وأمارة ذلك** : حمله على الأقدار، وعتابه في الباطن لها، ولقد كشف الله ـ تعالى ـ هذا المعنى غاية الكشف في قوله تعالى : ﴿ **فأمّا الإنسان إذا ما**

**ابتلاه ربّه فأكرمه ونعّمه فيقول ربّي أكرمن ۞ وأمّا إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربّي أهانن ۞ كلاّ** ﴾ أي : ليس كل من أعطيته ونعّمته وخوّلته فقد أكرمته، وما ذاك لكرامته عليّ، ولكنه ابتلاء منّي وامتحان له، أيشكرني فأعطيه فوق ذلك، أم يكفرني فأسلبه إيّاه وأحوّله عنه لغيره ؟، وليس كل من ابتليته فضيّقت عليه رزقه، وجعلته بقدر لا يفضل عنه، فذاك من هوانه عليّ، ولكنه ابتلاء وامتحان منّي له، أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته، أم يسخط فيكون حظّه السّخط ؟ .

وبالجملة : فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرّزق وتقديره، فإنه سبحانه وتعالى يوسّع على الكافر لا لكرامته، ويقتر على المؤمن لا لهوانه عليه، وإنّما يكرم سبحانه وتعالى من يكرم من عباده بأن يوفّقه لمعرفته ومحبّته وعبادته واستعانته، فغاية سعادة الأبد في عبادة الله والاستعانة به عليها .

**القسم الثالث** : **من له نوع عبادة بلا استعانة**، وهؤلاء نوعان :

**أحدهما** : **أهل القدر**، القائلون بأنه سبحانه وتعالى قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدوره إعانةً على الفعل، فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها، وتعريف الطريق وإرسال الرّسول، وتمكينه من الفعل، فلم يبق بعدها إعانةً مقدورةً يسأله إياها . وهؤلاء مخذولون موكولون إلى أنفسهم، مسدودٌ عليهم طريقة الاستعانة والتّوحيد .

قال ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ : ( الإيمان بالقدر نظام التّوحيد، فمن آمن بالله وكذّب بقدره نقض توحيده ) .

**النوع الثاني : من لهم عبادة وأوراد، ولكن حظّهم ناقص من التّوكل والاستعانة،** لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، وأنها بدون المقدور، كالموت الذي لا تأثير له، بل كالعدم الذي لا وجود له، وأن القدر كالرّوح المحرّك لها، والمعوّل على المحرّك الأول، فلم تنفذ بصائرهم من السّبب إلى المسبّب، ومن الآلة إلى الفاعل، فقلّ نصيبهم من الاستعانة . وهؤلاء لهم نصيب من التصرّف بحسب استعانتهم وتوكلهم، ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قِلّة استعانتهم وتوكلهم، ولو توكّل العبد على الله حق توكّله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله .

**فإن قيل ما حقيقة الاستعانة عملاً ؟ :**

**قلنا** : هي التي يعبّر عنها بالتّوكل، وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله ـ تعالى ـ، وتفرده بالخلق والأمر والتّدبير والضّر والنّفع، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فتوجّب اعتمادًا عليه، وتفويضًا إليه، وثقةً به، فتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطّفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته، فلو دهمه ما عسى أن يدهمه من الآفات لم يلتجئ إلى غيرهما . فإن كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التّقوى، كانت له العاقبة الحميدة : ﴿ **ومن يتّق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكّل على الله فهو حسبه** ﴾ أي : كافية .

**القسم الرابع : من له استعانةٌ بلا عبادة،** وتلك حالة من شهد بتفرّد الله بالضّر والنّفع، ولم يدر بما يحبّه ويرضاه، فتوكّل عليه في حظوظه، فأسعفه بها . وهذا لا عاقبة له، سواء كانت أموالاً أو رياسات، أو جاهًا عند الخلق، أو نحو ذلك، فذلك حظّه من دنياه وآخرته .



واعلم أن العبد لا يكون متحققًا بعبادة الله - تعالى - إلاّ بأصلين :

أحدهما : متابعة الرّسول ﷺ .

والثاني : إخلاص العبودية .

والنّاس في هذين الأصلين على أربعة أقسام :

**أهل الإخلاص والمتابعة** : فأعمالهم كلها لله، وأقوالهم ومنعهم وإعطاؤهم وحبّهم وبغضهم كل ذلك لله - تعالى -، لا يريدون من العباد جزاءً ولا شكورًا، عدّوا النّاس كأصحاب القبور، لا يملكون ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا . فإنه لا يعامل أحدًا من الخلق إلاّ لجهله بالله وجهله بالخلق .

والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملاً صوابًا عاريًا منه، وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت، قال الله - تعالى - : ﴿ **ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً** ﴾، وقال : ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً** ﴾، وأحسن العمل : أخلصه وأصوبه .

فالخالص : أن يكون لله، والصواب : أن يكون على وفق سنّة رسول الله ﷺ .

وهذا هو العمل الحسن المذكور في قوله تعالى : ﴿ **ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسنٌ** ﴾، وهو العمل الصالح في قوله تعالى : ﴿ **فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحًا** ﴾، وهو الذي أمر به النّبي ﷺ في قوله : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »، وكل عمل بلا متابعة فإنه لا يزيد عامله إلاّ بعدًا من الله - تعالى -، فإن الله - تعالى - إنما يعبد بأمره، لا بالأهواء والآراء .

**الضرب الثاني : من لا إخلاص له ولا متابعة له،** وهؤلاء شرار الخلق، وهم المتزينون بأعمال الخير، يراءون بها النّاس . وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المتنسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة، فإنهم يرتكبون البدع والضلال والرّياء والسّمعة، ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا . وفي أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى : ﴿ **لا تحسبنّ الّذين يفرحون بما أتوا ويحبّون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازةٍ من العذاب ولهم عذابٌ أليم** ﴾ .

**الضرب الثالث : من هو مخلص في أعماله، لكنها على غير متابعة الأمر،** كجهال العباد، والمنتسبين إلى الزّهد والفقر، وكل من عبد الله على غير مراده . والشأن ليس في عبادة الله فقط، بل في عبادة الله كما أراد الله . ومنهم من يمكث في خلواته تاركًا للجمعة، ويرى ذلك قربة، ويرى مواصلة صوم النّهار والقيام بالليل قربة، وصيام يوم الفطر قربة، وأمثال ذلك .

**الضرب الرّابع : من أعماله على متابعة الأمر، لكنها لغير الله ـ تعالى ـ،** كطاعات المرائين . وكالرّجل قاتل رياءً وسمعةً وحمّيةً وشجاعةً وللمغنم، ويحجّ ليقال، ويقرأ ليقال، ويعلّم ويّؤلف ليقال . فهذه أعمال صالحة لكنها غير مقبولةٍ، قال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدّين حنفاء** ﴾، فلم يأمر النّاس إلاّ بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها .

والقائم بهما هم أهل : ﴿ **إيّاك نعبد وإيّاك نستعين** ﴾ .

ثم أهل مقام : ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾ هم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقّها بالإيثار والتخصيص، أربعة طرق، وهم في ذلك أربعة أصناف :

**الصنف الأول : عندهم أنفع العبادات وأفضلها وأشقها على النّفوس وأصعبها،** قالوا : لأنه أبعد الأشياء من هواها، وهو حقيقة التّعبّد، والأجر على قدر المشقّة، ورووا حديثًا ليس له أصل : « أفضل الأعمال أحمزها »

أي : أصعبها وأشقّها . وهؤلاء هم أرباب المجاهدات، والجور على النّفوس، قالوا : وإنما تستقيم النّفوس بذلك، إذ طبعها الكسل والمهاونة والإخلاد إلى الرّاحة، فلا تستقيم إلاّ بركوب الأهوال، وتحمّل المشاق .

**الصنف الثاني : قالوا : أفضل العبادات وأنفعها : التّجرّد والزّهد** في الدّنيا، والتقلل منها غاية الإمكان، وإطراح الاهتمام بها، وعدم الاكتراث لما هو منها . ثم هؤلاء قسمان :

**فعوامّهم** : ظنّوا أن هذا غاية، فشمّروا إليه وعملوا عليه، وقالوا : هو أفضل من درجة العلم والعبادة، ورأوا الزّهد في الدّنيا غاية كل عبادة ورأسها .

**وخواصهم** : رأوا هذا مقصودًا لغيره، وأن المقصود به عكوف القلب على الله ـ تعالى ـ، والاستغراق في محبّته، والإنابة إليه، والتّوكل عليه، والاشتغال بمرضاته، فرأوا أفضل العبادات : دوام ذكره بالقلب واللسان .

**ثمّ هؤلاء قسمان** :

**فالعارفون** : إذا جاء الأمر والنّهي بادروا إليه، ولو فرّقهم وأذهب جمعهم .

**والمنحرفون منهم يقولون** : المقصود من القلب جمعيّته، فإذا جاء ما يفرّقه عن الله لم يلتفتوا إليه، ويقولون :

يطالب بالأوراد من كان غافلاً فكيف بقلب كل أوقاته ورد

**ثم هؤلاء ـ أيضًا ـ قسمان** :

**منهم** : من يترك الواجبات والفرائض لجمعيّته .

**ومنهم** : من يقوم بها ويترك السّنن والنّوافل، ويعلّم العلم النّافع لجمعيّته .

**والحق** : أن الجمعيّة حظ القلب، وإجابة داعي الله حقّ الرّب، فمن آثر حقّ نفسه على حقّ ربّه فليس من العبادة في شيء .

**الصنف الثالث : رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفعٌ متعدٍّ**، فرأوه أفضل من النّفع القاصر، فرأوا خدمة الفقراء، والاشتغال بمصالح النّاس، وقضاء حوائجهم، ومساعدتهم بالجاه والمال والنّفع أفضل، لقوله ﷺ : « الخلق عيال الله، وأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله »، قالوا : وعمل العابد قاصر على نفسه، وعمل النفّاع متعدّ إلى الغير، فأين أحدهما من الآخر ؟، ولهذا كان « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » . وقد قال ﷺ لعلي : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ من حمر النّعم »، وقال ﷺ : « من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا »، وقال ﷺ : « إن ا لله وملائكته يصلّون على معلمي الناس الخير »، وقال ﷺ : « إن العالم يستغفر له من في السّموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر، والنملة في جحرها » . قالوا وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحب النّفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي تسبّب فيه . والأنبياء - عليهم الصّلاة والسّلام - إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق، وهدايتهم، ونفعهم في معاشهم ومعادهم، لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع، ولهذا أنكر النّبي ﷺ على أولئك النّفر الذين همّوا بالانقطاع والتّعبّد، وترك مخالطة النّاس . ورأى هؤلاء أن التّفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعيّة على الله بدون ذلك، قالوا : ومن ذلك العلم والتّعليم، ونحو هذه الأمور الفاضلة .

**الصنف الرّابع : قالوا أفضل العبادة : العمل على مرضاة الرّب ـ سبحانه وتعالى ـ**، وشغل كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته .

فأفضل العبادات في وقت الجهاد : الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النّهار، بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن . والأفضل في وقت حضور الضّيف : القيام بحقّه والاشتغال به . والأفضل في



وقت السّحر : الاشتغال بالصلاة والقرآن والذّكر والدّعاء . والأفضل في وقت الأذان : ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال بإجابة المؤذن . والأفضل في أوقات الصلوات الخمس : الجدّ والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أوّل الوقت، والخروج إلى المسجد وإن بعد . والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج : المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن . والأفضل في السّفر : مساعدة المحتاج، وإعانة الرّفقة، وإيثار ذلك على الأوراد والخلوة . والأفضل في وقت قراءة القرآن : جمعيّة القلب، والهمّة على تدبّره، والعزم على تنفيذ أوامره، أعظم من جمعيّة قلب من جاءه كتابٌ من السّلطان على ذلك . والأفضل في وقت الوقوف بعرفة : الاجتهاد في التّضرّع والدّعاء والذّكر . والأفضل في أيام عشر ذي الحجّة : الإكثار من التّعبّد، لا سيما التّكبير والتّهليل والتّحميد، وهو أفضل من الجهاد غير المتعيّن . والأفضل في العشر الأواخر من رمضان : لزوم المساجد، والخلوة فيها، مع الاعتكاف والإعراض عن مخالطة النّاس، والاشتغال بهم، حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن عند كثيرٍ من العلماء . والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته : عيادته وحضور جنازته، وتشييعه، وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيّتك . والأفضل في وقت نزول النّوازل وإيذاء النّاس لك : أداء واجب الصّبر مع خلطتك لهم، والمؤمن الذي يخالط النّاس ويصبر على أذاهم وإيذائهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط النّاس ولا يصبر على أذاهم، وخلطتهم في الخير أفضل من عزلتهم فيه، وعزلتهم في الشّر أفضل من خلطتهم فيه، فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله وقلّله فخلطتهم خير من اعتزالهم .

وهؤلاء هم أهل التّعبّد المطلق، والأصناف التي قبلهم أهل التّعبّد المقيّد، فمتى خرج أحدهم عن الفرع الذي تعلّق به من العبادة وفارقه؛ يرى نفسه



كأنه قد نقص ونزل عن عبادته، فهو يعبد الله ـ تعالى ـ على وجه واحد، وصاحب التّعبّد المطلق ليس له غرض في تعبّد بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبّع مرضات الله ـ تعالى ـ : إن رأيت العلماء رأيته معهم، وكذلك في الذّاكرين، والمتصدّقين، وأرباب الجمعيّة، وعكوف القلب على الله، فهذا هو الغذاء الجامع للسّائر إلى الله في كل طريق، والوافد عليه مع كل فريق .

واستحضر ههنا حديث أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ، وقول النّبي ﷺ بحضوره : « هل منكم أحدٌ أطعم اليوم مسكينًا ؟ » . قال أبو بكر : أنا . قال : « هل منكم أحدٌ أصبح اليوم صائمًا ؟ » . قال أبو بكر : أنا . قال : « هل منكم أحدٌ عاد اليوم مريضًا ؟ » . قال أبو بكر : أنا. قال ﷺ : « هل منكم أحدٌ اتبع اليوم جنازةً ؟ » . قال أبو بكر : أنا ... الحديث .

هذا الحديث روي من طريق عبد الغني بن أبي عقيل، حدّثنا نعيم بن سالم، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : ( كان رسول الله ﷺ جالسًا في جماعةٍ من أصحابه فقال : « من صام اليوم ؟ » . قال أبو بكر : أنا. قال : « من تصدّق اليوم ؟ » . قال أبو بكر : أنا . قال : « من عاد اليوم مريضًا ؟ » . قال أبو بكر : أنا . قال : « من شهد اليوم جنازةً ؟ » . قال أبو بكر : أنا . قال : « وجبت لك » . يعني : الجنّة .

ونعيم بن سالم وإن تُكلِّم فيه لكن تابعه سلمة بن وردان، وله أصل صحيح من حديث مالك، عن محمد بن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : أنّ رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنّة : يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصّلاة نودي من باب الصّلاة، ومن كان من أهل الجهاد نودي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريّان » فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ :

يا رسول الله، ما على من يدعى من هذه الأبواب كلها من ضرورة، فهل يدعى أحدٌ من هذه الأبواب كلها ؟ . قال : « نعم، وأرجو أن تكون منهم » .

هكذا رواه عن مالك موصولاً مسندًا عن يحيى بن يحيى، ومعن بن عيسى، وعبد الله بن المبارك . ورواه يحيى بن بكير، وعبد الله بن يوسف، عن مالك عن ابن شهاب، عن حميد مرسلاً . وليس هو عند القعنبي لا مرسلاً ولا مسندًا .

ومعنى قوله : « من أنفق زوجين » يعني : شيئين من نوعٍ واحدٍ، نحو درهمين، أو دينارين، أو فرسين، أو قميصين، وكذلك من صلّى ركعتين، أو مشى في سبيل الله ـ تعالى ـ خطوتين، أو صام يومين، ونحو ذلك، وإنما أراد والله أعلم أقل التكرار، وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البرّ، لأن الاثنين أقل الجمع، فهذا كالغيث أين وقع نفع، صحب الله بلا خلق، وصحب الخلق بلا نفس، إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلّى عنهم، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلّى عنها، فما أغربه بين النّاس، وما أشدّ وحشته منهم، وما أعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه .

**واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقًا أربعةً، وهم في ذلك أربعة أصناف :**

**الصنف الأول** : نفاة الحكم والتعليل، الذين يردّون الأمر إلى نفس المشيئة، وصرف الإرادة . فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلاّ لمجرّد الأمر، من غير أن يكون سببًا لسعادة في معاش ولا معاد، ولا سببًا لنجاة، وإنما القيام بها لمجرّد الأمر ومحض المشيئة، كما قالوا في الخلق : لم يخلق لغايةٍ ولا لعلّةٍ هي المقصودة به، ولا لحكمةٍ تعود إليه منه، وليس في المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسبباتها، وليس في النّار سبب للإحراق، ولا في الماء قوّة الإغراق ولا التّبريد . وهكذا الأمر عندهم سواء، لا فرق بين الخلق والأمر، ولا فرق في نفس الأمر بين المأمور والمحظور، ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا، من غير أن يقوم بالمأمور صفةٌ تقتضي حسنه ،ولا بالمنهي عنه صفةٌ تقتضي قبحه .

ولهذا الأصل لوازمٌ فاسدةٌ، وفروعٌ كثيرةٌ .

وهؤلاء غالبهم لا يجدون حلاوة العبادة ولا لذّتها، ولا يتنعّمون بها، ولهذا يسمّون الصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ والتّوحيد والإخلاص ونحو ذلك تكاليف، أي : كلّفوا بها، ولو سمّى مدّعي محبّة ملك الملوك أو غيره ما يأمره به تكليفًا لم يعد محبًّا له .

وأول من صدرت عنه هذه المقالة : الجّعد بن درهم .

**الصنف الثاني** : القدريّة النّفاة، الذين يثبتون نوعًا من الحكمة والتّعليل لا يقوم بالرّب ولا يرجع إليه، بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته، فعندهم : أن العبادات شرعت أثمانًا لما يناله العباد من الثواب والنّعيم، وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره . قالوا : ولهذا يجعلها سبحانه وتعالى عوضًا،

كقوله : ﴿ **ونودوا أن تلكم الجنّة أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾، ﴿ **هل تجزون إلاّ ما كنتم تعملون** ﴾، ﴿ **ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون** ﴾، ﴿ **إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حسابٍ** ﴾، وفي الصحيح : « إنّما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثمّ أوفيكم إيّاها » . قالوا : وقد سماها جزاءً وأجرًا وثوابًا لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله، أي : يرجع إليه . قالوا : ويدل عليه الموازنة، فلولا تعلّق الثواب بالأعمال عوضًا عليها لم يكن للموازنة معنى .

وهاتان الطائفتان متقابلتان :

فالجبريّة : لم تجعل للأعمال ارتباطًا بالجزاء البتّة، وجوّزت أن يعذّب الله من أفنى عمره في الطّاعة، وينعّم من أفنى عمره في مخالفته، وكلاهما سواء بالنسبة إليه، والكل راجع إلى محض المشيئة .

والقدرية : أوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح، وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال، وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منّة الصدقة عليه بلا ثمن، فجعلوا تفضّله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد، وإعطائه ما يعطيه أجرةً على عمله، أحبّ إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل . و لم يجعلوا للأعمال تأثيرًا في الجزاء البتّة .

والطائفتان منحرفتان عن الصّراط المستقيم، وهو : أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب، والأعمال الصّالحات من توفيق الله وفضله، وليست قدرًا لجزائه وثوابه، بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكرًا على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى، فلو عذّب أهل سمواته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالمٍ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، وتأمّل قوله تعالى : ﴿ **وتلك الجنّة التي أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ مع قوله ﷺ : « لن يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله » تجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال، والحديث ينفي دخول الجنّة بالأعمال، ولا تنافي بينهما، لأن

توارد النّفي والإثبات ليس على محلٍ واحدٍ، فالمنفي باء الثمنيّة واستحقاق الجنّة بمجرّد الأعمال، ردًّا على القدريّة المجوسيّة التي زعمت أن الفضل بالثواب ابتداء متضمن لتكدير المنّة . والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي باء السببيّة، ردًّا على القدريّة الجبريّة الذين يقولون : لا ارتباط بين الأعمال وجزائها، ولا هي أسباب لها، وإنما غايتها أن تكون أمارة .

والسنّة النبويّة هي : أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها .

وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعًا من الحق فإنها ارتكبت لأجله نوعًا من الباطل، بل أنواعًا، فهدى الله أهل السنّة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه .

**الصنف الثالث** : الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النّفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النّفس السَّبُعيّة والبهيميّة، فلو عطلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم، فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول، فتصير قابلةً لانتقاش صور المعارف فيها .

وهذا يقوله طائفتان :

إحداهما : من يقرب إلى الإسلام والشرائع . من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار .

والطائفة الثانية : من تفلسف من صوفيّة الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة، فإنهم يزعمون أن العبادات رياضات لاستعداد النّفوس للمعارف العقليّة ومخالفة العوائد .

ثمّ مِن هؤلاء من لا يوجب العبادة إلاّ بهذا المعنى، فإذا حصل لها ذلك بقي متحيرًا في لفظ أوراده والاشتغال بالوارد منها .

ومنهم : من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها، وهم صنفان ـ أيضًا ـ :



أحدهما : من يقول بوجوبها حفظًا للقانون، وضبطًا للناموس .

والآخرون : يوجبونها حفظًا للوارد، وخوفًا من تدرّج النّفس بمفارقتها إلى حالها الأولى من البهيميّة .

فهذه نهاية أقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لأجله .

ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاث، أو مجموعها .

**والصنف الرّابع** : هم القائلون بالجمع بين الخلق والأمر، والقدر والسبب، فعندهم أن سرّ العبادة وغايتها مبني على معرفة حقيقة الإلهيّة ، ومعنى كونه سبحانه وتعالى إله : أن العبادة موجَب الإلهية وأثرها ومقتضاها، وارتباطها كارتباط متعلق الصفات بالصفات، وكارتباط المعلوم بالعلم، والمقدور بالقدرة، والأصوات بالسّمع، والإحسان بالرّحمة، والإعطاء بالجود .

فعندهم : من قام بمعرفتها على نحو الذي فسرناها به لغةً وشرعًا مصدرًا وموردًا استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها به، وعلم أنها هي الغاية التي خلقت لها العباد، ولها أرسلت الرّسل، وأنزلت الكتب، وخلقت الجنّة والنّار . وقد صرّح سبحانه وتعالى بذلك في قوله : ﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾، فالعبادة هي التي ما وجدت الخلائق كلها إلاّ لأجلها، كما قال تعالى : ﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدًى** ﴾ أي : مهملاً . قال الشافعي - رحمه الله - : ( لا يؤمر ولا ينهى ) . وقال غيره : ( لا يثاب ولا يعاقب )، وهما تفسيران صحيحان، فإن الثواب والعقاب مترتبان على الأمر والنّهي، والأمر والنّهي هو طلب العبادة وإرادتها . وحقيقة العبادة : امتثالها . ولهذا قال تعالى : ﴿ **ويتفكّرون في خلق السّموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **وما خلقنا السّموات والأرض وما بينهما إلاّ**

**باِلحقّ ﴾**، وقال تعالى : ﴿ **وخلق الله السّموات والأرض بالحقّ ولتجزى كلّ نفسٍ بما كسبت ﴾**، فأخبر الله ـ تعالى ـ أنه خلق السّموات والأرض بالحق المتضمّن أمره ونهيه وثوابه وعقابه . فإذا كانت السّموات والأرض إنما خلقتا لهذا وهو غاية الخلق، فكيف يقال : إنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة، أو إن ذلك بمجرّد استئجار العمّال حتى لا يتكدّر عليهم الثواب بالمنّة، أو لمجرّد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضها لمخالفة العوائد ؟! .

وإذا تأمّل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال، وبين ما دلّ عليه صريح الوحي؛ علم أن الله ـ تعالى ـ إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبّته، مع الخضوع له والانقياد لأمره .

**فأصل العبادة** : محبّة الله، بل إفراده تعالى بالمحبّة، فلا يحبّ معه سواه، وإنما يحبّ ما يحبّه لأجله وفيه، كما يحبّ أنبياءه ورسله وملائكته، لأن محبّتهم من تمام محبّته، وليست كمحبّة من اتّخذ من دونه أندادًا يحبّهم كحبّه .

وإذا كانت المحبّة له هي حقيقة عبوديّته وسرّها، فهي إنما تتحقق باتّباع أمره واجتناب نهيه، فعند اتّباع الأمر والنّهي تتبيّن حقيقة العبوديّة والمحبّة، ولهذا جعل سبحانه وتعالى اتّباع رسوله ﷺ عَلَمًا عليها وشاهدًا لها، كما قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله** ﴾، فجعل اتّباع رسوله ﷺ مشروطًا بمحبّتهم لله ـ تعالى ـ وشرطًا لمحبّة الله لهم، ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع . فعلم انتفاء المحبّة عند انتفاء المتابعة للرّسول ﷺ، ولا يكفي ذلك حتى يكون الله ورسوله ﷺ أحبّ إليه مما سواهما، ومتى كان عنده شيءٌ أحبّ إليه منهما فهو الإشراك الذي لا يغفره الله، قال تعالى : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتّى يأتي الله بأمره والله**

**لا يهدي القوم الفاسقين ﴾**، وكل من قدّم قول غير الله على قول الله، أو حكم به، أو حاكم إليه؛ فليس ممن أحبّه . لكن قد يشتبه الأمر على من يقدّم قول أحد أو حكمه أو طاعته على قوله، ظنًا منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول إلاّ ما قال الرّسول ﷺ فيطيعه، ويحاكم إليه، ويتلقّى أقواله كذلك، فهذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك . وأمّا إذا قدر على الوصول إلى الرّسول ﷺ، وعرف أن غير من اتّبعه أولى به مطلقًا، أو في بعض الأمور، كمسألةٍ معيّنةٍ، ولم يلتفت إلى قول الرّسول ﷺ، ولا إلى من هو أولى به؛ فهذا يخاف عليه . وكلّ ما يتعلل به من عدم العلم، أو عدم الفهم، أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدّين، أو الاحتجاج بالأشباه والنظائر، أو بأن ذلك المتقدّم كان أعلم مني بمراده ﷺ، فهذه كلها تعلّلات لا تفيد .

هذا مع الإقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم، إلاّ أن ينازع في هذه القاعدة فتسقط مكالمته، وهذا هو داخل تحت الوعيد، فإن استحلّ مع ذلك أت آإا



**وعمل القلب** : كالمحبّة له، والتّوكّل عليه، والإنابة، والخوف، والرجاء، والإخلاص، والصّبر على أوامره ونواهيه، وإقراره، والرّضا به، وله، وعنه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، والإخبات إليه، والطّمأنينة، ونحو ذلك من أعمال القلوب التي فرضها آكد من فرض أعمال الجوارح، ومستحبّها إلى الله - تعالى - أحبّ من مستحبّ أعمال الجوارح .

**وأمّا أعمال الجوارح** : فكالصلاة، والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك .

فقول العبد في صلواته : ﴿ **إيّاك نعبد** ﴾ التزام أحكام هذه الأربعة وإقرار بها . وقوله : ﴿ **وإيّاك نستعين** ﴾ طلب الإعانة عليها والتوفيق لها . وقوله : ﴿ **اهدنا الصّراط المستقيم** ﴾ متضمّنٌ للأمرين على التفصيل وإلهام القيام بهما، وسلوك طريق السّالكين إلى الله - تعالى - .

والله الموفّق بمنّه وكرمه .

والحمد لله وحده .

وصلّى الله على من لانبيّ بعده، وعلى آله وصحبه ووارثيه وحزبه .

تمّ الكتاب

والحمد لله أولاً وآخرًا

# بيان حقيقة التوحيد
# الذي جاءت به الرّسل
## ودحض الشبهات التي أثيرت حوله

بقلم الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد اللّه الفوزان
الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء بالرياض





# بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التي أثيرت حوله

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد خاتم الرّسل ومن تمسَّك بسنّته وسار على نهجه إلى يوم الدين .

**أمّا بعد :**

فإن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بنيان الأمم، فصلاح كل أمّة ورقيّها مربوط بسلامة عقيدتها وسلامة أفكارها، ومن ثمّ جاءت رسالات الأنبياء - عليهم الصلاة والسّلام - تنادي بإصلاح العقيدة . فكل رسول يقول لقومه أوّل ما يدعوهم : ﴿ **اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره** ﴾ (١) .

﴿ **ولقد بعثنا في كلِّ أمّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت** ﴾ (٢) .

وذلك لأنّ الله - سبحانه - خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون** ﴾ (٣) .

والعبادة حق الله على عباده، كما قال النّبيّ ﷺ لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - : « أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ » قال : « حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا . وحق

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة النّحل، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الذاريات، الآية : ٥٦ .

العباد على الله : أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئًا » [(١)] .

وهذا الحق هو أوّل الحقوق على الإطلاق لا يسبقه شيء ولا يتقدمه حق أحد . قال تعالى : ﴿ **وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحسانًا** ﴾ [(٢)] الآية .

وقال تعالى : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرّم ربّكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا** ﴾ [(٣)] الآيات .

ولأسبقية هذا الحق وأولويته على سائر الحقوق، وكونه الأساس الذي ينبني عليه سائر أحكام الدين؛ نرى النّبيّ لبث في مكّة ثلاث عشرة سنة يدعو النّاس إلى القيام به ونفي الإشراك عنه . وجاء القرآن الكريم في معظم آياته بتقريره ونفى الشُّبَه عنه، وكل مصلٍّ فرضًا أو نفلاً يعاهد الله على القيام به في قوله : ﴿ **إيّاك نعبد وإيّاك نستعين** ﴾ [(٤)] .

وهذا الحق العظيم يسمّى **توحيد العبادة أو توحيد الإلهيّة، أو توحيد الطلب والقصد** ـ أسماء لمسمّى واحد ـ، وهذا التّوحيد مركوز في الفطر : « كل مولود يولد على الفطرة »، وإنّما يطرأ الانحراف عنه بسبب التربية الفاسدة : « فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » [(٥)] .

وهذا التّوحيد أصيل في العالم والشرك طارئ عليه ودخيل فيه، قال تعالى : ﴿ **كان النّاس أمّةً واحدةً فبعث الله النّبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه** ﴾[(٦)]، وقال تعالى : ﴿ **وما كان النّاس**

(١) الحديث رواه البخاري (١٣/٣٠٠) في التّوحيد ومسلم برقم ٣٠ في الإيمان .

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٢٣ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٥١ .

(٤) سورة الفاتحة، الآية : ٥ .

(٥) من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٠٤٧/) .

(٦) سورة البقرة، الآية : ٢١٣ .

**إلاّ أمّةً واحدةً فاختلفوا** ﴾[١].

قال ابن عبّاس - رضي الله عنهما - : ( كان بين آدم ونوح عليهما الصّلاة والسّلام عشرة قرون كلّهم على الإسلام )[٢] . قال العلاّمة ابن القيّم : ( هذا هو القول الصّحيح في الآية وذكر ما يعضده من القرآن )[٣]. وصحّحه - أيضًا - الحافظ ابن كثير في تفسيره .

وأوّل ما حدث الشرك في قوم نوح، حين غلوا في الصالحين واستكبروا عن دعوة نبيّهم : ﴿ **وقالوا لا تذرنّ ءالهتكم ولا تذرنّ ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا** ﴾[٤] .

قال البخاري - رحمه الله - في صحيحه[٥] عن ابن عبّاس - رضي الله عنهما - : ( هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجالسون فيها أنصابًا وسمّوها بأسمائهم . ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت ) قال الإمام ابن القيّم[٦] - رحمه الله - : ( قال غير واحد من السّلف : لمّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثمّ صوّروا تماثيلهم، ثمّ طال عليهم الأمد فعبدوهم ) . ثمّ قال[٧] رحمه الله : ( وقد تلاعب الشّيطان بالمشركين في عبادة الأصنام بكل قومٍ على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوّروا تلك الأصنام على صورهم، كما في قوم

---

(١) سورة يونس، الآية : ١٩ .
(٢) انظر تفسير ابن كثير (١/٢٥٠) .
(٣) انظر إغاثة اللهفان (٢/٢٠١) .
(٤) سورة نوح، الآية : ٢٣ .
(٥) انظر صحيح البخاري (٦/١٣٣) .
(٦) انظر إغاثة اللهفان (٢/٢٠٢) .
(٧) انظر إغاثة اللهفان (٢/٢١٨، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣) .

نوح، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين . وأمّا خواصّهم فاتخذوا الأصنام على صور الكواكب المؤثرة في العالم بزعمهم، وجعلوا لهم بيوتًا وسدنةً وحجّابًا وقربانًا . ولم يزل هذا في الدنيا قديمًا وحديثًا .

وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة، وهم قوم إبراهيم - عليه السلام -، الذين ناظرهم في بطلان الشّرك وكسر حجّتهم بعلمه وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريقه .

وطائفةً أخرى اتخذت للقمر صنمًا، وزعموا أنّه يستحق العبادة، وإليه تدبير هذا العالم السفلي .

وطائفةً تعبد النّار وهم المجوس، فيبنون لها بيوتًا كثيرةً، ويتخذون لها الوقوف والسّدنة والحجّاب، فلا يدعونها تخمد لحظةً واحدةً .

وطائفةً تعبد الماء، تزعم أنّ الماء أصل كلّ شيء وبه كلّ ولادةٍ ونمو ونشوء وطهارة وعمارة .

وطائفةً تعبد الحيوانات : فطائفة عبدت الخيل، وطائفة عبدت البقر، وطائفة عبدت البشر الأحياء والأموات، وطائفة تعبد الجنّ، وطائفة تعبد الشجر، وطائفة تعبد الملائكة ) انتهى كلام ابن القيّم - رحمه الله - .

**ومن الأثر الذي مرّ من رواية البخاري عن ابن عبّاس في بيان سبب حدوث الشرك في قوم نوح ..**

**ندرك أولاً** : خطورة تعليق الصور على الجدران ونصب التماثيل في المجالس والميادين، وأنّ ذلك يؤول بالنّاس إلى الشرك، بحيث يتطور تعظيم تلك الصور والتماثيل إلى عبادتها واعتقاد جلب الخير ودفع الشّر منها، كما حدث لقوم نوح .

**ندرك ثانيًا** : مدى حرص الشّيطان على إضلال بني آدم ومكره بهم، وأنّه قد يأتيهم من ناحية استغلال العواطف ودعوى الترغيب في الخير، فإنه لّما رأى في قوم نوح ولوعهم في الصالحين ومحبّتهم لهم دعاهم إلى الغلو في



هذه المحبّة، بحيث أمرهم بنصب صورهم على المجالس، وهدفه من هذا الخروج بهم عن جادة الصّواب .

**ندرك ثالثًا** : أنّ الشيطان لا يقصر نظره على إغواء الأجيال الحاضرة، بل يمتد إلى الأجيال المستقبلة، فإنّه لمّا لم يتمكّن من إيقاع الشرك في الجيل الحاضر من قوم نوح طمع في الجيل المقبل ونصب له الأحبولة .

**ندرك رابعًا** : أنّه لا يجوز التساهل في وسائل الشّر، بل يجب قطعها وسد بابها .

**ندرك خامسًا** : فضل العلماء العاملين، وأنّ وجودهم في النّاس خير، وفقدانهم شر، فإنّ الشيطان لم يتمكن من إغواء القوم حتى فقدوا .

# أنواع التوحيد

**إنّ التّوحيد نوعان** : توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبيّة، المتمثّل بالإقرار بالخالق، وانفراده بالخلق والتّدبير والإحياء والإماتة وجلب الخير ودفع الشّر . وهذا النّوع لا يكاد ينازع فيه أحد من الخلق، حتى أنّ المشركين كانوا يقرّون به مع شركهم ولا ينكرونه، كما ذكر الله ـ تعالى ـ عنهم في قوله : ﴿ **قل من يرزقكم من السّماء والأرض أمّن يملك السّمع والأبصار ومن يُخرج الحيّ من الميّت ويُخرج الميّت من الحيّ ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتّقون** ﴾ [(١)] . وأمثالها من الآيات كثير .

وفيها البيان الواضح بأنّ المشركين كانوا يقرّون بهذا النّوع من التّوحيد، وإنّما كانوا يجحدون النوع الثاني منه، وهو توحيد العبادة، المتمثّل في إفراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ في الطّلب والقصد في كل ما يصدر من العبد من أنواع العبادة ، كما تدل عليه وتعبّر عنه كلمة ( لا إله إلاّ الله )، إنّ هذه الكلمة تثبت العبادة بجميع أنواعها لله وحده وتنفيها عمّا سواه، ولهذا لّما طلب النّبيّ ﷺ من المشركين أن يقولوها امتنعوا وقالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إنّ هذا لشيءٌ عُجابٌ** ﴾ [(٢)] لعلمهم أنّ من قالها فقد اعترف ببطلان عبادة كل ما سوى الله وأثبت العبادة لله وحده، فإنّ الإله معناه : المعبود، ( والعبادة اسم جامع لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة )، فمن نطق بهذه الكلمة وهو مع هذا يدعو غير الله فقد تناقض مع نفسه .

---

(١) سورة يونس، الآية : ٣١ .

(٢) سورة ص، الآية : ٥ .

والعلاقة بين توحيد الربوبيّة وتوحيد الإلهيّة هي التلازم، بمعنى : أنّ الإقرار بتوحيد الربوبيّة يوجب الإقرار بتوحيد الإلهيّة، والقيام به ظاهرًا وباطنًا . ولهذا كان الرّسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ يطالبون أممهم بذلك، ويحتجّون عليهم بما يعترفون به من توحيد الربوبيّة، كما قال تعالى : ﴿ **ذلكم الله ربّكم لا إله إلاّ هو خالق كلِّ شيءٍ فاعبدوه وهو على كلِّ شيءٍ وكيلٌ** ﴾[1]، ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السّموات والأرض ليقولنّ الله قُل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إنْ أرادني الله بضرٍّ هل هنَّ كاشفات ضرّه أو أرادني برحمةٍ هل هنَّ ممسكات رحمته** ﴾[2] .

فالإقرار بتوحيد الربوبيّة مركوز في الفطر، لا يكاد ينازع فيه أحد من المشركين، ولم يعرف عن أحد من طوائف العالم إنكار هذا النّوع إلاّ الدهرية الذين يجحدون الخالق، ويزعمون أنّ العالم يسير بنفسه من غير مدبّر له، كما قال الله عنهم : ﴿ **وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يُهلكنا إلاّ الدّهر** ﴾، فردّ الله عليهم بقوله : ﴿ **وما لهم بذلك من علمٍ إن هم إلاّ يظنّون** ﴾[3] .

فهم لم يبنوا إنكارهم هذا على برهان دلّهم عليه بل على مجرّد ظن، والظّن لا يغني من الحق شيئًا، كما لم يستطيعوا الإجابة عن قوله تعالى : ﴿ **أم خلقوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون ۞ أم خلقوا السّموات والأرض بل لا يوقنون** ﴾[4]، ولا عن قوله تعالى : ﴿ **هذا خلق الله فأروني ماذا خلق**

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٠٢ .
(٢) سورة الزمر، الآية : ٣٨ .
(٣) سورة الجاثية، الآية : ٢٤ .
(٤) سورة الطور، الآيتان : ٣٥ ـ ٣٦ .



**الذين من دونه** ﴾ [١]، ﴿ **قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شركٌ في السّموات** ﴾ [٢] .

ومن تظاهر بجحد هذا النّوع من التّوحيد كفرعون فهو مقرٌّ به في الباطن، كما قال الله ـ تعالى ـ عنه : ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلاّ ربُّ السّموات والأرض** ﴾ [٣]، وقال عنه وعن قومه : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظُلمًا وعلوًّا** ﴾ [٤] .

وقال تعالى عن الأمم الأولى :

﴿ **وعادًا وثمود وقد تبيّن لكم من مساكنهم وزيّن لهم الشّيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل وكانوا مستبصرين** ﴾ [٥] .

وهذا النوع من التّوحيد كما لم يذهب إلى جحده طائفةٌ معروفةٌ من بني آدم، كذلك في الغالب لم يقع فيه شرك، فالكل مقرون بأنّ الله هو المنفرد بالخلق والتّدبير، ولم يثبت عن أحد من طوائف العالم إثبات خالقين متساويين في الصّفات والأفعال، فالثانوية من المجوس الذين يجعلون للعالم خالقين : خالقًا للخير وهو النّور، وخالقًا للشّر وهو الظلمة، لا يسوون الظلمة بالنّور، فالنّور عندهم هو الأصل، والظلمة حادثة، وهم متفقون على أنّ النّور خيرٌ من الظلمة . وكذلك النّصارى القائلون بالتثليث، لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب منفصل بعضهم عن بعض، بل هم متفقون على أنّ خالق العالم واحد، ويقولون : إنّ الأب هو الإله الأكبر .

---

(١) سورة لقمان، الآية : ١١ .

(٢) سورة الأحقاف، الآية : ٤ .

(٣) سورة الإسراء، الآية : ١٠٢ .

(٤) سورة النّمل، الآية : ١٤ .

(٥) سورة العنكبوت، الآية : ٣٨ .



والحاصل أنّ إثبات توحيد الربوبيّة محلّ وفاق، والشرك فيه قليل، ولكن الإقرار به وحده لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بدّ مع ذلك أن يأتي بلازمه، وهو : توحيد الإلهيّة، فإنّ الأمم الكفرية كانت تقرّ بتوحيد الربوبيّة، خصوصًا مشركي العرب الذين بعث فيهم خاتم الرّسل ﷺ، و لم يكونوا بهذا مسلمين لمّا لم يأتوا بتوحيد الإلهيّة، والمستقرئ لآيات القرآن الكريم يجد أنّها تطالب بتوحيد الإلهيّة، وتستدل عليه بتوحيد الربوبيّة، فهي تطالب المشركين بما جحدوه وتستدل عليه بما أثبتوه . فهي تأمر بتوحيد العبادة، وتخبر عن إقرارهم بتوحيد الربوبيّة، فتذكر توحيد العبادة في سياق الطلب، وتوحيد الربوبيّة في سياق الخبر .

وأوّل أمر جاء في المصحف هو قوله تعالى : ﴿ **يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتقون ۞ الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسّماء بناءً وأنزل من السّماء ماءً فأخرج به من الثّمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون** ﴾ [١] .

وكثيرًا ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة، والأمر به، والجواب عن الشُّبه الموجّهة إليه، وكلّ سورة في القرآن بل كلّ آية في القرآن فهي داعيةٌ إلى هذا التّوحيد، لأنّ القرآن إمّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو توحيد الربوبيّة . وإمّا دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه، وهذا هو توحيد الإلهيّة . وإمّا خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء توحيده . وإمّا خبر عن أهل الشرك وعن جزائهم في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التّوحيد . وإمّا أحكام وتشريع، وهذا من حقوق التّوحيد، فإنّ التّشريع حق لله وحده .

وهذا التّوحيد بجميع أنواعه وحقوقه تضمّنته كلمةٌ واحدةٌ هي : ( لا إله

(١) سورة البقرة ، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ .

إلاّ الله )، فإنّها تتضمّن نفيًا وإثباتًا . نفي الإلهيّة الحقّة عن كل ما سوى الله وإثباتها لله وحده . كما تتضمّن : ولاءً وبراءً؛ ولاء لله وبراء مما سواه .

ودين التّوحيد قائمٌ على هذين الأساسين، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ إنّه قال لقومه : ﴿ **إنّني براءٌ مما تعبدون ۝ إلاّ الذي فطرني فإنّه سيهدين** ﴾ [(١)]. وهذا منهاج كلّ رسول يبعثه الله، قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كلّ أمّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت** ﴾ [(٢)]، وقال تعالى : ﴿ **فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروةِ الوثقى لا انفصام لها** ﴾ [(٣)] .

فمن قال : ( لا إله إلاّ الله ) فقد أعلن البراءة من عبادة كل ما سوى الله، والتزم القيام بعبادة الله، وذلك عهد يقطعه الإنسان على نفسه : ﴿ **فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا** ﴾ [(٤)] .

فلا إله إلاّ الله : إعلان لتوحيد العبادة، لأنّ الإله معناه : المعبود، فمعناها : لا معبود بحق إلاّ الله .

فمن قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانيّة لله، مع اعتقاد ذلك والعمل به فهو المسلم حقًا .

ومن قالها وعمل بمقتضاها ظاهرًا من غير اعتقاد في القلب فهو المنافق .

ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لمدلولها فهو الكافر، ولو قالها مرارًا وتكرارًا، كحال عُبّاد القبور اليوم، الذين ينطقون بهذه

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) سورة النّحل، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٥٦ .

(٤) سورة الفتح، الآية : ١٠ .



الكلمة ولا يفقهون معناها، ولا يكون لها أثر في تعديل سلوكهم وتصحيح أعمالهم، فتراه يقول : لا آله إلاّ الله، ثمّ يقول : المدد يا عبد القادر، يا بدوي، يا فلان يا فلان، يستنجد بالأموات، ويستغيث بهم في الملمات .

إنّ المشركين الأوّلين عرفوا من معنى هذه الكلمة ما لم يعرفه هؤلاء، حيث أدركوا أن الرّسول ﷺ حينما قال لهم : « قولوا : لا إله إلاّ الله » فقد طلب منهم ترك عبادة الأصنام وعبادة الله وحده، ولهذا قالوا :﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا** ﴾ [١] .

وقال قوم هود : ﴿ **أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا** ﴾[٢] .

وقال قوم صالح له : ﴿ **أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا** ﴾ [٣] .

وقال قوم نوح له من قبل : ﴿ **وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا** ﴾ [٤] .

هذا ما فهمه الكفّار من معنى : لا إله إلاّ الله؛ أنّه ترك لعبادة الأصنام، وإقبالٌ على عبادة الله وحده، فلهذا أَبَوا النّطق بها، لأنّه لا يجتمع مع عبادة اللات والعزّى ومناة .

وعُبّاد القبور اليوم لا يدركون هذا التناقض، فهم ينطقون بها مع بقائهم على عبادة الأموات .

وبعضهم يفسّر الإله بأنّه : القادر على الاختراع والخلق والإيجاد [٥]،

---

(١) سورة ص، الآية : ٥ .
(٢) سورة الأعراف، الآية : ٧٠ .
(٣) سورة هود، الآية : ٦٢ .
(٤) سورة نوح، الآية : ٢٣ .
(٥) كما هو مذكور في كتب العقائد المؤلفة على طريقة علماء الكلام، وانظر مثلاً : "رسالة التّوحيد" لمحمد عبده .

فيكون معنى ( لا إله إلاّ الله ) عنده : لا قادر على الاختراع إلاّ الله . وهذا من أفحش الخطأ، فإنّ من فسّرها بذلك لم يزد على ما أقرّ به الكفّار، فإنّهم كانوا يقرّون بأنه : لا يقدر على الاختراع والخلق والرّزق والإحياء والإماتة إلاّ الله، كما ذكر الله - تعالى - ذلك عنهم و لم يصيروا به مسلمين .

نعم، هذا المعنى الذي يذكرونه داخل في معنى لا إله إلاّ الله، لكن ليس هو المقصود من هذه الكلمة .

# الشرك في توحيد العبادة

والشرك في العبادة هو صرفها أو صرف شيء منها لغير الله . وقد ألمحنا فيما سبق إلى مبدأ حدوثه في الأرض، ولا زال مستمرًا في الخلق إلاّ من رحم الله .

**وهذا الشرك نوعان :**

**شرك أكبر يُخرج من الملّة،** كالذّبح لغير الله ودعاء غير الله، أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله .

**وشرك أصغر لا يخرج من الملّة،** لكنه ينقص التّوحيد، وقد يتمادى بصاحبه حتى يقع في الشرك الأكبر، وذلك كالحلف بغير الله، وكثير الرياء، وقول : ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت . وما أشبه ذلك من الألفاظ التي تجري على اللسان ولا يقصد معناها .

وقد كثر الشرك في هذه الأمّة، واستشرى أمره بسبب ابتعاد أكثر الناس عن الكتاب والسنّة، وتقليدهم للآباء والأجداد على غير هدى، وبسبب الغلو في تعظيم الموتى والبناء على قبورهم، وبسبب الجهل بحقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ : ( إنّما تنقض عرى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية )، وبسبب رواج الشُّبه والحكايات التي ضلّ بها أكثر النّاس واعتبروها أدلّةً يستندون إليها في تبرير ما هم عليه .

وهذه الشُّبه منها ما أدلى به مشركو الأمم السابقة، ومنها ما أدلى به مشركو هذه الأمّة .

**ومن هذه الشُّبه :**

**أولاً :** شبهة تكاد تكون مشتركة بين طوائف المشركين في مختلف الأمم

قديمًا وحديثًا، وهي : شبهة الاحتجاج بما عليه الآباء والأجداد، وأنّهم ورثوا هذه العقيدة عنهم، كما قال تعالى : ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذيرٍ إلاّ قال مُترفوها إنّا وجدنا آباءنا على أمّةٍ وإنّا على آثارهم مقتدون** ﴾ (١) .

وهذه حجّة يلجأ إليها كل من يعجز عن إقامة الدليل على دعواه، وهي حجّةٌ داحضةٌ لا يقام لها وزن في سوق المناظرة، فإنّ هؤلاء الآباء الذين قلّدوهم ليسوا على هدى، ومن كان كذلك لا تجوز متابعته والاقتداء به، قال تعالى : ﴿ **أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون** ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون** ﴾ (٣) .

وإنّما يكون الإقتداء بالآباء محمودًا إذا كانوا على حق، قال تعالى عن يوسف ـ عليه السلام ـ : ﴿ **واتّبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيءٍ ذلك من فضل الله علينا وعلى النّاس ولكنّ أكثر النّاس لا يشكرون** ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا واتّبعتهم ذريّتهم بإيمانٍ ألحقنا بهم ذريّتهم** ﴾(٥).

وهذه الشُّبهة متغلغلة في نفوس المشركين، يقابلون بها دعوات الأنبياء ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ .

فقوم نوح لّما قال لهم نوح : ﴿ **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره أفلا تتّقون ۞ فقال الملأُ الذين كفروا من قومه ما هذا إلاّ بشرٌ مثلكم يريد أن**

---

(١) سورة الزخرف، الآية : ٢٣ .
(٢) سورة المائدة، الآية : ١٠٤ .
(٣) سورة البقرة، الآية : ١٧٠ .
(٤) سورة يوسف، الآية : ٣٨ .
(٥) سورة الطور، الآية : ٢١ .



**يتفضّل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكةً ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين** ﴾[١].

فجعلوا ما عليه آباؤهم حجّة يعارضون بها ما جاءهم به نبيّهم نوح ـ عليه السّلام ـ .

وقوم صالح يقولون له : ﴿ **أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا** ﴾ [٢] .

وقوم شعيب يقولون له : ﴿ **أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا** ﴾[٣].

وقوم إبراهيم يقولون له لمّا أفحمهم بالحجّة وقال لهم : ﴿ **ما تعبدون ۞ قالوا نعبد أصنامًا فنظلُّ لها عاكفين ۞ قال هل يسمعونكم إذْ تدعون ۞ أو ينفعونكم أو يضرّون ۞ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون** ﴾ [٤] .

وقال فرعون لموسى : ﴿ **قال فما بال القرون الأولى** ﴾ [٥] .

وهكذا الكفر ملّةٌ واحدةٌ، لا يملك أهله حجّة يدفعون بها الحق إلاّ هذه الحجّة الواهية .

**ثانيًا** : الشبهة التي أدلى بها مشركوا قريش وغيرهم، وهي الاحتجاج بالقدر على تبرير ما هم عليه من الشّرك، قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ **سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيءٍ** ﴾ [٦] الآية .

وقال في سورة النّحل : ﴿ **وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيءٍ نحن ولا آباؤنا ولا حرّمنا من دونه من شيءٍ** ﴾ [٧] .

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان : ٢٣ ـ ٢٤ .
(٢) سورة هود، الآية : ٦٢ .
(٣) سورة هود، الآية : ٨٧ .
(٤) سورة الشعراء، الآيات : ٧٠ ـ ٧٤ .
(٥) سورة طه، الآية : ٥١ .
(٦) سورة الأنعام، الآية : ١٤٨ .
(٧) سورة النّحل، الآية : ٣٥ .

وقال في سورة الزخرف : ﴿ **وقالوا لو شاء الرّحمن ما عبدناهم** ﴾ [١] .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند آية الأنعام [٢] : ( مناظرة ذكرها الله ـ تعالى ـ، وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرّموه : بأنّ الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتّحريم لما حرّموه، وهو قادر على تغييره، بأن يلهمنا الإيمان، ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيّره؛ فدلّ على أنّه بمشيئته وإرادته ورضاه منّا بذلك . ـ قال : ـ وهي حجّةٌ داحضةٌ باطلة، لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمّر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام : ﴿ **قل هل عندكم من علم** ﴾ أي : بأنّ الله راضٍ عنكم فيما أنتم فيه، ﴿ **فتخرجوه لنا** ﴾ أي : فتظهروه لنا وتبيّنوه وتبرزوه، ﴿ **إن تتّبعون إلاّ الظنّ** ﴾ أي : الوهم والخيال، ﴿ **وإن أنتم إلا تخرصون** ﴾ تكذبون على الله فيما ادعيتموه ) انتهى .

وقال عند تفسير آية النّحل [٣] : ( ومضمون كلامهم : أنّه لو كان الله تعالى كارهًا لما فعلناه لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكّننا منه . قال الله ـ تعالى ـ رادًّا عليهم شبهتهم : ﴿ **فهل على الرّسل إلاّ البلاغ المبين** ﴾، ﴿ **ولقد بعثنا في كلِّ أمّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت ۞ فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضّلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين** ﴾ [٤] أي : ليس الأمر كما تزعمون أنّه لم ينكره عليكم، بل قد أنكره عليكم أشدّ الإنكار، ونهاكم عنه آكد النهي، وبعث ﴿ **في كلِّ أمّةٍ** ﴾ أي : في كل قرن وطائفةٍ من النّاس رسولاً، وكلّهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه، ﴿ **أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت** ﴾ فلم يزل

---

(١) سورة الزخرف، الآية : ٢٠ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٨٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٥٨٦ ـ ٥٨٧) .

(٤) سورة النّحل، الآية : ٣٦ .



تعالى يرسل إلى النّاس الرّسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم، في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوحًا، وكان أوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجنّ والمشارق والمغارب ) .

وكلّهم كما قال الله - تعالى - :﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون** ﴾ [1]، وقوله تعالى : ﴿ **وسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرّحمن آلهةً يُعبدون** ﴾ [2]، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ **ولقد بعثنا في كلّ أمّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت** ﴾ [3] .

فكيف يسوغ لأحدٍ من المشركين بعد هذا أن يقول : ﴿ **لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء** ﴾ فمشيئة الله - تعالى - الشرعية عنهم منتفية، لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله . وأما مشيئته الكونيّة وهي تمكينهم من ذلك قدرًا فلا حجّة لهم فيها، قال : ( ثمّ إنّه تعالى قد أخبر أنّه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرّسل ) انتهى .

فهم لم يريدوا بهذا الكلام الاعتذار عن ارتكاب القبيح، لأنّهم لا يعتقدون قبح أفعالهم بل هم ﴿ **يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا** ﴾، وهم إنّما يعبدون الأصنام ليقرّبوهم إلى الله زلفى، فلم يريدوا بذلك إلاّ الاحتجاج على أنّ ما ارتكبوه حقٌ ومشروع ومرضي عند الله، فردّ عليهم سبحانه بأنّه لو كان الأمر كذلك لما بعث الرّسل لإنكاره ولما عاقبهم عليه .

**ثالثًا** : ومن شُبههم : ظنّهم أنّ مجرّد النطق بلا إله إلاّ الله يكفي لدخول الجنّة، ولو فعل الإنسان ما فعل من المكفرات والشركيات، متمسكين

---

(١) سورة الأنبياء، الآية : ٢٥ .

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٤٥ .

(٣) سورة النّحل، الآية : ٣٦ .

بظواهر الأحاديث التي ورد فيها : أنّ من نطق بالشهادتين حُرِّمَ على النّار .

**والجواب على هذه الشبهة** : أنّ الأحاديث المذكورة محمولة على من قال لا إله إلاّ الله ومات عليها، ولم يناقضها بشرك، بل قالها خالصًا من قلبه مع كفره بما يعبد من دون الله، ومات على ذلك، كما في حديث عتبان : « فإنّ الله قد حرّم على النّار من قال لا إله إلاّ الله يبتغي بذلك وجه الله » [(١)] .

وفي صحيح مسلم[(٢)] : « من قال : لا إله إلاّ الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه وحسابه على الله »، فعلّق النّبيّ ﷺ عصمة المال والدم بأمرين : الأول : قول لا إله إلاّ الله . والثاني : الكفر بما يعبد من دون الله . فلم يكتفِ باللفظ المجرّد عن المعنى، بل لا بد من قولها والعمل بها .

فقول : لا إله إلاّ الله سبب لدخول الجنّة والنّجاة من النّار، ومقتضٍ لذلك، ولكن السبب والمقتضى لا يعمل عملهُ إلاّ إذا تحققت شروطه وانتفت موانعه .

قيل للحسن ـ رحمه الله ـ : ( إنّ أناسًا يقولون : من قال لا إله إلاّ الله دخل الجنّة )، فقال : ( من قال لا إله إلاّ الله، فأدّى حقّها وفرْضها دخل الجنّة ) .

وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلاّ الله مفتاح الجنّة قال : ( بلى، ولكن ما من مفتاح إلاّ وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلاّ لم يفتح ) .

فكيف يقال أنّ مجرّد النطق بلا إله إلاّ الله يكفي لدخول الجنّة، ولو كان الناطق بها يدعو الأموات ويستغيث بهم في الملمات ؟ . ولا يكفر بما يعبد من دون الله ؟ . هل هذا إلاّ من المغالطة بالباطل .

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه (٤٥٦/١) .

(٢) انظر صحيح مسلم (٥٣/١) .



**رابعًا** : ومن شُبههم : دعواهم أنّه لا يقع في هذه الأمّة المحمّديّة شرك، وهم يقولون : لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، وأنّ هذا الذي يقع منهم مع الأولياء والصالحين عند قبورهم ليس بشرك .

**والجواب عن هذه الشبهة** : أن النّبيّ ﷺ قد أخبر أنّه سيحصل في هذه الأمّة مشابهة لليهود والنّصارى فيما هم عليه . ومن جملة ذلك اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، قال ﷺ : « لتتبعُن سنن من كان قبلكم حذو القذّة، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه » قالوا : يا رسول الله اليهود والنّصارى ؟، قال : « فمن ؟ » [1] .

فأخبر ﷺ أنّ هذه الأمّة ستفعل ما فعلته الأمم قبلها من الديانات والعادات والسياسات مطلقًا . وقد وجد في الأمم قبلنا الشرك، فكذلك يوجد في هذه الأمّة .

وقد وقع ما أخبر به ﷺ، فها هي القبور تعبد من دون الله بأنواع العبادات، ويصرف لها كثيرٌ من القربات .

وأخبر ﷺ أنّها « لا تقوم السّاعة حتى يلحق حي من أمّته بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمّته الأوثان » رواه أبو داود [2] وابن ماجه .

وقد حدث في هذه الأمّة من الشرك والمبادئ الهدّامة والنِّحَل الضالة ما خرج به كثير عن دين الإسلام .

**خامسًا** : من شُبههم : استدلالهم بحديث : « إنّ الشيطان قد يئس أن يعبده المصلّون في جزيرة العرب »، وهو حديث صحيح مروي عن عدّة طرق في صحيح مسلم وغيره، وقد استدلّوا به على استحالة وقوع الشرك في جزيرة العرب .

---

(١) الحديث رواه البخاري (١٣/٣٠٠) فتح الباري .

(٢) انظر سنن أبي داود ـ باب الفتن رقم الحديث ٤٢٥٢ باب ذكر الفتن ودلائلها .



**والجواب عن ذلك** : بما قاله ابن رجب ـ رحمه الله ـ : ( أنّ المراد : أنّه يئس أن تجتمع الأمّة كلها على الشرك الأكبر ) .

وأشار ابن كثير إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم** ﴾ .

وأيضًا في الحديث المذكور نسبة اليأس إلى الشيطان مبنيًا للفاعل، ولم يقل : ( أيِّسَ ) بالبناء للمفعول، وإياسه ظنٌّ منه وتخمين لا عن علم، لأنه لا يعلم الغيب، وهذا غيب لا يعلمه إلاّ الله، وظنّه هذا تكذّبه الأحاديث الثابتة عن النّبيّ ﷺ، والتي أخبر فيها عن وقوع الشرك في هذه الأمّة من بعده، ويكذّبه الواقع، فإنّ كثيرًا من العرب ارتدّوا عن الإسلام بعد وفاة النّبيّ ﷺ بأنواعٍ من الردَّة . والله أعلم .

**سادسًا** : ومن شُبههم : تعلقهم بقضية الشفاعة، حيث يقولون : نحن لا نريد من الأولياء والصالحين قضاء الحاجات من دون الله، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله، لأنّهم أهل صلاح ومكانة عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والشفاعة ثابتة بالكتاب والسنّة، فهذا الذي نريده منهم .

**والجواب** : أنّ هذا هو عين ما قاله المشركون من قبل في تعليل تعلقهم بالمخلوقين من دون الله، كما قال تعالى عنهم : ﴿ **والذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى** ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ [2] .

والشفاعة حق ولكنها ملك لله وحده : ﴿ **قل لله الشفاعة جميعًا له**

---

(١) سورة الزمر، الآية : ٣ .

(٢) سورة يونس، الآية : ١٨ .



**ملك السّموات والأرض ﴾** [١] .

فهي تُطلب من الله لا من الأموات، والله قد أخبرنا أنّها لا تحصل إلاّ بشرطين :

الشرط الأوّل : إذن الله للشافع أن يشفع كما قال تعالى : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه** ﴾ [٢] .

والشرط الثاني : أن يكون المشفوع فيه ممن رضي الله قوله وعمله، وهو المؤمن الموحِّد، كما قال تعالى : ﴿ **ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى** ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وكم من مَلَكٍ في السّموات لا تُغني شفاعتهم شيئًا إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ **يومئذٍ لا تنفع الشفاعةُ إلاّ من أذن له الرّحمن ورَضي له قولاً** ﴾ [٥] .

فالله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الأصنام، لأنها ملكه وحده، ومنه تطلب : ﴿ **قُل لله الشفاعة جميعًا** ﴾ [٦] .

فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، وإن لم يأذن له لم يتقدم في الشفاعة بين يديه، وليس الأمر كما يحصل عند المخلوقين من تقدم الشفعاء إليهم وإن لم يأذنوا لهم، ويقبلون شفاعتهم ولو لم يرضوا بها، فإن المشفوع عنده من المخلوقين يحتاج إلى الشافع ومعاونته، فيضطر لقبول شفاعته وإن لم يأذن له

---

(١) سورة الزمر، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية : ٢٨ .

(٤) سورة النجم، الآية : ٢٦ .

(٥) سورة طه، الآية : ١٠٩ .

(٦) سورة الزمر، الآية : ٤٤ .

فيها، وأمّا الله ـ سبحانه ـ فهو الغنيّ عمّا سواه، فليس بحاجةٍ إلى أحدٍ، بل كل أحدٍ محتاج إليه . وأيضًا المخلوق لا يدري عن كل أحوال رعيّته حتى يبلّغه عنها الشفعاء لديه، ـ والله ـ سبحانه ـ بكل شيءٍ عليم، لا يخفى عليه شيءٌ من أحوال خلقه، فليس بحاجةٍ إلى من يُبلّغه .

وحقيقة الشفاعة عند الله ـ سبحانه ـ : أنّ الله ـ سبحانه ـ هو الذي يتفضّل على أهل الإخلاص فيعفو عنهم ويغفر لهم، بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك .

**سابعًا** : ومن شُبههم قولهم : إنّ الأولياء والصالحين لهم مكانة عند الله، كما قال تعالى : ﴿ **ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ۝ الذين آمنوا وكانوا يتّقون . لهم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ [(١)] .

والتعلق بهم والتّبرّك بآثارهم من تعظيمهم ومحبّتهم، وكذلك سؤال الله بجاههم وحقهم . وما أشبه ذلك من التعليلات .

**والجواب** : أنّ المؤمنين كلّهم أولياء الله، وهم يتفاوتون في هذه الولاية بحسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، ولكن الجزم لمعين بأنه ولي الله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنّة، فمن شهد له الكتاب والسنّة بالولاية شهدنا له بذلك، ومن لم يشهد له الكتاب والسنّة فإننا لا نجزم له بذلك، ولكن نرجوا للمؤمن الخير، وحتى من ثبت في الكتاب والسنّة أنّه من أولياء الله، فإنه لا يجوز لنا الغلو فيه والتّبرّك به، وسؤال الله بجاهه وحقه، فإنّ ذلك من وسائل الشرك، ومن البدع المحرّمة .

فنحن نحبّ الصالحين ونقتدي بهم في الأعمال الصّالحة والخصال الطّيّبة، ولا نغلوا فيهم ونرفعهم فوق منزلتهم، فإنّ الغلو في الصّالحين هو مبدأ

---

(١) سورة يونس، الآيات : ٦٢ ـ ٦٤ .



الشرك، كما حصل في قوم نوح لمّا غلوا في الصّالحين، فآل بهم الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله، وكما وقع في هذه الأمّة بسبب الغلو في الصّالحين من الشرك في العبادة، وقد حذّر الله ورسوله ﷺ من الغلو، فقال تعالى : ﴿ **قُل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم** ﴾ [١] . وقال النّبيّ ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النّصارى ابن مريم، إنّما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » [٢] .

والإطراء : مجاوزة الحد في المدح .

والله ـ تعالى ـ قد أمرنا أن ندعوه وحده بدون واسطة ولي أو غيره، ووعدنا أن يستجيب لنا، وهو لا يخلف وعده، فقال سبحانه : ﴿ **وقال ربّكم ادعوني استجب لكم** ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيب دعوة الدّاعِ إذا دعان** ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ **ادعوا ربّكم تضرُّعًا وخفيةً** ﴾ [٥] .

وقال تعالى : ﴿ **فادعوه مخلصين له الدّين** ﴾ [٦] .

وهكذا، كل الآيات فيها الأمر بدعائه مباشرةً من دون واسطة أحد، والأولياء والصّالحون عباد محتاجون، فقراء إلى الله، قال تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون**

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٧٧ .

(٢) الحديث رواه البخاري (٦/٤٧٨) فتح الباري .

(٣) سورة غافر، الآية : ٦٠ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ١٨٦ .

(٥) سورة الأعراف، الآية : ٥٥ .

(٦) سورة غافر، الآية : ٦٥ .

**عذابه** ﴾ (١) .

قال العوفي عن ابن عبّاس في الآية : ( كان أهل الشرك يقولون : نعبد الملائكة والمسيح وعزيرًا، فقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **أولئك الذين يدعون** ﴾ أي : الملائكة المعبودة لهم، يتبادرون إلى طلب القربة إلى الله، فيرجون رحمته ويخافون عذابه، ومن كان كذلك لا يدعي مع الله ) (٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ( والآية عامة، تعم كل من كان معبوده عابد الله، سواء كان من الملائكة أو من الجنّ أو من البشر، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًا، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأنبياء والصّالحين، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها؛ فقد تناولته الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجنّ ) (٣) .

ثامنًا : ومن شُبهِهم : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ (٤) . وقوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيُّهُم أقرب** ﴾ (٥) .

حيث فهموا من الآيتين : مشروعيّة اتخاذ الوسائط بينهم وبين الله من الأنبياء والصّالحين، يتوسلون بذواتهم وبحقهم وجاههم .

**والجواب عن ذلك** : أنّ الوسيلة في الآيتين ليست كما فهموا، بل المراد

---

(١) سورة الإسراء، الآية : ٥٧ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير : ٤٦/٣ .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٥٢٩/١١ .

(٤) سورة المائدة، الآية : ٣٥ .

(٥) سورة الإسراء، الآية : ٥٧ .



بها التقرّب إلى الله بالأعمال الصّالحة .

فالتوسل قسمان : توسلٌ مشروعٌ . وتوسلٌ ممنوع .

**فالتوسل المشروع أنواع، منها :**

١ - التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته كما قال تعالى : ﴿ **و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ (١) .

كأن يقول المسلم : يا الله، يا أرحم الرّاحمين، يا حنّان يا منّان، يا ذا الجلال والإكرام، أسألك كذا وكذا .

٢ - التوسل إلى الله بإظهار الفقر والحاجة إليه سبحانه، كما قال أيّوب - عليه السّلام - : ﴿ **أنّي مسّني الضّرّ وأنت أرحم الرّاحمين** ﴾ (٢) .

وكما قال زكريا - عليه السّلام - : ﴿ **قال ربِّ إنِّي وهن العظم منّي واشتعل الرّأس شيبًا ولم أكن بدعائك ربِّ شقيًا** ﴾ (٣) الآيات .

وكما قال ذو النّون - عليه السّلام - : ﴿ **أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين** ﴾ (٤) .

٣ - التوسل إلى الله بالأعمال الصّالحة، كما في قوله تعالى : ﴿ **ربّنا إنّنا سمعنا مُناديًا ينادي للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمنّا ربّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنّا سيِّئاتنا** ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٨٠ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٨٣ .

(٣) سورة مريم، الآية : ٤ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية : ٨٧ .

(٥) سورة آل عمران، الآية : ١٩٣ .

وكما في قصّة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصّخرة، فدعوا الله بصالح أعمالهم ففرّج عنهم[١]، وهو التوسل المذكور في الآيتين الكريمتين اللتين استدل بهما المخالف، فهو التقرّب إلى الله - تعالى - بالأعمال الصّالحة .

٤ - التوسل إلى الله - تعالى - بدعاء الصالحين، بأن تأتي إلى عبدٍ صالحٍ حيٍ، وتقول له : ادع الله لي، كما قال النّبيّ ﷺ لبعض أصحابه : « لا تنسنا يا أخي من دعائك »[٢]، وكما كان الصحابة - رضي الله عنهم - يطلبون من النّبيّ ﷺ أن يدعو الله لهم، ويطلب بعضهم من بعض الدعاء .

**أمّا التوسل الممنوع** : فهو التوسل بذوات المخلوقين وحقهم وجاههم، كأن يقول قائل : ( أسألك بفلان، أو بحق فلان، أو جاهه حيًا أو ميتًا ) .

فإن هذا بدعة محرّمة، ووسيلة من وسائل الشرك، وإن تقرّب صاحبه إلى المخلوق المتوسل به بشيء من أنواع العبادة فهو الشرك الأكبر، نعوذ بالله من ذلك، كأن يذبح للولي، أو ينذر لقبره، أو يناديه ويطلب منه المدد، وغير ذلك .

نسأل الله أن يبصر المسلمين بدينهم، وأن ينصرهم على أعدائهم، ويهدي ضالهم .

**تاسعًا** : ومن شُبههم : تعلّقهم ببعض الأحاديث التي ظنوا أنّها تصلح حجّة لهم، كالحديث الذي رواه الترمذي في جامعه[٣] بسنده، عن عثمان بن حنيف : أنّ رجلاً ضرير البصر أتى النّبيّ ﷺ فقال : أدع الله أن يعافيني، قال : « إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خيرٌ لك » قال : فادعه، فأمره

(١) انظر صحيح البخاري (٤/٣٦٩ - ٣٧٠) .

(٢) انظر الحديث : في سنن أبي داود رقم ١٤٩٨ في الصّلاة في باب الدعاء والترمذي في الدعوات رقم ٣٥٥٧ .

(٣) سنن الترمذي كتاب الدعوات رقم الحديث (٣٥٧٣) باب من أدعية الإجابة .

أن يتوضأ ويحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء : « اللّهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمد نبيّ الرّحمة، إني توجّهت به إلى ربّي في حاجتي هذه لتقضى، اللّهم فشفّعه فيَّ »، قال الترمذي : ( هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلاّ من رواية أبي جعفر، وهو غير الخطمي ) .

قالوا : فهذا الحديث فيه التّوجه إلى الله وسؤاله بنبيّه ﷺ .

**الجواب عن ذلك** : أنّ هذا الحديث إن صح فهو في غير محل النزاع، فإن هذا الأعمى إنّما طلب من النّبيّ ﷺ أن يدعو له، وتوجه إلى الله بدعائه مع حضوره وهذا جائز، أن تأتي إلى رجل صالح حي وتطلب منه أن يدعو الله لك، وليس فيه ما يدّل على التوسل والتّوجه بالأموات والغائبين .

والنّبيّ ﷺ أمرَ هذا الضرير أن يدعو الله أن يقبل شفاعة نبيّه فيه، فهذا فيه طلب الشفاعة من الله ـ تعالى ـ، وطلب الشفاء من الله وحده، وليس في الحديث أكثر من هذا، فهو لا يدل على جواز التوسل بذوات المخلوقين، ونداء الأموات والغائبين .

واستدلوا ـ أيضًا ـ بحديث مكذوب، فيروون : أن النّبيّ ﷺ قال : « توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » .

وهو حديث مكذوب، مفترى على الرّسول ﷺ، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ [١] .

**عاشرًا** : ومن شُبههم ـ أيضًا ـ : اعتمادهم على حكايات ومنامات . أنّ فلانًا مثلاً أتى القبر الفلاني فحصل له كذا وكذا، وفلانًا رأى في المنام كذا وكذا، مثل الحكاية التي ذكرها جماعة منهم . وهي أنّ العتبي قال : ( كنت

(١) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (١/٣١٩ ، ٣٤٦) .

جالسًا عند قبر النّبيّ ﷺ، فجاء أعرابي فقال : السّلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول : ﴿ **ولو أنّهم إذ ظّلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرّسول لوجدوا الله توّابًا رّحيمًا** ﴾ [(١)]، وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربّي، ثمّ أنشأ يقول :

يا خير من دفنت في الأرض أعظمه
فطاب من طيبهنّ القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثمّ انصرف الأعرابي، فغلبتني عيني، فرأيت النّبيّ ﷺ في النّوم فقال : يا عتبي، الحق بالأعرابي فبشّره أنّ الله غفر له .

**والجواب عن ذلك** : أنّ الحكايات والمنامات لا تصلح دليلاً تبنى عليه أحكام وعقائد، وقوله تعالى : ﴿ **جاءوك** ﴾ المراد به : المجيء إليه ﷺ في حياته، لا المجيء إلى قبره، بدليل أنّه لم يكن أحدٌ من الصحابة والتابعين لهم بإحسان يأتي إلى قبره ﷺ ويطلب منه أن يستغفر له، مع حرصهم الشديد على الخير وامتثال الأمر، فلو كان ذلك مشروعًا لفعلوه .

**الحادي عشر** : ومن شُبههم : الاستدلال بحصول بعض مقاصدهم عند الأضرحة ونحوها، كقولهم : إنّ فلانًا دعا عند الضريح الفلاني، أو هتف باسم الشيخ فلان، أو الولي فلان؛ فحصل له مطلوبه .

**والجواب** : أنّ حصول بعض المقصود للمشرك لا يدل على جواز ما هو عليه من الشرك، إذ قد يكون حصول ذلك صادف قضاءً وقدرًا، فظنّ أن ذلك بسبب دعائه لذلك الشيخ أو الولي . أو قد يكون ذلك حصل

---

(١) سورة النساء، الآية : ٦٤ .



استدراجًا له وفتنة، فلا يدلّ على جواز دعاء غير الله .

وهكذا نجد المشركين لا يملكون دليلاً واحدًا صحيحًا لما هم عليه من الشرك، بل هم كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به** ﴾ [(١)] .

وإذا كان الشرك لم يقم على برهان وحجّة، فإنّ التّوحيد قام على البراهين القاطعة والحجج الواضحة : ﴿ **أفي الله شكٌّ فاطر السّموات والأرض** ﴾ [(٢)] .

﴿ **يا أيّها النّاس اعبدوا ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلّكم تتّقون ۝ الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسّماء بناءً وأنزل من السّماء ماءً فأخرج به من الثّمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون** ﴾ [(٣)] .

**الثاني عشر** : زعم غلاة المتصوّفة ومن يقلّدهم : أنّ الشرك هو الميل إلى الدنيا والاشتغال بطلبها .

**والجواب** : أنّ هذا يريدون به تغطية ما هم عليه من الشرك الأكبر، المتمثّل بعبادتهم للقبور، وغلوّهم في المشايخ . وطلب الدنيا من الوجه المباح هو مما أمر الله به، وإذا كان القصد منه الاستعانة به على طاعة الله فهو عبادة وتوحيد .

---

(١) سورة المؤمنون، الآية : ١١٧ .

(٢) سورة إبراهيم، الآية : ١٠ .

(٣) سورة البقرة، الآيتان : ٢١ ـ ٢٢ .

# الخـــاتمـــة

**وبعـد** : فإنّ الشرك هو أعظم أنواع الظّلم، قال تعالى : ﴿ **إنّ الشرك لظلمٌ عظيم** ﴾ (١) .

إن الشرك لا تتناوله مغفرة الله لمن مات عليه، قال تعالى : ﴿ **إنّ الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ (٢) .

إنّ المشرك تُحرّم عليه الجنّة تحريمًا مؤبدًا، قال تعالى : ﴿ **إنّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النّار** ﴾ (٣) .

إنّ المشرك نجس لا يحلُّ دخوله في حرم الله، قال تعالى : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا إنّما المشركون نَجَسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ (٤) .

إنّ المشرك حلال الدّم والمال، قال تعالى : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتّموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصدٍ فإن تابوا وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة فخلّوا سبيلهم** ﴾ (٥) .

إنّ المشرك قد ضلّ ضلالاً مبينًا، وافترى إثمًا عظيمًا .

إنّ المشرك قد انحطّ من سمو التّوحيد، قال تعالى : ﴿ **ومن يشرك بالله**

---

(١) سورة لقمان، الآية : ١٣ .

(٢) سورة النّساء، الآية : ٤٨ .

(٣) سورة المائدة، الآية : ٧٢ .

(٤) سورة التّوبة، الآية : ٢٨ .

(٥) سورة التّوبة، الآية : ٥ .



فكأنّما خرّ من السّماء فتخطفه الطّير أو تهوى به الرّيح في مكانٍ سحيق ﴾ [(١)] .

إنّ المشرك لا تَحِلُّ مناكحته، قال تعالى : ﴿ ولا تَنكحوا المشركات حتّى يُؤمنَّ ولأمةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من مشركةٍ ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتّى يؤمنوا ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشركٍ ولو أعجبكم ﴾ [(٢)] .

إنّ المشرك لا يقبل منه عمل، ولا تصح منه عبادة، قال تعالى : ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين ﴾ [(٣)]، ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ [(٤)] .

نعوذ بالله من الشك والشرك، والكفر والنفاق، وسوء الأخلاق، وسوء المنقلب في المال والأهل والولد .

اللّهم أرنا الحقّ حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه .

﴿ سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون ۝ وسلامٌ على المرسلين ۝ والحمد لله ربّ العالمين ﴾[(٥)]، ﴿ سبحانه وتعالى عمّا يشركون ﴾[(٦)]، ﴿ سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوًّا كبيرًا ﴾ [(٧)] .

وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د. صالح الفوزان

---

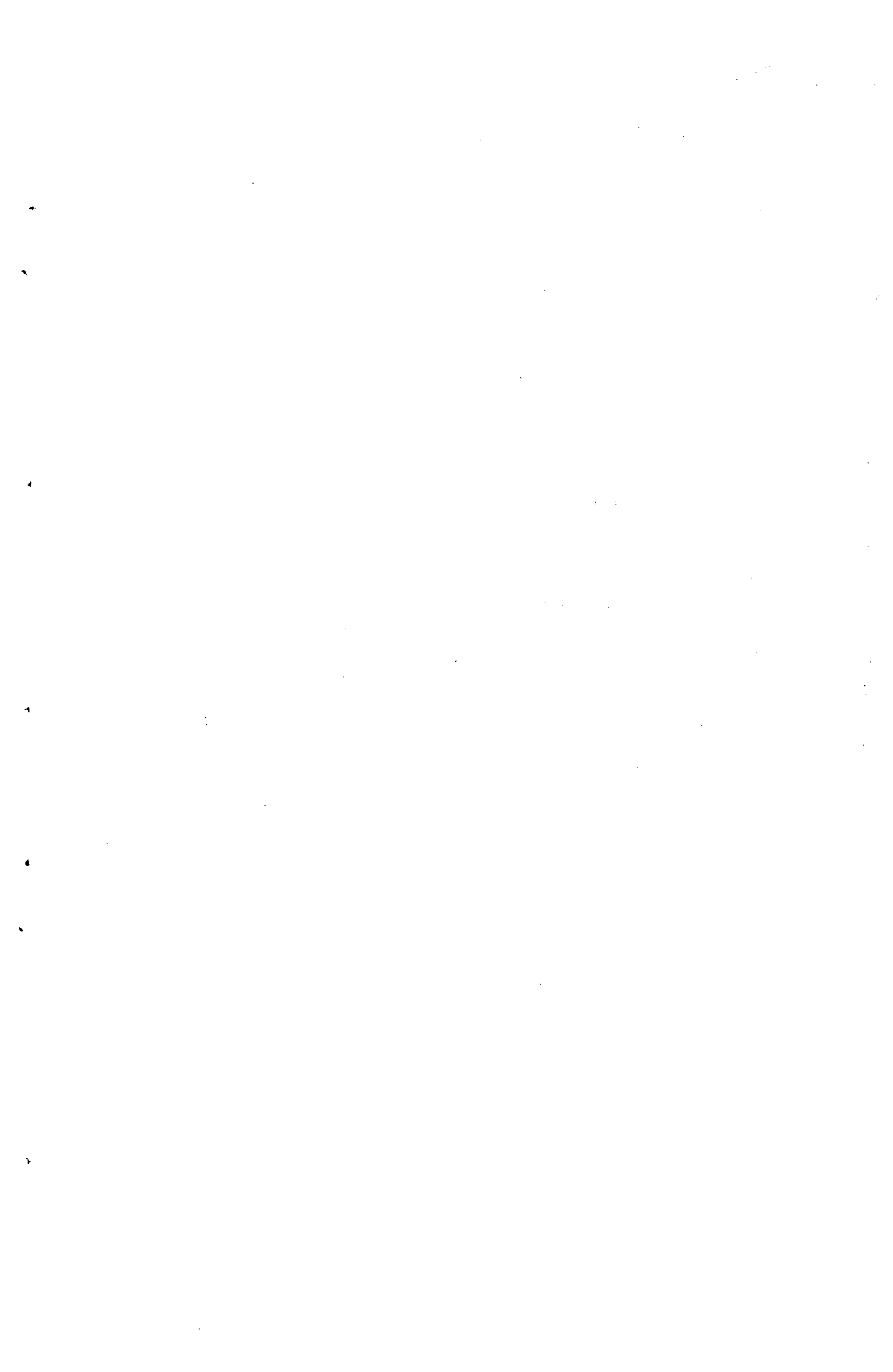
(١) سورة الحج، الآية : ٣١ .
(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٢١ .
(٣) سورة الزمر، الآية : ٦٥ .
(٤) سورة الأنعام، الآية : ٨٨ .
(٥) سورة الصافات، الآيات : ١٨٠ ـ ١٨٢ .
(٦) سورة النّحل، الآية : ١ .
(٧) سورة الإسراء، الآية : ٤٣ .

# نداءٌ عام

## من علماء بلد الله الحرام

## في معتقد أهل الإسلام

عنى به
محمد بن عبد العزيز الأحمد



# المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وصحبه، ومن اقتفى أثره وسار على نهجه إلى يوم الدين .

**أما بعد :**

فهذا بيان مهم، ونداءُ عظيم، دبجته يراعة علماء بلد الله الحرام عام ١٣٤٣ هـ، عقيب اجتماعات بإخوانهم علماء نجد، أصدروا على إثرها هذه الرسالة العظيمة المختصرة في بيان العقيدة الصحيحة، مستلة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومما أجمع عليه سلف الأمة، نابذين وراءهم الآراء الكلامية، والمناهج الفلسفية، والخزعبلات الصوفية، ودجل المنحرفين، وزيغ المبتدعين .

كان ذلك منهم إبراءً للذمة، وخروجًا من التبعة، وبيانًا للهدى، ودعوة إلى الحق الصراح، وإنقاذًا للأمة من التخبّط في ظلمات الجهل والشرك، وليل الخرافة والبدعة .

**وأهمية هذا النداء نابعة من جهتين :**

**الأولى** : أنه تضمن بيان أهم ما يجب على المسلم معرفته واعتقاده والإيمان به في جملة صالحة من مسائل العقيدة، بأسلوب سهل، ولغة بينة، على ضوء الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة الأبرار .

**الثانية** : أنه قد صدر موقّعًا من ستة عشر عالمًا من علماء بلد الله

الحرام، يزيل اجتماع كلمتهم على هذه العقيدة كل ريبة في النفس، أو شك يتردد في الصدر، ويوقع في القلب كمال الرضى، وتمام الثقة، وغاية الطمأنينة بما يقوله ويكتبه هؤلاء الأعلام .

وقد نشر هذا النداء في العدد الثامن والثلاثين من جريدة ( أم القرى ) عام ١٣٤٤هـ بعنوان : ( نداء عام من علماء بلد الله الحرام )، ثم أصدرته إدارة الجريدة في كتاب بعنوان : ( البيان المفيد، فيما اتفق عليه علماء مكة ونجد من عقائد التوحيد ) في ٤/ ربيع الأول / ١٣٤٤هـ .

وقد ضم إلى النداء خطاب رئيس القضاء الشيخ عبد الله بن بليهد، الذي ألقاه في الاجتماع المعقود بين علماء مكة وعلماء نجد رحمهم الله جميعًا .

ثم نشرته رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في عام ١٣٩٨، وضمت إليه بيانًا من علماء مكة ونجد في ذكر بعض مسائل العقيدة المتفق عليها بينهم، كان قد نشر في العدد الثاني من جريدة أم القرى ١٥ / ٥ / ١٣٤٣هـ .

ولما كان هذا النداء بهذه المثابة، ولجهل كثير من أبناء الأمة به، عزمت على إعادة نشره، إقامةً للحجة، ودفعًا لكيد المبتدعة الزائغين الذين يتحينون الفرصة لنشر بدعتهم، وإعادة شوكة الخرافة والقبورية، بعد أن سلم الله هذه البلاد منها .

وقد قمت بخدمة النص قدر المستطاع من تخريج أحاديثه وترقيم فقراته والتعليق على ما يحتاج التعليق منها، وختمت ذلك بذكر تراجم مختصرة للعلماء الكرام، عليهم من الله الرحمة والرضوان، وأضفت إلى عنوانه الذي صدر به أول مرة في جريدة أم القرى عبارة : ( في بيان معتقد أهل الإسلام ) لبيان مضمون النداء على طرة الكتاب .

وقد رأيت أن ما تضمنه خطاب رئيس القضاء قد احتواه نداء العلماء، فلم أشأ أن أطيل على القراء بذكره .

وختامًا لا يسعني إلا أن أشكر الله العلي القدير على هذه المنة العظيمة



بإخراج هذا الكتاب، فهو ولي كل نعمة، وأثني بالشكر لكل من أسهم في إخراج الكتاب والإعداد له .

والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به من كتبه ونشره وقرأه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

**محمد بن عبد العزيز الأحمد**

**١٣ / ١ / ١٤١٠ هـ**

# نداء عام من علماء بلد الله الحرام في معتقد أهل الإسلام

## إلى أمتنا الكريمة وشعبنا النبيل

### [ تمهيد ]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**وبعـــد :**

فقد آن لنا أن نرفع صوتنا عاليًا، في هذا الجو الهادئ الذي يسمع فيه صدى الحق بسائق قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ [(١)]، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾ [(٢)]، وقوله ﷺ « الدين النصيحة » قالوا : لمن يا رسول الله ؟، قال : « لله، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » [(٣)]، وقوله : « من علم علمًا فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار » [(٤)] .

---

(١) سورة ال عمران، الآية : ١٠٤ .

(٢) سورة العصر، الآية : ٣ .

(٣) رواه مسلم رقم ( ٥٥ ) عن تميم الداري بزيادة ( وكتابه ) وبدونها رواه ابن أبي عاصم في السنة رقم ( ١٠٨٩ ) قال الألباني : إسناده جيد ( ظلال الجنة في تخريج السنة ) .

(٤) رواه أبو داود ( ٣٦٥٨ ) بلفظ ( من سئل عن علم ) والترمذي (٢٦٤٩ ) وقال : حديث أبي هريرة حديث حسن، ورواه الحاكم [١ /١٠٢ ] بلفظ ( من كتم علمًا ... ) عن عبد الله بن عمرو، وقال : صحيح على شرط الشيخين، وليس له علة، ووافقه الذهبي وصححه العراقي، ولفظ ( من علم علمًا ... ) رواه ابن النجار عن ابن عمرو، كما ذكر

ونحن على يقين من أن وظيفتنا هذه عظيمة، وموقفنا أمام الله أعظم، وأن هذه الحياة لا تزن عند الله جناح بعوضة، ولا تغني عن الآخرة فتيًلا .

وأنتم عندنا كنفسنا التي بين جنبينا، نحب لكم من الخير ما نحبه لها، ونبغض لكم من الشر ما نبغض لها .

لذا لا نلقي عليكم إلا ما ندين الله به، ونعتقده حقًا صراحًا لا مراء فيه، لنبرأ إلى الله بأداء ما علمنا، غير مكرهين ولا مدفوعين بغرض شخصي، وإنما الحق أحق أن يتبع، وفي بلاغنا هذا ذكرى للذاكرين، وهدى للمستبصرين، والله يتولى هدانا أجمعين .

---

الزبيدي في إتحاف المتقين شرح إحياء علوم الدين [ انظر كتاب تخريج إحياء علوم الدين ] استخراج الحداد حديث رقم ( ٥٦ ) .

## [ بيان معتقد أهل الإسلام ]

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الحائز رتبةً لا يمكن أن تلحق، وعلى آله وصحبه والداعين إلى طريق الحق، صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين ما الليل غسق، والقمر اتسق .

**أما بعد :**

١ ـ **فإننا نعتقد** : أن الله واحد في ربوبيته، واحد في ألوهيته، واحد في أسمائه وصفاته .

فلا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا مدبر للأمور سواه، ولا معبود بحق في الوجود إلا هو . وهذا معنى ( لا إله إلا الله ) .

له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، كما أثبتها لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، بلا تكييف، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل .

وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فوق سماواته، على عرشه، علا على خلقه، وهو ـ سبحانه ـ معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون، قال ـ تعالى ـ ﴿ **و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون** ﴾[(١)]، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ۝ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير** ﴾[(٢)] وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[(٣)]، قال

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٨٠ .

(٢) سورة تبارك، الآيتان : ١٦ ـ ١٧ .

(٣) سورة طه، الآية : ٥ .



فيها مالك : ( الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ) [(١)] .

وقال ﷺ للجارية : « أين الله ؟ » فقالت : في السماء . قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله، قال : « أعتقها فإنها مؤمنة » [(٢)] .

ونعوذ بالله من أن نظن أن السماء تُقِلُّه أو تظله، فهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، وقد وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم .

٢ ـ **ونعتقد** : أن عبادة غير الله شرك أكبر، وأن دعاء غير الله من الأموات والغائبين، وحبَّه كحب الله، وخوفه، ورجاءَه، ونحو ذلك شرك أكبر، وسواء دعاه دعاء عبادة، أو دعاء استعانة في شدة أو رخاء، فإن الدعاءَ مخُّ العبادة، وسواء دعاه لجلب نفع، أو دفع الضر، أو دعاه لطلب الشفاعة، أو ليقربَّه إلى الله، أو دعاه تقليدًا لآبائه أو أسلافه أو لغيرهم .

والأدلة على ذلك في كتاب الله كثيرة جدًا، منها : قوله تعالى : ﴿ **ومن يدع مع الله إله آخر لا برهان له به** ﴾ [(٣)] .

---

(١) رواه أبوالقاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٩٨/٣) والبيهقي في الاعتقاد ص ١١٦ كلاهما بلفظ ( الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ... الخ ) وقد جود ابن حجر في الفتح ٤٠٦/١٣ إسناد البيهقي من طريق ابن وهب. قال شيخ الإسلام (الفتاوي ٣٦٥/٥) : (ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ، موقوفًا، ومرفوعًا ولكن ليس له إسناد مما يعتمد عليه )

(٢) رواه مسلم (٥٣٧) .

(٣) سورة المؤمنون، الآية : ١١٧ .

٣ ـ **وأن اعتقاد** أن لشيء من الأشياء سلطانًا على ما خرج عن قدرة المخلوقين شرك أكبر .

٤ ـ **وأن من عظّم** غير الله مستعينًا به فيما لا يقدر عليه إلا الله، كالاستنصار في الحرب بغير قوة الجيوش، والاستشفاء من الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله لها، والاستعانة على السعادة الأخروية أو الدنيوية بغير الطرق والسنن التي شرعها الله لنا يكون مشركًا شركًا أكبر .

٥ ـ **وأن الشفاعة** ملك لله وحده، ولا تكون إلا لمن أذن الله له : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ [١]، ولا يرضى الله إلا عمّن اتبع رسله، فنطلبها من الله مالكها، فنقول : ( اللهم شفّع فينا نبيك ) مثلاً، ولا نقول ( يا رسول الله، اشفع لنا ) فذلك لم يرد به كتاب ولا سنة ولا عمل سلف، ولا صدر ممن يوثق به من المسلمين .

فنبرأ إلى الله أن نتخذ واسطة تقربنا إلى الله، أو تشفع لنا عنده فنكون ممن قال الله فيهم، وقد أقروا بربوبيته، وأشركوا بعبادته : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ [٢]، وحكى الله عنهم قولهم : ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ [٣]، أو نكون ممن قلدوا آباءهم في أصل الدين، فكانوا أضل من الأنعام، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ **بل قالوا إنا وجدنا ءاباءنا على أمة وإنا على ءاثارهم مهتدون** ﴾[٤]، فوصفهم بقوله : ﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلا** ﴾ [٥]، إذ عطّلوا تلك المواهب التي أودعت فيهم، ولو تخلوا بأنفسهم

---

(١) سورة الأنبياء، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة يونس، الآية : ١٨ .

(٣) سورة الزمر، الآية : ٣ .

(٤) سورة الزخرف، الآية : ٢٢ .

(٥) سورة الفرقان، الآية : ٤٤ .



برهة أطلقوا فيها لتلك المواهب سراحها لأدركت من آيات الله ما يرشدهم إلى سواء السبيل .

٦ ـ **ونتوسل إلى الله**، أي : نتقرب إليه بطاعته، وهو معنى الوسيلة في القرآن، ونطلب الوسيلة لرسول الله ﷺ كما ورد في الحديث الصحيح : « من قال حين يسمعُ النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد، حلت له شفاعتي » [١]، وورد تفسير هذه الوسيلة في حديث : « سلوا الله لي الوسيلةَ، فإنها درجةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون ذلك العبدَ » [٢] .

وأما التوسل بالنبي ﷺ في قول عمرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا » [٣]، فتوسل بدعائه، وهو خاص بحال حياته، ولهذا عدل عمرُ ـ رضي الله عنه ـ بعد مماته ﷺ إلى التوسل بدعاء عمه العباس .

والتوسل بالنبي ﷺ يوم القيامة يكون بشفاعته .

وأما التوسل بمعنى غير ذلك فليس بشرعي .

٧ ـ **وزيارتنا القبور** دعاء للموتى، وادَّكار [٤] للآخرة، وحسبنا أن نلقي عليكم ما كان النبي ﷺ يعلمه أصحابه ليقولوه إذا زاروا القبور : « السلام

---

(١) رواه البخاري (١٥٢/١) بتنكير المقام المحمود وبدون ( إنك لا تخلف الميعاد ) . رواه ابن خزيمه ( ٤٢٠ ) والنسائي (٢٧/٢) بتعريف المقام المحمود . وأما زيادة (إنك لا تخلف الميعاد) فقد أخرجها البيهقي (٤١٠/١) .

(٢) رواه مسلم (٣٨٤) .

(٣) رواه البخاري (١٥/٢) .

(٤) ادِّكار : تذكر

عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم » [١] .

**واعلموا أن زيارة القبور على ثلاثة أنواع : شرعية، وبدعية، وشركية .**

**١ ـ** فالشرعية : هي التي يقصد بها تذكرُ الآخرة، والدعاءُ للميت، واتباعُ السنة .

**٢ ـ** والبدعية : هي التي يقصد بها عبادة الله عند القبور، كما يفعله جهلة الناس، لظنهم أن للعبادة عندها مزية على العبادة في المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله .

وقد صحّ عن النبي ﷺ في عدة أحاديث النهي عن الصلاة عند القبور، واتخاذها مساجد [٢] .

**٣ ـ** والشركية : هي التي يقصد منها تعظيم القبور ودعاؤها، أو الذبح

---

(١) رواه مسلم (٩٧٥) من حديث بريدة بلفظ : كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية » وكذا رواه ابن ماجه (١٥٤٧) . أما قوله : ( يرحم الله المستقدمين منا ... ) فرواها مسلم ( ٩٧٤) من حديث عائشة وأما قوله ( اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم ) فرواها ابن ماجه (١٥٤٦) وأحمد (٦/٧١ ، ٧٦، ١١١ ) من حديث عائشة .

(٢) منها : ما روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ... » الحديث رواه البخاري : ١/١١٢ ، ومسلم : ٥٢٩ . وفي الباب أحاديث كثيرة جدًا، استقصاها الألباني في رسالته القيمة : "تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد" .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" ١/٢٩٥ : ( ثم من المعلوم ما قد ابتلي به كثير من هذه الأمة من بناء المساجد على القبور، واتخاذ القبور مساجد بلا بناء . وكلا الأمرين محرّم، ملعون فاعله بالمستفيض من السنة ... ) إلخ .



لها، أو النذر لها، أو غير ذلك من العبادات التي لا تصلح إلا لله .

فهذه حقيقة الشرك، والأدلة علية كثيرة جدًا، وقد تقدم بعضها .

٨ ـ **والبناءُ على القبور** بدعة، وقد أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فأمره أن لا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه بالأرض، وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي، أنه قال : قال لي على بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : إني لأبعثك على ما بعثني به رسول الله ﷺ : « أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته » [١] .

٩ ـ **والحلف** بغير الله منهي عنه . ويكفي أن نسرد عليكم شيئًا مما ورد فيه : قال ﷺ : « من حلف بغير الله فقد أشرك » وفي لفظ « فقد كفر »[٢]، وقال ﷺ « من كان حالفًا فليحلف بالله »، وقال عليه السلام : « لا تحلفوا بآبائكم، فإن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم » [٣] . ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم** ﴾ .

١٠ ـ **ونعتقد** أن أفضل المخلوقين وأكملّهم نبيُّنا محمد ﷺ، وقد وصفه الله بالعبودية في أشرف المقامات، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال : « ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله » [٤] . وورد : « لا تطروني كما أطرت

---

(١) رواه مسلم (٩٦٩) وقصة بعث الرسول ﷺ عليًا رواها أحمد في مسنده كاملة رقم (٦٥٧ ط أحمد شاكر ) وحسن إسنادها أحمد شاكر .

(٢) رواه أحمد ٨٦/٢ ، ٨٧، وأبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وقال : هذا حديث حسن، والحاكم (١٨/١) وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي .

(٣) جملتان من حديث واحد رواه البخاري ٢٢١/٧ ، ومسلم (١٦٤٦) .

(٤) رواه أحمد ١٥٣/٣، ٢٤١ ، ٢٤٩ قال ابن عبد الهادي ( الصارم المنكي ٣٨٥ ) : بإسناد على شرط مسلم . رواه النسائي في "عمل اليوم والليلة" رقم (٢٤٨ ، ٢٤٩)، وقد جوّد إسناد النسائي شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب في كتاب التوحيد، باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك ( ص/٧٣٠ من تيسير العزيز الحميد ) .

النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا : عبد الله ورسوله »[١] .

**١١ - والإيمان** : قول وعمل : قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية .

**١٢ - ولا نكفّر أحدًا من أهل القبلة بمجرد المعصية، ولا نسلب الفاسق** الملّي اسم الإيمان بالكلية، ولا نخلده في النار، كما تقول المعتزلة، ولا نكفّره بالكبائر كما تقول الخوارج، وإنما نقول : هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته .

**١٣ - والأمرُ** بالمعروف والنهي عن المنكر، على ما جاءت به الشريعة واجب .

**١٤ - ونعتقدُ** إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا .

**١٥ - ونَدينُ** بالسمع والطاعة لهم في غير معصية، عدلوا أو جاروا، ما أقاموا الصلاة .

**١٦ - ونحافظ** على الجماعة .

**١٧ - ونَدينُ** الله بالنصح للأئمة خاصة، وللأمة عامة .

ونبرأ إلى الله من طريق الخوارج والمعتزلة، الذين يرون الخروج على الأئمة بمجرد الجور والمعصية .

**فهذا الذي ندين الله به، ونعتقده، وندعوكم إليه .**

وحسبنا فيه كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وسلف الأمة الذين شهد لهم رسول الله بالخير قال ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا :

---

(١) رواه البخاري (٤/١٤٢) .

كتاب الله، وسنتي » [١]، وقال : « خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » [٢] .

فتمسكوا بدينكم، فهذا زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، زهيت فيه الحياة بزخرفها، وثملت الناس بنشوتها، وكثر الدخيل في الإسلام، وأوقع في القلوب الضعيفة ما أوقع من الأوهام، وتحقق فيه قول ابن مسعود - رضي الله عنه - : ( كيف أنتم إذا لبستكم فتنة، يربوا بها الصغير ويهرم عليها الكبير، وتتخذ سنة يجري الناس عليها، فإذا غير منها شيء قيل : غيرت السنة . قيل : متى ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ . قال : إذا كثر قراؤكم، وقل فقهاؤكم، وكثرت أموالكم، وقل أُمناؤكم، وتُعلمَ لغير الدين ) [٣] .

ومعلوم أنه كلما تقادم عهد أمة بنبيها، ألقى الشيطان في أفرادها تعاليم تُظَنّ فيما بعد أنها من الدين، والدين منها براءُ، يريد بذلك إماتة السنة، وطمس معالمها .

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : ( خط رسول الله ﷺ خطًا بيده، ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيمًا »، ثم خط خطوطًا عن يمين ذلك

---

(١) الحديث بمعناه رواه مالك في الموطأ بلاغًا ٨٩٩/٢ رواه الحاكم ٩٣/١ عن أبي هريرة بلفظ « إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض » وقد صححه الألباني (الصحيحه ١٧٦١) وجعل شاهده حديث زيد بن أرقم «إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله عترتي اهل بيتي» رواه الترمذي (٣٧٨٦) وبدون لفظ (العترة) رواه مسلم (٢٤٠٨) على اعتبار أن العترة هم أهل بيته الذين هم على دينه والتمسك بأمره، وأهل البيت هم غالبًا أعرف بصاحب البيت وأحواله، وبهذا يصلح أن يكون مقابلاً لكتاب الله، ذكر معنى ذلك الطحاوي في مشكل الأثار ٣٦٨/٤، وعلي القاري في مرقاة المفاتيح ٦٠٠/٥ .

(٢) رواه مسلم ( ٢٥٣٣)، و (٢٥٣٤) و (٢٣٣٥) بلفظ (خير الناس) و (خير أمتي ) و (إن خيركم) و (خير هذه الأمة) .

(٣) رواه الدارمي ٦٤/١ وزاد ( والتمست الدنيا بعمل الآخرة ) قال الألباني في "رسالة التراويح" ص٥ : ( روي بإسنادين أحدهما صحيح والثاني حسن )، ورواه الحاكم ٥١٤/٤ قال الذهبي : قلت (خ م) أي على شرط الشيخين .

الخط وعن شماله، ثم قال : « هذه السبل، ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ، ثم قرأ ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾[1] )[2] .

وقال ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة »[3] .

وورد عنه ﷺ : «أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة »[4]، وفي حديث عنه ﷺ أنه قال : « هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي »[5]، وقال : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة »[6] .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٥٣ .

(٢) رواه أحمد ٤٣٥/١، ٤٦٥، وابن أبي عاصم (١٦ ، ١٧) والحاكم ٣١٨/٢، وقال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه والدارمي ٦٧/١ وصححه أحمد شاكر ( المسند رقم ٤١٤٦) والألباني ( ظلال الجنة في تخريج السنة رقم ١٦ ، ١٧)

(٣) رواه أحمد ١٢٦/٤ ، ١٢٧ وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال ( هذا حديث حسن صحيح) وابن ماجه (٤٣) والدارمي ٤٤/١ .

(٤) الحديث بمعناه مروي من طرق كثيرة عن أنس، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك، وممن أخرجه : أحمد ١٠٢/٤، وأبو داود (٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠) وقال : ( حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح وقد صحح الحديث الحاكم وابن تيمية والذهبي والعراقي والشاطبي والسيوطي والمناوي، وحسنه الحافظ ابن حجر .

(٥) قطعة من الحديث السابق رواها الترمذي (٢٦٤١) وقال : هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، والحاكم ١٢٨/١ ، ١٢٩ وكذا أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، والأجري في الشريعة والعقيلي في الضعفاء وابن الجوزي في تلبيس إبليس . كلهم من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي اسناده عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف كما في التقريب وقد حسنه بعضهم لشواهده، والله أعلم .

(٦) الحديث بمعناه مروي عن جابر بن عبد الله ومعاوية وثوبان وأبي هريرة وقرة المزني والمغيرة بن شعبة وغيرهم وألفاظهم متقاربة، وممن أخرجه البخاري ١٤٩/٨، ومسلم (١٩٢٠ ، =

نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا من لدُنه رحمةً، إنه على ما يشاء قدير .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

=

١٩٢١، ١٩٢٣، ١٩٢٤) وأحمد ٥/٣٤، ٢٧٨، ٢٧٩، وأبو داود (٤٢٥٢) والترمذي (٢١٩٢) و (٢٢٢٩) وابن ماجه (٦، ٧, ٩، ١٠) .

## أسماء العلماء الموقعين على النداء مرتبين ترتيباً ألفبائيًا

١ ـ أبو بكر بن محمد خوقير .

٢ ـ حسين عبد الغني .

٣ ـ حسين مكي الكتبي .

٤ ـ درويش عجيمي .

٥ ـ سعد وقاص البخاري .

٦ ـ عباس المالكي .

٧ ـ عبد القادر أبو الخير مرداد .

٨ ـ عبد الله بن إبراهيم حمدوه .

٩ ـ عيسى دهان .

١٠ ـ محمد أمين فوده .

١١ ـ محمد جمال المالكي .

١٢ ـ محمد سعيد أبو الخير .

١٣ ـ محمد عبد الهادي كتبي .

١٤ ـ محمد عرابي سجيني .

١٥ ـ محمد المرزوقي .

١٦ ـ محمد نور محمد الفطاني .



## تراجم مختصرة للعلماء حسب الترتيب المذكور [(١)]

**١ ـ أبو بكر بن محمد بن عبد القادر خوقير الكتبي (١٢٨٤هـ ـ ١٣٤٩هـ) .**

أولع بكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فدعا إلى منهج السلف في العقيدة ومحاربة البدع، فسجنه الحسين بن علي سنة ١٣٣٩، وظل في السجن حتى زالت دولة الأشراف، ولم يتولَّ منصبًا بعد الإفراج عنه، بل تفرغ للعبادة حتى وافته المنية [(٢)] .

**٢ ـ حسين عبد الغني ( ١٣٠٨هـ ـ ١٣٦٦هـ ) .**

تخرج في المدرسة الصولتية، ثم درس بالحرم المكي وتخرج على يديه الكثيرون، عين في العهد السعودي عضوًا بمجلس المعارف، ونائبًا لرئيس المجلس، وعضوًا في لجنة مراقبة المطبوعات، وقاضيًا بالمحكمة المستعجلة الأولى [(٣)].

**٤ ـ درويش بن حسن العجيمي ( ١٢٧٦هـ ـ ١٣٤٦هـ ) .**

درس بالحرم المكي وكان حاذقًا طلقًا، حاضر البديهة قوي الذاكرة، تولي أمانة الإفتاء برئاسة القضاء [(٤)] .

**٦ ـ عباس بن عبد العزيز المالكي ( ١٢٧٠هـ ـ ١٣٥٣هـ ) .**

درس بالحرم المكي، وعين عضوًا في إدارة المعارف ثم مديرًا لها في عهد

---

(١) علمًا بأنه تعذر عليّ إيجاد تراجم لأربعة منهم، فلعله يستدرك في طبعة قادمة ـ إن شاء الله ـ حين العثور عليها .

(٢) انظر : "سير وتراجم لبعض علمائنا في القرن الرابع عشر الهجري" تأليف : عمر عبد الجبار (ص : ٢٤٠) .

(٣) "سير وتراجم" : (ص : ٩٦) .

(٤) "سير وتراجم" : (ص : ١٠٥) .

الشريف، ثم عين عضوًا بمجلس الشورى، ورئيسًا للمحكمة الابتدائية الأولى، ثم قاضيًا في المحكمة الكبرى في العهد السعودي [١] .

**٨ ـ عبد الله بن إبراهيم حمدوه ( ١٢٨٤هـ ـ ١٣٥٠هـ ) .**

قدم من مسقط رأسه السودان إلى مكة وعمره عشرون سنة، وطلب العلم على علماء الحرم، ثم افتتح كُتّابًا، تطوّر إلى أن أصبح نواة لمدرسة الفلاح المشهورة، وعين مديرًا لها، فقام بها خير قيام [٢] .

**١٠ ـ محمد أمين بن إبراهيم فوده ( ١٣٠٧هـ ـ ١٣٦٥هـ ) .**

كان أحد مدرسي الحرم، وتقلب في وظائف كثيرة في العهد السعودي منها مدير عام المعارف، ومنها رئيس المحكمة الكبرى، ومنها رئيس محكمة الطائف، ومنها رئاسة لجنة الترقية والتأديب لكبار الموظفين، وكان ذا باع في العلم جم الأدب [٣] .

**١١ ـ محمد جمال المالكي ( ١٢٨٥هـ ـ ١٣٤٩هـ ) .**

أحد مدرسي الحرم كان ذا خلق جم مطرحًا للتكلف مع طلابه، فيه رقة ورحمة [٤] .

**١٢ ـ محمد سعيد بن أحمد أبو الخير ( ١٢٨٣هـ ـ ١٣٥٣هـ ) .**

أحد مدرسي الحرم، تخرج في المدرسة الصولتية، ثم عين عضوًا بهيئة التدقيقات ( التمييز ) في عهد الحسين، ثم عين مديرًا للأوقاف في العهد السعودي [٥] .

---

(١) "سير وتراجم" : (ص : ١٤٤) .
(٢) "سير وتراجم" : ( ص : ١٦٤ )
(٣) "سير وتراجم" : (ص : ٢٧٨) .
(٤) "سير وتراجم" : (ص : ٩٠) .
(٥) "سير وتراجم" : (ص : ٢٣٨) .



**١٣ ـ محمد عبد الهادي كتبي ( توفي ١٣٥١هـ ) .**

وكان أحد المدرسين بالحرم الشريف، سليل أسرة علمية، فأبوه خطيب المسجد الحرام، وجده مفتي مكة المكرمة (١).

**١٤ ـ محمد عرابي بن محمد صالح سجيني ( ١٢٩٦هـ ـ ١٣٧٩هـ ) .**

طلب العلم في الحرم حتى أجازه شيوخه إجازة عامة، واشتغل بالمحاماة، ثم سجن في عهد الشريف حسين ثم أفرج عنه، ولم يتول منصبًا إلا في العهد السعودي، حيث عين أمينًا لبيت المال، ثم نائبًا لرئيس المحكمة الكبرى، ثم رئيسًا لكتابة العدل، ثم ضمت إليه رئاسة المحكمة الكبرى، وتولى غير ما ذكر حتى وافته المنية (٢).

**١٥ ـ محمد بن عبد الرحمن المرزوقي ( ١٢٨٤هـ ـ ١٣٦٥هـ ) .**

تولى القضاء في العهد العثماني، ثم عين عضوًا بهيئة المعارف في العهد الهاشمي، ثم رئيسًا للمحكمة الكبرى، ورئيسًا للمجلس الأهلي الاستشاري، وعضوًا بهيئة رئاسة القضاء في العهد السعودي، وكان أحد مدرسي الحرم الشريف، ومن النوابغ في الفقه الحنفي (٣) .

**١٦ ـ محمد نور فطاني ( ١٢٩٠هـ ـ ١٣٦٣هـ ) .**

طلب العلم على علماء الحرم، وبعد نيله إجازة التدريس التحق بالأزهر ونال شهادتها العليا، ثم عاد إلى مكة، وعقد حلقة بالحرم، غصّت بطلاب العلم . عين عضوًا بمديرية المعارف في عهد الشريف، ثم عين قاضيًا في المحكمة الكبرى في العهد السعودي، حذق اللغة الملايوية، وترجم إليها بعض كتب أئمة الدعوة السلفية (٤).

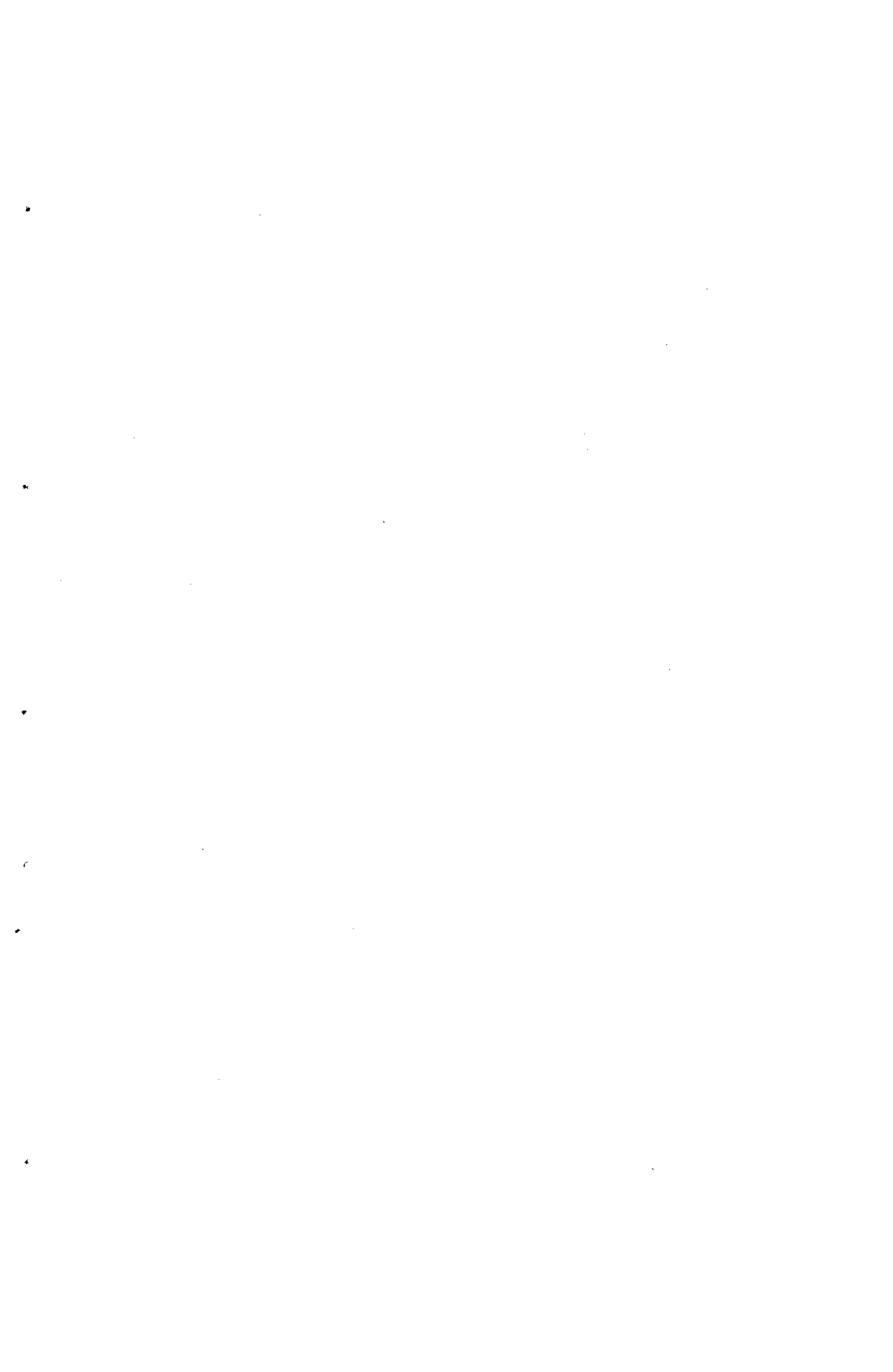
---

(١) هذه الترجمة من حفيده : محمد زيني .

(٢) "سير وتراجم" .

(٣) "سير وتراجم" : (ص : ٢٤٠) .

(٤) "سير وتراجم" : (ص : ٢٦٩) .



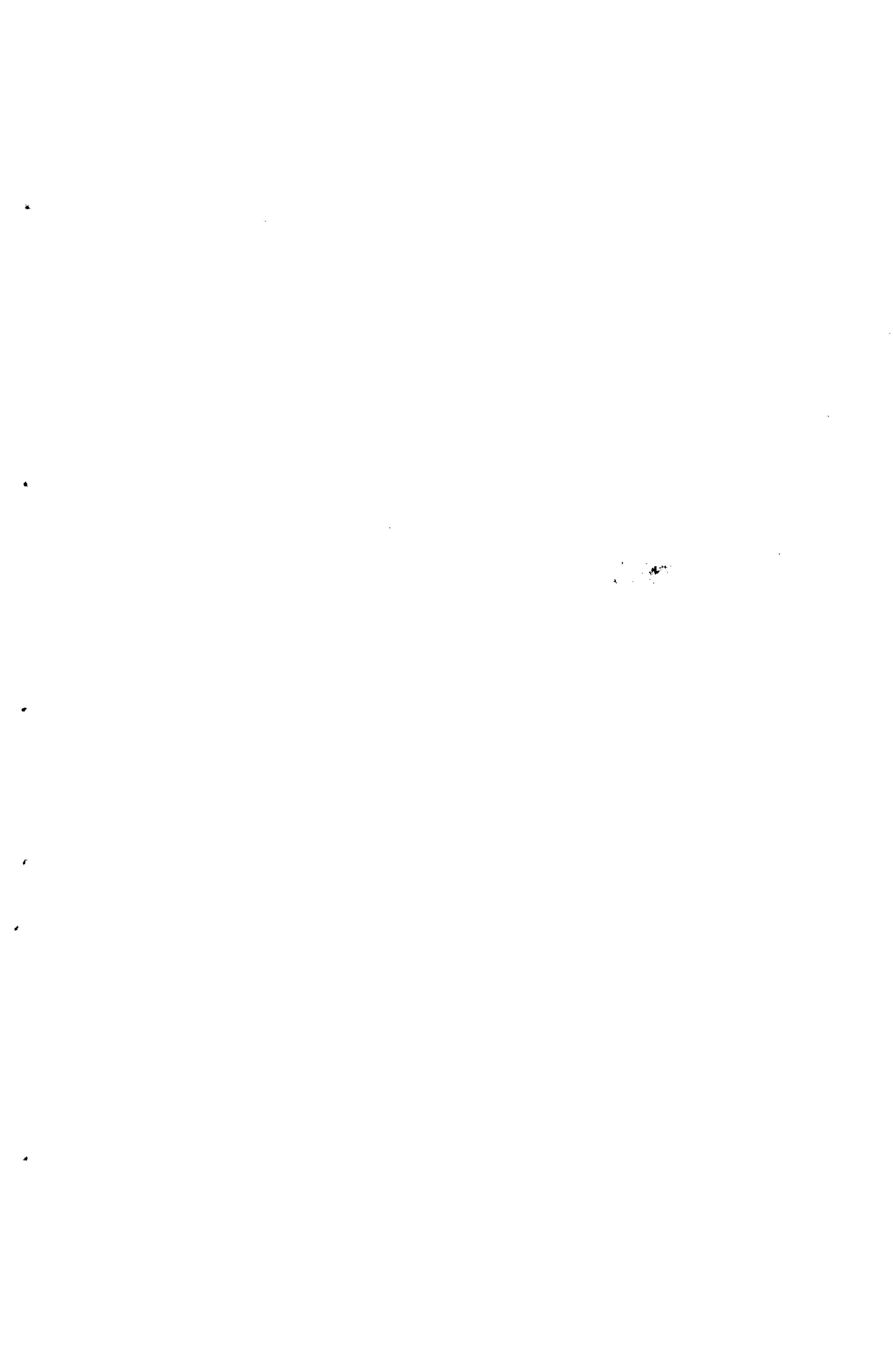
# رسالة

# في حكم

# السحر والكهانة

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

**وبعـــد :**

فنظرًا لكثرة المشعوذين في الآونة الأخيرة ممن يدّعون الطب، ويعالجون عن طريق السحر أو الكهانة ،وانتشارهم في بعض البلاد، واستغلالهم للسذج من الناس ممن يغلب عليهم الجهل؛ رأيت من باب النصيحة لله ولعباده أن أبين ما في ذلك من خطر على الإسلام والمسلمين، لما فيه من التعلق بغير الله تعالى، ومخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ .

**فأقول مستعينًا بالله ـ تعالى ـ :**

يجوز التداوي اتفاقًا، وللمسلم أن يذهب إلى دكتور أمراض باطنية أو جراحية أو عصبية أو نحو ذلك، ليشخص له مرضه ويعالجه لما يناسبه من الأدوية المباحة شرعًا حسبما يعرفه في علم الطب؛ لأن ذلك من باب الأخذ بالأسباب العادية ولا ينافي التوكل على الله، وقد أنزل ـ سبحانه وتعالى ـ الداء وأنزل معه الدواء، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله، ولكنه ـ سبحانه ـ لم يجعل شفاء عباده فيما حرمه عليهم .

فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدّعون معرفة المغيبات ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجمًا بالغيب، أو يستحضرون الجن ليستعينوا بهم على ما يريدون .

وهؤلاء شأنهم الكفر والضلال، لكونهم يدّعون أمور الغيب، وقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال : « من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يومًا »، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزِل على محمد ﷺ »

رواه أبو داود وخَرَّجّه أهل السنن الأربع، وصححه الحاكم عن النبي ﷺ بلفظ « من أتى عرَّافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ »، وعن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من تطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » . رواه البزّار بإسناد جيّد .

ففي هذه الأحاديث الشريفة النهي عن إتيان العرافين وأمثالهم وسؤالهم وتصديقهم، والوعيد على ذلك .

**فالواجب على ولاة الأمور وأهل الحسبة وغيرهم** ممن لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان والعرافين ونحوهم، ومنع من يتعاطى شيئًا من ذلك في الأسواق وغيرها، والإنكار عليهم أشد الإنكار، والإنكار على من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يأتي إليهم ممن ينتسب إلى العلم، فإنهم غير راسخين في العلم بل من الجهال، لما في إتيانهم من المحذور؛ لأن الرسول ﷺ قد نهى عن إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم، لما في ذلك من المنكر العظيم، والخطر الجسيم، والعواقب الوخيمة، ولأنهم كذبة فجرة .

كما أن في هذه الأحاديث دليلاً على كفر الكاهن والساحر، لأنهما يدّعيان عِلْمَ الغيب وذلك كفر، ولأنهما لا يتوصلان إلى مقصدهما إلا بخدمة الجن وعبادتهم من دون الله، وذلك كفر بالله وشرك به سبحانه، والمصدق لهم بدعواهم عِلْمَ الغيب ويعتقد بذلك يكون مثلهم، وكل من تلقى هذه الأمور عمن يتعاطاها فقد بريء منه رسول الله ﷺ .

ولا يجوز للمسلم أن يخضع لما يزعمونه علاجًا، كنمنمتهم بالطلاسم أو صب الرصاص، ونحو ذلك من الخرافات التي يعملونها، فإن هذا من الكهانة والتلبيس على الناس، ومن رضي بذلك فقد ساعدهم على باطلهم وكفرهم .



كما لا يجوز ـ أيضًا ـ لأحد من المسلمين أن يذهب إلى من يسأله من الكهان ونحوهم عمن سيتزوج ابنه أو قريبه، أو عما يكون بين الزوجين وأسرتيهما من المحبة والوفاء أو العداوة والفراق ونحو ذلك، لأن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

**والسحر من المحرمات الكفرية**، كما قال الله ـ عز وجل ـ في شأن الملكين في سورة البقرة : ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون** ﴾ .

فدلت هذه الآية الكريمة على أن السحر كفر، وأن السحرة يفرقون بين المرء وزوجه .

كما دلت على أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعًا ولا ضرًا، وإنما يؤثر بإذن الله الكوني القدري، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي خلق الخير والشر .

ولقد عَظُمَ الضرر، واشتد الخَطْبُ بهؤلاء المفترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين، ولَبَّسُوا بها على ضعفاء العقول، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كما دلت الآية الكريمة على أن الذين يتعلمون السحر إنما يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، وأنه ليس لهم عند الله من خلاق، أي : من حظ ونصيب . وهذا وعيد عظيم يدل على شدة خسارتهم في الدنيا والآخرة، وأنهم باعوا أنفسهم بأبخس الأثمان . ولهذا ذمهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ على ذلك بقوله : ﴿ **ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون** ﴾، والشراء هنا بمعنى البيع .

نسأل الله العافية والسلامة من شر السحرة والكهنة وسائر المشعوذين، كما نسأله ـ سبحانه ـ أن يقي المسلمين شرهم، وأن يوفق المسلمين للحذر



منهم وتنفيذ حكم الله فيهم، حتى يستريح العباد من ضررهم وأعمالهم الخبيثة، إنه جواد كريم .

وقد شرع الله ـ سبحانه ـ لعباده ما يتقون به شر السحر قبل وقوعه، وأوضح لهم ـ سبحانه ـ ما يعالجونه به بعد وقوعه رحمة منه لهم وإحسانًا منه إليهم وإتمامًا لنعمته عليهم .

**وفيما يلي بيان للأشياء التي يُتَّقَى بها خطر السحر قبل وقوعه، والأشياء التي تعالج بها بعد وقوعه من الأمور المباحة شرعًا :**

**أما النوع الأول** : وهو الذي يُتَّقَى به خطر السحر قبل وقوعه .

فأهم ذلك وأنفعه هو : التحصن بالأذكار الشرعية والدعوات والتعوذات المأثورة .

ومن ذلك : قراءة آية الكرسي خلف كل صلاة مكتوبة بعد الأذكار المشروعة بعد السلام . ومن ذلك : قراءتها عند النوم . وآية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم، وهي قوله سبحانه : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم** ﴾ .

ومن ذلك : قراءة ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾، و﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾، و﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ خلف كل صلاة مكتوبة، وقراءة السور الثلاث ثلاث مرات في أول النهار بعد صلاة الفجر، وفي أول الليل بعد صلاة المغرب

ومن ذلك : قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل، وهما قوله تعالى : ﴿ **آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ إلى آخر السورة .



وقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح »، وصح عنه - أيضًا - ﷺ أنه قال : « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » والمعنى والله أعلم : كفتاه من كل سوء .

ومن ذلك : الإكثار من التعوذ بـ : « كلمات الله التامات من شر ما خلق » في الليل والنهار، وعند نزول أي منزل في البناء أو الصحراء أو الجو أو البحر، لقول النبي ﷺ : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » .

ومن ذلك : أن يقول المسلم في أول النهار وأول الليل ثلاث مرات : « بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم » لصحة الترغيب في ذلك عن رسول الله ﷺ، وأن ذلك سبب للسلامة من كل سوء .

وهذه الأذكار والتعوذات من أعظم الأسباب في اتقاء شر السحر وغيره من الشرور؛ لمن حافظ عليها بصدق وإيمان وثقة بالله واعتماد عليه وانشراح صدر لما دلت عليه . وهي - أيضًا - من أعظم السلاح لإزالة السحر بعد وقوعه، مع الإكثار من الضراعة إلى الله، وسؤاله سبحانه أن يكشف الضرر ويزيل البأس .

ومن الأدعية الثابتة عنه ﷺ في علاج الأمراض من السحر وغيره - وكان ﷺ يرقي بها أصحابه - : « اللهم رب الناس، اذهب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا » .

ومن ذلك : الرقية التي رقى بها جبرائيل النبي ﷺ وهي قوله : « بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك » وليكرر ذلك ثلاث مرات .

**ومن علاج السحر بعد وقوعه - أيضًا - وهو علاج نافع للرجل إذا حبس من**

**جماع أهله** : أن يأخذ سبع ورقات من السدر الأخضر، فيدقها بحجر أو نحوه، ويجعلها في إناء، ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغسل، ويقرأ فيها آية الكرسي و﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ و﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ و﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ وآيات السحر التي في سورة الأعراف، وهي قوله : ـ سبحانه ـ : ﴿ **وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ۝ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ۝ فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين** ﴾ . والآيات التي في سورة يونس وهي قوله : ـ سبحانه ـ : ﴿ **وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم ۝ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ۝ فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ۝ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون** ﴾ . والآيات التي في سورة طه : ﴿ **قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى ۝ قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ۝ فأوجس في نفسه خيفة موسى ۝ قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ۝ وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى** ﴾ .

وبعد قراءة ما ذكر في الماء، يشرب بعض الشيء، ويغتسل بالباقي، وبذلك يزول الداء إن شاء الله ـ تعالى ـ . وإن دعت الحاجة لاستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول الداء .

**ومن علاج السحر ـ أيضًا ـ وهو من أنفع علاجه** : بذل الجهود في معرفة موضع السحر في أرض أو جبل أو غير ذلك، فإذا عُرف واستُخرج وأُتلف بطل السحر .

هذا ما تيسر بيانه من الأمور التي يُتَّقَى بها السحر ويعالج بها، والله ولي التوفيق .

**وأما علاجه بعمل السحرة الذي هو التقرب إلى الجن** بالذبح أو غيره من القربات، فهذا لا يجوز، لأنه من عمل الشيطان، بل من الشرك الأكبر .



فالواجب الحذر من ذلك .

كما لا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين، واستعمال ما يقولون، لأنهم لا يؤمنون، ولأنهم كذبة فجرة، يدّعون علم الغيب، ويلبّسون على الناس، وقد حذر الرسول ﷺ من إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم، كما سبق بيان ذلك في أول هذه الرسالة .

والله المسئول أن يوفق المسلمين للعافية من كل سوء، وأن يحفظ عليهم دينهم، ويرزقهم الفقه فيه، والعافية من كل ما يخالف شرعه .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



# منهج ودراسات
## لآيات الأسماء والصفات

للشيخ الفاضل
محمد الأمين الشنقيطي
المتوفَّى سنة ١٣٩٣ هـ



# منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

**أما بعد :**

فإنا نريد أن نوضح لكم معتقد السلف، والطريق الذي هو المنجي نحو آيات الصفات :

**أولا** : اعلموا أن كثرة الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات، وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع؛ من البدع التي يكرهها السلف .

اعلموا أن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يتركز على ثلاثة أسس، من جاء بها كلها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل .

وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآن عظيم .

**أحد هذه الأسس الثلاثة** : هو تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين . وهذا الأصل يدل عليه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾، ﴿ **ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾، ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال** ﴾ .

**الثاني من هذه الأسس** : هو الإيمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ﴿ **أأنتم أعلم أم الله** ﴾، والإيمان بما وصفه به رسوله ﷺ

لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال في حقه : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾. فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، وينزه ربه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة الخلق، وحيث أخل بأحد هذين الأصلين وقع في هوة ضلال، لأن من تنطع بين يدي رب السماوات والأرض، وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة، ونفى عن ربه وصفًا أثبته لنفسه فهذا مجنون [١]، فالله جل وعلا يثبت لنفسه صفات كمال وجلال، فكيف يليق لمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السماوات والأرض، ويقول : هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك، ويلزمه من النقص كذا وكذا ،فأنا أؤوله وألغيه، وآتي ببدله من تلقاء نفسي، من غير استناد إلى كتاب أو سنة ؟! . سبحانك هذا بهتان عظيم .

ومن ظن أن صفة خالق السماوات والأرض تشبه شيئًا من صفات الخلق فهذا مجنون[١]، جاهل، ملحد ضال .

ومن آمن بصفات ربه جل وعلا، منزهًا ربه عن تشبيه صفاته بصفات الخلق، فهو مؤمن منزِّه، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل .

وهذا التحقيق هو مضمون : ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾، فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الاشكالات، ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع، ذلك لأن الله قال : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ بعد قوله : ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ . ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات، فكأن الله يشير للخلق أن لا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره، بادّعاء أن الحوادث تسمع وتبصر، وأن ذلك تشبيه، بل عليهم أن يثبوا له صفة سمعه وبصره على أساس ليس كمثله شيء ، فالله جل وعلا

---

(١) المناسب أن يقال : ضال أو جاهل .



له صفات لائقة بكماله وجلاله، والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم، وكل هذا حق ثابت لا شك فيه، إلا أن صفة رب السماوات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين، فمن نفى عن الله وصفًا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله، سبحانك هذا بهتان عظيم .

ومن ظن أن صفة ربه تشبه شيئًا من صفة الخلق، هذا مجنون ضال ملحد لا عقل له، يدخل في قوله : ﴿ **تالله إن كنا لفي ضلال مبين ۞ إذ نسويكم برب العالمين** ﴾ . ومن يسوي رب العالمين بغيره فهو مجنون .

ثم اعلموا أن المتكلمين الذين خاضوا في الكلام، وجاءوا بأدلة يسمونها أدلة عقلية، ركبوها في أقيسة منطقية . قسموا صفات الله جل وعلا إلى ستة أقسام . قالوا : هناك صفة نفسية، وصفة معنى، وصفة معنوية، وصفة فعلية، وصفة سلبية، وصفة جامعة .

**أما الصفات الإضافية** : فقد جعلوها أمورًا اعتبارية لا وجود لها في الخارج، وسببوا بذلك إشكالات عظيمة وضلالاً مبينًا .

ثم إنا نبين لكم على تقسيم المتكلمين ما جاء في القرآن العظيم من وصف الخالق جل وعلا بتلك الصفات، ووصف المخلوقين بتلك الصفات، وبيان القرآن العظيم، لأن صفة خالق السماوات والأرض حق، وأن صفة المخلوقين حق، وأنه لا مناسبة بين صفة الخالق وبين صفة المخلوق، فصفة الخالق لائقة بذاته، وصفة المخلوق مناسبة لعجزه وافتقاره، وبين الصفة والصفة من المخالفة كمثل ما بين الذات والذات .

أما هذا الكلام الذي يُدَرَّسُ في أقطار الدنيا اليوم في المسلمين، فإن أغلب الذين يدرسونه إنما يثبتون من الصفات التي يسمونها صفات المعاني، سبع صفات فقط، وينكرون سواها من المعاني ويؤولونها .

وصفة المعني عندهم في الاصطلاح ضابطها : هي أنها ما دل على معنى وجودي قائم بالذات . والذي اعترفوا به منها سبع صفات، هي : القدرة،

والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام . ونفوا غير هذه الصفات من صفات المعاني التي سنبينها، ونبين أدلتها من كتاب الله .

وأنكر هذه المعاني السبعة المعتزلة، وأثبتوا أحكامها، فقالوا : هو قادر بذاته، سميع بذاته، عليم بذاته، حيٌّ بذاته، ولم يثبتوا قدرةً ولا علمًا ولا حياةً ولا سمعًا ولا بصرًا، فرارًا منهم من تعدد القديم . وهو مذهب كل العقلاء يعرفون ضلاله وتناقضه، وأنه إذا لم يقم بالذات علم استحال أن تقول هي عالمة بلا علم، وهو تناقض واضح بأوائل العقول .

**فإذا عرفتم هذا، فسنتكلم على صفات المعاني التي أقروا بها فنقول :**

**١ -** وصفوا الله - تعالى - بالقدرة وأثبتوا له القدرة، والله جل وعلا يقول في كتابه : ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾، ونحن نقطع أنه - تعالى متصف بصفة القدرة على الوجه اللائق بكماله وجلاله . وكذلك وصف بعض المخلوقين بالقدرة قال : ﴿ **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم** ﴾ فأسند القدرة لبعض الحوادث ونسبها إليهم، ونحن نعلم أن كل ما في القرآن حق، وأن للمولى جل وعلا قدرة حقيقية تليق بكماله وجلاله . كما أن للمخلوقين قدرة حقيقية مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم . وبين قدرة الخالق والمخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق، وحسبك بونًا بذلك .

**٣/٢ -** ووصف نفسه بالسمع والبصر في غير ما آية من كتابه، قال : ﴿ **إن الله سميع بصير** ﴾ ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** ﴾، ووصف بعض الحوادث بالسمع والبصر، قال : ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعًا بصيرًا** ﴾ ﴿ **أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا** ﴾ . ونحن لا نشك أن ما في القرآن حق، فلله جل وعلا سمع وبصر حقيقيان لائقان بجلاله وكماله . كما أن للمخلوق سمعًا وبصرًا حقيقين مناسبين لحاله من فقره وفنائه وعجزه، وبين سمع وبصر الخالق وسمع وبصر المخلوق من



المخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

**٤** - ووصف نفسه بالحياة، قال تعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾، ﴿ **وتوكل على الحي الذي لا يموت** ﴾، ﴿ **هو الحي لا إله إلا هو** ﴾ الآية . ووصف - أيضًا - بعض المخلوقين بالحياة، قال : ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي** ﴾، ﴿ **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا** ﴾، ﴿ **يُخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي** ﴾، ونحن نقطع بأن الله - جل وعلا - صفة حياة حقيقية لائقة بكماله وجلاله . كما أن للمخلوقين حياة مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم، وبين صفة الخالق والمخلوق من المخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق . وذلك بون شاسع بن الخالق وخلقه .

**٥** - ووصف - جل وعلا - نفسه بالإرادة، قال : ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين بالإرادة، قال : ﴿ **تريدون عرض الدنيا** ﴾ ﴿ **إن يريدون إلا فرارا** ﴾ ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله** ﴾ ولا شك أن لله إرادة حقيقة لائقة بكماله وجلاله، كما أن للمخلوقين إرادة مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم، وبين إرادة الخالق والمخلوق كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

**٦** - وصف نفسه - جل وعلا - بالعلم قال : ﴿ **والله بكل شيء عليم** ﴾، ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه** ﴾، ﴿ **فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين** ﴾، ووصف بعض المخلوقين بالعلم قال : ﴿ **وبشرناه بغلام عليم** ﴾ ﴿ **وإنه لذو علم لما علمناه** ﴾ . ولا شك أن للخالق - جل وعلا - علمًا حقيقيًا لائقًا بكماله وجلاله محيطًا بكل شيء . كما أن للمخلوقين علمًا مناسبًا لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم . وبين علم الخالق والمخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

**٧** - ووصف نفسه - جل وعلا - بالكلام . قال : ﴿ **وكلم الله موسى تكليماً** ﴾ . ﴿ **فأجِره حتى يسمع كلام الله** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين

بالكلام قال : ﴿ **فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين** ﴾ ﴿ **تكلمنا أيديهم** ﴾ ولا شك أن للخالق تعالى كلامًا حقيقيًا لائقًا بكماله وجلاله . كما أن للمخلوقين كلامًا مناسبًا لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم، وبين كلام الخالق والمخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .

هذه صفات المعاني، سمعتم ما في القرآن من وصف الخالق بها ووصف المخلوق، ولا يخفى على عاقل أن صفات الخالق حق، وأن صفات الخالق لائقة بجلاله وكماله، وصفات المخلوقين مناسبة لحالهم . وبين الصفة والصفة كما بين الذات والذات . وسنبين مثل ذلك في الصفات التي يسمونها سلبية .

وضابط الصفة السلبية عند المتكلمين، نقول : هذا قياس عدم محض، والمراد بها : أن تدل على سلب ما لا يليق بالله عن الله من غير أن تدل على معنى وجودي قائم بالذات، والذين قالوا هذا جعلوا الصفات السلبية خمسًا لا سادس لها، وهي عندهم : القدم، والبقاء، والمخالفة للخلق والوحدانية، والغنى المطلق الذي يسمونه القيام بالنفس، الذي يعنون به الاستغناء عن المخصص والمحل .

فإذا عرفتم هذا، فاعلموا أن القدم والبقاء اللذين وصف المتكلمون بهما الله ـ جل وعلا ـ، زاعمين أنه وصف بهما نفسه في قوله : ﴿ **هو الأول والآخر** ﴾ قد وصف بهما المخلوق . والقدم في الاصطلاح عندهم : عبارة عن سلب العدم السابق . إلا أنه عندهم أخص من الأزل، لأن الأزل عبارة عما لا افتتاح له، سواء كان وجوديًا كذات الله وصفاته، أو عدميًا كإعدام ما سوى الله، لأن العدم السابق على العالم قبل وجوده لا أول له فهو أزلي، ولا يقال فيه قديم . والقدم عندهم : عبارة عما لا أول له، بشرط أن يكون وجوديًا كذات الله متصفة بصفات الكمال والجلال .

ونحن الآن نتكلم على ما وصفوا به الله جل وعلا من القدم والبقاء، وإن

كان بعض العلماء كره وصفه - جل وعلا - بالقدم كما يأتي، فالله - عز وجل - وصف بعض المخلوقين بالقدم، قال : ﴿ **كالعرجون القديم** ﴾ ﴿ **إنك لفي ضلالك القديم** ﴾ ﴿ **أنتم وآباؤكم الأقدمون** ﴾، ووصف بعضهم بالبقاء قال : ﴿ **وجعلنا ذريته هم الباقين** ﴾ ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾، ولا شك أن ما وصفوا به الله من هذه الصفات مخالف لما وصف به الخلق نحو ما تقدم .

أما الله - عز وعلا - فلم يصف في كتابه نفسه بالقدم، وبعض السلف كره وصفه بالقدم، لأنه قد يطلق مع سبق العدم، نحو ﴿ **كالعرجون القديم** ﴾ ﴿ **إنك لفي ضلالك القديم** ﴾ ﴿ **أنتم وآباؤكم الأقدمون** ﴾، وقد جاء فيه حديث قال فيه بعض العلماء : ( هو يدل على وصفه بهذا )، وبعضهم يقول : ( لم يثبت ) . وقد ذكر الحاكم في المستدرك في بعض الروايات : القديم في أسمائه - تعالى - . وفي حديث دخول المسجد : « أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم» .

أما الأولية والآخرية التي نص الله عليهما في قوله : ﴿ **هو الأول والآخر** ﴾ فقد وصف بعض المخلوقين - أيضًا - بالأولية والآخرية، قال : ﴿ **ألم نهلك الأولين ۝ ثم نتبعهم الآخرين** ﴾، ولا شك أن ما وصف الله به نفسه من ذلك لائق بجلاله وكماله، كما أن للمخلوقين أولية وآخرية مناسبة لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم .

ووصف نفسه بأنه واحد قال : ﴿ **وإلهكم إله واحد** ﴾، ووصف بعض المخلوقين بذلك قال : ﴿ **يسقى بماء واحد** ﴾ .

ووصف نفسه بالغني قال : ﴿ **فإن الله هو الغني الحميد** ﴾، ﴿ **إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغني حميد** ﴾، ﴿ **فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد** ﴾، ووصف بعض المخلوقين بالغنى قال : ﴿ **ومن كان غنيًا فليستعفف** ﴾ ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾ .

فهذه صفات السلب، جاء في القرآن وصف الخالق والمخلوق بها، ولا شك أن ما وُصِفَ به الخالق منها لائق بكماله وجلاله، وما وُصِفَ به المخلوق مناسب لحاله وفنائه وعجزه وافتقاره .

ثم نذهب إلى الصفات السبع التي يسمونها المعنوية، والتحقيق : أن عد الصفات السبع المعنوية التي هي كونه تعالى : قادرًا ومريدًا وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا لا وجه له، لأنها في الحقيقة إنما هي كيفية الاتصاف بالمعاني السبع التي ذكرنا، ومن عدها من المتكلمين عَدُّوها بناء على ثبوت ما يسمونه الحال المعنوية، التي يزعمون أنها واسطة ثبوتية لا معدومة ولا موجودة . والتحقيق : أن هذه خرافة وخيال، وأن العقل الصحيح لا يجعل بين الشيئ ونقيضه واسطة البتة، فكل ما ليس بموجود فهو معدوم قطعًا، وكل ما ليس بمعدوم فهو موجود قطعًا، ولا واسطة البتة، كما هو معروف عند العقلاء .

فإن كنا قد مثلنا لكونه قادرًا وحيًا ومريدًا وسميعًا وبصيرًا ومتكلمًا لما جاء في القرآن من وصف الخالق بذلك، وما جاء في القرآن من وصف المخلوق بذلك، وبيّنا أن صفة الخالق لائقة بكامله وجلاله، وأن صفة المخلوق مناسبة لحاله وفنائه وعجزه وافتقاره، فلا داعي لأن ننفي وصف رب السماوات والأرض، لئلا نشبهها بصفات المخلوقين، بل يلزم أن نقر بوصف الله ونؤمن به في حال كوننا منزهين له عن مشابهة صفة المخلوق، وهذه صفات الأفعال جاء في القرآن بكثرة وصف الخالق بها ووصف المخلوق، ولا شك أن ما وُصِفَ به الخالق منها مخالف لما وصف به المخلوق، كالمخالفة التي بين ذات الخالق وذات المخلوق . ومن ذلك : أنه وصف نفسه جل وعلا بصفة الفعل التي هي أنه يرزق خلقه، قال ـ جل وعلا ـ : ﴿ **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ۝ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين بصفة الرزق قال : ﴿ **وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه** ﴾ ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله**



**لكم قياما وارزقوهم فيها** ﴾ ﴿ **وعلى المولود له رزقهن** ﴾ . ولا شك أن ما وُصِفَ الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه المخلوق، كمخالفة ذات الله لذات المخلوق .

ووصف نفسه ـ جل وعلا ـ بصفة الفعل الذي هو العمل قال : ﴿ **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون** ﴾ . ووصف المخلوقين بصفة الفعل التي هي العمل قال : ﴿ **إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ . ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مناف لما وصف به المخلوق، مخالف له كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق .

ووصف نفسه بأنه يُعَلِّمُ خلقه : ﴿ **الرحمن علم القرآن ۞ خلق الإنسان علمه البيان** ﴾ ﴿ **إقرأ وربك الأكرم ۞ الذي علم بالقلم ۞ علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا** ﴾ . ووصف بعض خلقه بصفة الفعل التي هي التعليم ــ أيضًا ــ قال : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب** ﴾ . وجمع المثالين في قوله : ﴿ **تعلمونهن مما علمكم الله** ﴾ .

ووصف نفسه ـ جل وعلا ـ بأنه ينبئ، ووصف المخلوق بأنه ينبئ . وجمع بين الفعل في الأمرين في قوله ـ جل وعلا ـ ﴿ **وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير** ﴾ . ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما وصف به منه العبد، كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق .

ووصف نفسه بصفة الفعل الذي هو الإيتاء، قال ـ جل وعلا ــ : ﴿ **يؤتي الحكمة من يشاء** ﴾ ﴿ **ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾ . ووصف المخلوقين بالفعل الذي هو الإيتاء قال : ﴿ **وآتيتم إحداهن قنطارا** ﴾ ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ . ولا شك أن ما وصف الله به من هذا الفعل مخالف لما



وصف به العبد من هذا الفعل، كمخالفة ذاته لذاته .

ثم نتكلم على الصفات الجامعة : كالعلو والعِظَم والكِبَر والمِلْك والتكبر والجبروت والعزة والقوة، وما جرى مجرى ذلك من الصفات الجامعة، فنجد الله وصف نفسه بالعلو والكِبَر والعِظَم، قال في وصفه نفسه بالعلو والعظم : ﴿ **ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم** ﴾ . وقال في وصف نفسه بالعلو والكبر : ﴿ **إن الله كان عليًا كبيرًا** ﴾ ﴿ **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين بالعِظَم قال : ﴿ **فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ ﴿ **إنكم لتقولون قولاً عظيما** ﴾ ﴿ **ولها عرش عظيم** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين بالعلو قال : ﴿ **ورفعناه مكانًا عليا** ﴾ ﴿ **وجعلنا لهم لسان صدق عليا** ﴾ . ولا شك أن ما وصف الله به من هذه الصفات الجامعة كالعلو والكبر والعظم مناف لما وصف به المخلوق منها، كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق، فلا مناسبة بين ذات الخالق والمخلوق، كما لا مناسبة بين صفة الخالق وصفة المخلوق .

ووصف نفسه بالملك قال : ﴿ **يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس** ﴾ ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس** ﴾ ﴿ **في مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين بالملك قال : ﴿ **وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان** ﴾ ﴿ **وقال الملك ائتوني به** ﴾ ﴿ **وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا** ﴾ ﴿ **تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء** ﴾ . ولا شك أن لله ـ جل وعلا ـ ملكًا حقيقيًا لائقًا بكماله وجلاله . كما أن للمخلوقين ملكًا مناسبًا لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم .

ووصف نفسه بأنه جبار متكبر قال : ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس** ﴾ إلى قوله : ﴿ **الجبار المتكبر** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين بأنه جبار متكبر قال : ﴿ **كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار** ﴾ ﴿ **وإذا**



**بطشتم بطشتم جبارين** ﴾ ﴿ **أليس في جهنم مثوى للمتكبرين** ﴾ ﴿ **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** ﴾، ولا شك أن ما وصف به الخالق من هذه الصفات مناف لما وصف به المخلوق كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق .

ووصف نفسه - جل وعلا - بالعزة قال : ﴿ **إن الله عزيز حكيم** ﴾ ﴿ **أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين بالعزّة قال : ﴿ **وقالت امرأة العزيز** ﴾ ﴿ **وعزني في الخطاب** ﴾ . وجمع المثالين في قوله : ﴿ **و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ . ولا شك أن ما وصف به الخالق من هذا الوصف مناف لما وصف به المخلوق، كمخالفة ذات الخالق لذات المخلوق .

ووصف نفسه - جل وعلا - بالقوة قال : ﴿ **ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ . ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين بالقوة قال : ﴿ **ويزدكم قوة إلى قوتكم** ﴾ . وقال - جل وعلا - : ﴿ **الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعض ضعف قوة** ﴾ . وجمع بين المثالين في قوله : ﴿ **فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون** ﴾ .

ثم إننا نتكلم على الصفات التي اختلف فيها المتكلمون، هل هي صفات فعل، أو صفات معنى ؟ . والتحقيق : أنها صفات معان قائمة بذات الله - جل وعلا -، كالرأفة والرحمة والحلم .

فنجده - جل وعلا - وصف نفسه بأنه رؤوف رحيم قال : ﴿ **إن ربكم لرؤوف رحيم** ﴾، ووصف بعض المخلوقين بذلك، قال في وصف نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾ .

ووصف نفسه بالحلم قال : ﴿ **ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم**

**حليم** ﴾ ﴿ **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله غفور حليم** ﴾ ﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين بالحلم، قال : ﴿ **فبشرناه بغلام حليم** ﴾ ﴿ **إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ .

ووصف نفسه بالمغفرة قال : ﴿ **إن الله غفور رحيم** ﴾ ﴿ **فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** ﴾ . ووصف بعض المخلوقين بالمغفرة، قال : ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ ﴿ **قول معروف ومغفرة** ﴾ الآية ، ﴿ **قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله** ﴾ .

ولا شك أن ما وصف به خالق السماوات والأرض من هذه الصفات أنه حق لائق بكماله وجلاله، لا يجوز أن ينفى خوفًا من التشبيه بالخلق، وأن ما وصف به الخلق من هذه الصفات حق مناسب لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم .

وعلى كل حال فلا يجوز للإنسان أن يتنطع إلى وصف أثبته الله - جل وعلا - لنفسه، فينفي هذا الوصف عن الله، متهجمًا على رب السماوات والأرض، مدعيًا عليه أن هذا الوصف الذي تمدح به أنه لا يليق به، وأنه هو ينفيه عنه، ويأتيه بالكمال من كيسه الخاص، فهذا جنون وهوس، ولا يذهب إليه إلا من طمس الله بصائرهم .

وسنضرب لكم لهذا مثلاً يتبين به الكل، لأن مثلاً واحدًا من آيات الصفات ينسحب على الجميع، إذ لا فرق بين الصفات، لأن الموصوف بها واحد، وهو - جل وعلا، لا يشبه شيء من خلقه في شيء من صفاته البتة .

فهذه صفة الاستواء التي كثر فيها الخوض، ونفاها كثير من الناس بفلسفة منطقية، وأدلة جدلية، سنتكلم في آخر البحث على وجوه إبطالها

كلاماً يخص الذين درسوا المنطق والجدل، ليتبين كيف استدل أولئك بالباطل وأبطلوا به الحق، وأحقوا به الباطل .

فهذه صفة الاستواء تجرأ الآلاف ممن يدعون الإسلام ونفوها عن رب السماوات والأرض بأدلة منطقية، يركبون فيها قياسًا استثنائيًا مركبًا من شرطية متصلة لزومية، واستثنائية يستثنون فيه نقيض التالي، ينتجون في زعمهم الباطل نقيض المقدم، بناء على أن نفي اللازم يقتضي نفي الملزوم، فيقولون مثلاً : لو كان مستويًا على عرشه لكان مشابهًا للخلق، لكنه لم يكن مشابهًا للخلق، فينتجون ليس مستويًا على العرش، وعظم هذا الافتراء كما ترى .

١ - اعلموا أن هذه الصفة التي هي صفة الاستواء صفة كمال وجلال، تَمَدّح بها رب السماوات والأرض، والقرينة على أنها صفة كمال وجلال أن الله ما ذكرها في موضع من كتابه إلا مصحوبة بما يبهر العقول من صفات جلاله وكماله، التي هي منها .

وسنضرب مثلاً لذلك بذكر الآيات : فأول سورة ذكر الله فيها صفة الاستواء حسب ترتيب المصحف سورة الأعراف، قال : ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾ . فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال ؟ .

٢ - الموضع الثاني في سورة يونس قال : ﴿ **إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ۝ إليه مرجعكم جميعًا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا**

**يكفرون ۞ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ۞ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾** . فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على هذا الكمال والجلال ؟ .

٣ ـ الموضع الثالث في سورة الرعد في قوله ـ جل وعلا ـ : ﴿ **الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ۞ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسْقَى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾**، وفي القراءة الأخرى : ﴿ **وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تُسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾**، فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال ؟ .

٤ ـ الموضع الرابع في سورة طه : ﴿ **طه ۞ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ۞ إلا تذكرة لمن يخشى ۞ تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى ۞ الرحمن على العرش استوى ۞ له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ۞ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ۞ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾** .

فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال ؟ .

٥ ـ الموضع الخامس في سورة الفرقان في قوله : ﴿ **وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً ۞ الذي خلق**

**السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا** ﴾ فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على هذا الكمال والجلال ؟ .

٦ - الموضع السادس في سورة السجدة في قوله تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ۝ الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون ۝ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ۝ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ۝ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ۝ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ۝ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون** ﴾ فهل لأحد أن ينفي شيئًا من هذه الصفات الدالة على هذا الجلال والكمال ؟ .

٧ - الموضع السابع في سورة الحديد في قوله - تعالى - : ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ۝ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾ . فالشاهد : أن هذه الصفة التي يظن الجاهلون أنها صفة نقص، ويتهجمون على رب السماوات والأرض بأنه وصف نفسه صفة نقص، ثم يتسبب عن هذا أن ينفوها ويؤولوها، مع أن الله - جل وعلا - تَمَدَّح بها وجعلها من صفات الجلال والكمال، مقرونة بما يبهر العقول من صفات الجلال والكمال، هذا يدل على جهل وهوس من ينفي بعض صفات الله - جل وعلا - بالتأويل .

ثم اعلموا أن هذا الشيء الذي يقال له التأويل، الذي فتن به الخلق، وضل



به الآلاف من هذه الأمة . اعلموا أن التأويل يطلق مشتركًا بين ثلاثة معان :

**١ ـ** يطلق على ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال، وهذا هو معناه في القرآن، نحو ﴿ **ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾ ، ﴿ **ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم** ﴾ الآية، ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل** ﴾ . ومعنى التأويل في الآيات المذكورة : ما تؤول إليه حقيقة الأمر في ثاني حال .

**٢ ـ** ويطلق التأويل بمعنى التفسير . وهذا قول معروف، كقول ابن جرير : القول في تأويل قوله تعالى : كذا . أي : تفسيره .

**٣ ـ** أما في اصطلاح الأصوليين : فالتأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح لدليل .

**وصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه له عند علماء الأصول ثلاث حالات :**

أ ـ إما أن يصرفه عن ظاهره المتبادر منه لدليل صحيح من كتاب أو سنة، وهذا النوع من التأويل صحيح مقبول لا نزاع فيه .

ومثال هذا النوع : ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « الجار أحق بصقبه »، فظاهر هذا الحديث ثبوت الشفعة للجار، وحمل هذا الحديث على الشريك المقاسم حمل اللفظ على محتمل مرجوح غير ظاهر متبادر، إلا أن حديث جابر الصحيح : « فإذا ضربت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة »، دل على أن المراد بالجار الذي هو أحق بصقبه خصوص الشريك المقاسم . فهذا النوع من صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل واضح يجب الرجوع إليه من كتاب وسنة، وهذا التأويل يسمى : تأويلاً صحيحًا، وتأويلا قريبًا، ولا مانع منه إذا دل عليه النص .

**ب ـ** الثاني هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لشيء يعتقده المجتهد دليلاً، وهو في نفس الأمر ليس بدليل . فهذا يسمى تأويلاً بعيدًا، ويقال له فاسد . ومثل له بعض العلماء بتأويل الإمام أبي حنيفة رحمه الله لفظ امرأة

في قوله ﷺ : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، باطل » قالوا : حمل هذا على خصوص المكاتبة تأويل بعيد، لأنه صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه، لأن أيَّ في قوله : « أيُّما امرأة » صيغة عموم، وأكدت صيغة العموم بما المزيدة للتوكيد، فحمل هذا على صورة نادرة هي المكاتبة حمل اللفظ على غير ظاهره لغير دليل جازم يجب الرجوع إليه .

ج - إما حمل اللفظ على غير ظاهره لا لدليل . فهذا لا يسمى تأويلاً في الاصطلاح، بل يسمى لعبًا، لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ . ومن هذا تفسير غلاة الروافض قوله تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** ﴾، قالوا : عائشة، ومن هذا النوع صرف آيات الصفات عن ظواهرها إلى محتملات ما أنزل الله بها من سلطان، كقولهم : استوى بمعنى استولى . فهذا لا يدخل في اسم التأويل، لأنه لا دليل عليه البتة، وإنما يسمى في اصطلاح أهل الأصول لعبًا، لأنه تلاعب بكتاب الله - جل وعلا - من غير دليل ولا مستند .

فهذا النوع لا يجوز، لأنه تهجم على كلام رب العالمين .

والقاعدة المعروفة عند علماء السلف : أنه لا يجوز صرف شيء من كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ عن ظاهره المتبادر منه إلا بدليل يجب الرجوع إليه .

وكل هذا الشر - فاسمعوا أيها الإخوان نصيحة مشفق - إنما جاء من مسألة، وهي نجس القلب وتلطخه وتدنسه بأقذار التشبيه، فإذا سمع ذو القلب المتنجس بأقذار التشبيه صفة من صفات الكمال، أثنى الله بها على نفسه، كنزوله إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير، وكاستوائه على عرشه، وكمجيئه يوم القيامة، وغير ذلك من صفات الجلال والكمال، أوّل مايخطر في ذهن المسكين أن هذه الصفات تشبه صفة الخلق، فيكون قلبه متنجسًا بأقذار التشبيه، لا يقدر الله حق قدره، ولا يعظم الله حق عظمته، حيث يسبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبة صفة المخلوق، فيكون فيها أولاً نجس القلب متقذره بأقذار التشبيه، فيدعو شؤم هذا التشبيه إلى أن ينفي

صفة الخالق - جل وعلا - عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق، فيكون فيها أولاً مشبهًا، وثانيًا معطلاً ضالاً ابتداءً وانتهاءً، متهجمًا على رب العالمين، ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق .

واعلموا أن هنا قاعدة أصولية أطبق عليها من يعتد به من أهل العلم، وهي : أن النبي ﷺ لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة، ولا سيما العقائد، ولا سيما لو مشينا على فرضهم الباطل أن ظاهر آيات الصفات الكفر، فالنبي ﷺ لم يؤول الاستواء ( بالاستيلاء )، ولم يؤول شيئًا من هذه التأويلات، ولو كان المراد بها هذه التأويلات لبادر النبي ﷺ إلى بيانها، لأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة .

فالحاصل؛ أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد هذا الاعتقاد الذي يحل جميع الشُّبَه، ويجيب عن جميع الأسئلة، وهو : أن الإنسان إذا سمع وصفًا وصف به خالق السماوات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ؛ امتلأ صدره من التعظيم، فيجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزهًا معظمًا له - جل وعلا - غير متنجس بأقذار التشبيه، فتكون أرض قلبه قابلة للإيمان والتصديق بصفات الله التي تمدح بها، أو أثنى عليه بها نبيه ﷺ، على غرار ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ . والشر كل الشر في عدم تعظيم الله، وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فيضطر المسكين أن ينفي صفة الخالق بهذه الدعوى الكاذبة .

**ولا بد في هذا المقام من نقط يتنبه إليها طالب العلم :**

**أولاً** : أن يعلم طالب العلم أن جميع الصفات من باب واحد، إذ لا فرق بينها البتة، لأن الموصوف بها واحد وهو - جل وعلا -، لا يشبه الخلق في شيء من صفاتهم البتة، فكما أنكم أثبتم له سمعًا وبصرًا لائقين بجلاله



لا يشبهان شيئًا من أسماع الحوادث وأبصارهم، فكذلك يلزم أن تجروا هذا بعينه في صفة الاستواء والنزول والمجيء، إلى غير ذلك من صفات الجلال والكمال التي أثنى الله بها على نفسه .

واعلموا أن رب السماوات والأرض يستحيل عقلاً أن يصف نفسه بما يلزمه محذور، أو يلزمه محال، أو يؤدي إلى نقص . كل ذلك مستحيل عقلاً، فإن الله لا يصف نفسه إلا بوصف بالغ من الشرف والعلو والكمال ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، على حد قوله : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

**الثاني** : أن يعلموا أن الصفات والذات من باب واحد، فكما أننا نثبتُ ذات الله ـ جل وعلا ـ إثبات وجود وإيمان، لا إثبات كيفية مكيفة، فكذلك نثبت لهذه الذات الكريمة المقدسة صفات إثبات وإيمان ووجود، لا إثبات كيفية وتحديد .

واعلموا أن آيات الصفات كثير من الناس يطلق عليها اسم المتشابه، وهذا من جهة غلط، ومن جهة قد يسوغ، كما يثبته الإمام مالك بن أنس .

أما المعاني فهي معروفة عند العرب، كما قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله : ( الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة ) . كذلك يقال في النزول : ( النزول غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة )، واطّرده في جميع الصفات، لأن هذه الصفات معروفة عند العرب، إلا أن ما وصف به خالق السماوات والأرض منها أكمل وأجل وأعظم من أن يشبه شيئًا من صفات المخلوقين، كما أن ذات الخالق ـ جل وعلا ـ حق، والمخلوقون لهم ذوات، وذات الخالق ـ جل وعلا ـ أكمل وأنزه وأجل من أن تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين .

فعلى كل حال، الشر كل الشر في تشبيه الخالق بالمخلوق، وتنجيس القلب بقذر التشبيه، فالإنسان المسلم إذا سمع صفة وصف بها الله أول ما يجب عليه : أن يعتقد أن تلك الصفة بالغة من الجلال والكمال ما يقطع

أوهام علائق المشابهة بينها وبين صفات المخلوقين، فتكون أرض قلبه طيبه طاهرة، قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه، على نحو ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

**وهنا سؤال لا بد من تحقيقه لطالب العلم :**

**أولاً** : اعلموا أن المقرر في الأصول : أن الكلام إن دل على معنى لا يحتمل غيره فهو المسمى نصًا، كقوله مثلاً : ﴿ **تلك عشرة كاملة** ﴾ .

فإذا كان يحتمل معنيين أو أكثر فلا يخلو من حالتين : إما أن يكون أظهر في أحد الاحتمالين من الآخر، وإما أن يتساوى بينهما، فإن كان الاحتمال يتساوى بينهما فهذا الذي يسمى في الاصطلاح : المجمل، كما لو قلت ( عدا اللصوص البارحة على عين زيد )، فإنه يحتمل أن تكون عينه الباصرة عوروها، أو عينه الجارية غوروها، أو عين ذهبه وفضته سرقوها، فهذا مجمل . وحكم المجمل : أن يتوقف عنه إلا بدليل على التفصيل .

أما إذا كان نصًا صريحًا فالنص يعمل به ولا يعدل عنه إلا بثبوت النسخ . فإذا كان أظهر في أحد الاحتمالين فهو المسمى بالظاهر . ومقابله يسمى ( محتملاً مرجوحًا )، والظاهر يجب الحمل عليه إلا لدليل صارف عنه، كما لو قلت : رأيت أسدًا . فهذا مثلاً ظاهر في الحيوان المفترس، محتمل في الرجل الشجاع .

**وإذًا فنقول** : فالظاهر المتبادر من آيات الصفات من نحو قوله : ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ وما جرى مجرى ذلك، هل نقول : الظاهر المتبادر من هذه الصفة هو مشابهة الخلق، حتى يجب علينا أن نقول ونصرف اللفظ عن ظاهره ؟ أو ظاهرها المتبادر منها تنزيه رب السماوات والأرض، حتى يجب علينا أن نقره على الظاهر من التنزيه ؟ .

الجواب : أن كل وصف أسند إلى رب السماوات والأرض فظاهره المتبادر منه عند كل مسلم هو التنزيه الكامل عن مشابهة الخلق، فإقراره على

ظاهره هو الحق، وهو تنزيه رب السماوات والأرض عن مشابهة الخلق في شيء من صفاته، فهل ينكر عاقل أن المتبادر للأذهان السليمة أن الخالق ينافي المخلوق في ذاته وسائر صفاته، لا والله، لا يعارض في هذا إلا مكابر .

ثم بعد هذا البحث الذي ذكرناه نحب أن نذكر كلمة قصيرة لجماعة قرءوا في المنطق والكلام، وظنوا نفي بعض الصفات من أدلة كلامية، الذي يقول مثلاً : لو كان مستويًا على العرش لكان مشابهًا للحوادث، لكنه غير مشابه للحوادث، ينتج : فهو غير مستو على العرش . هذه النتيجة الباطلة تضاد سبع آيات من المحكم المنزل، ولكننا الآن نقول في مثل هذا على طريق المناظرة والجدل المعروف عند المتكلمين، نقول : هذا قياس استثنى فيه نقيض التالي، فأنتج منه نقيض المقدم، حسبما يراه مقيم هذا الدليل .

**ونحن نقول** : إنه تقرر عند عامة النظار أن القياس الاستثنائي المركب من شرطية متصلة لزومية، يتوجه عليه القدح من ثلاث جهات :

**١** ـ يتوجه عليه من جهة استثنائيته .

**٢** ـ ويتوجه عليه من جهة شرطيته، إذا كان الربط بين المقدم والتالي ليس بصحيح .

**٣** ـ ويتوجه عليه القدح من جهتهما معًا .

وهذه القضية كاذبة الشرطية، فالربط بين مقدمها وتاليها كاذب كذبًا بحتًا، ولذا جاءت نتيجته مخالفة لسبع آيات .

**وإيضاحه أن نقول** : قولكم : لو كان مستويًا على العرش لكان مشابهًا للحوادث . هذا الربط بين لو واللام كاذب كاذب، بل هو مستو على عرشه كما قال، من غير مشابهة للحوادث، كما أن سائر صفاته واقعة كما قال، من غير مشابهة للخلق، ولا يلزم من استوائه على عرشه كما قال أن يشبه شيئًا من المخلوقين في صفاتهم البتة، بل استواؤه صفة من صفاته، وجميع صفاته منزهة عن مشابهة الخلق، كما أن ذاته منزهة عن مشابهة



ذوات الخلق، ويطرد هذا في مثل هذا .

وعلى كل حال، فالجواب عن شيء واحد من هذا يطرد في الكل .

وآخر ما نختم به هذه المقالة : إنا نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله، وأن تلتزموا بثلاث آيات من كتاب الله :

**الأولى** : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ فتنزهوا رب السماوات والأرض عن مشابهة الخلق .

**الثانية** : ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ فتؤمنوا بصفات الجلال والكمال الثابتة بالكتاب والسنة على أساس التنزيه، كما جاء ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ بعد قوله : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ .

**الثالثة** : أن تقطعوا أطماعكم عن إدراك حقيقة الكيفية، لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا نص الله عليه في سورة طه، حيث قال : ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما** ﴾ . فقوله : ﴿ **يحيطون به** ﴾ فعل مضارع، والفعل الصناعي الذي يسمى بالفعل المضارع وفعل الأمر والفعل الماضي ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، كما قال ابن مالك في الخلاصة :

المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل كأمن من أمن

وقد حرر علماء البلاغة في مبحث الاستعارة التبعية، أنه ينحل عن مصدر وزمن ونسبة . فالمصدر : كامِنٌ في مفهومه إجماعًا، فيحيطون في مفهومها ( الإحاطة )، فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل، فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح، فيصير المعنى : لا إحاطة للعلم البشري برب السماوات والأرض، فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها، فالإحاطة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين، فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولا مجيء، ولا صفة يد ولا صفة أصابع، ولا عجب ولا ضحك . لأن هذه الصفات كلها من باب واحد، فما وصف الله به نفسه منها فهو حق، وهو



لائق بكماله وجلاله، لا يشبه شيئًا من صفات المخلوقين، وما وُصِفَ به المخلوقون منها فهو حق مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم . وهذا الكلام الكثير أوضحه الله في كلمتي : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ تنزيه بلا تعطيل، ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ إيمان بلا تمثيل . فيجب من أول الآية ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ التنزيه الكامل الذي ليس فيه تعطيل، ويلزمُ من قوله : ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ الإيمان بجميع الصفات الذي ليس فيه تمثيل، فأول الآية تنزيه وآخرها إيمان، ومن عمل بالتنزيه الذي في ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾، والإيمان الذي في قوله : ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾، وقطع النظر عن إدراك الكنه والكيفية المنصوص في قوله : ﴿ **ولا يحيطون به علما** ﴾؛ خرج سالمًا .

وقد ذكرت لكم مرارًا أني أقول : هذه الأسس الثلاثة التي ركزنا عليها البحث وهي :

١ - تنزيه الله عن مشابهة الخلق .

٢ - والإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم التعرض لنفيها وعدم التهجم على الله بنفي ما أثبته لنفسه .

٣ - وقطع الطمع عن إدراك الكيفية .

لو ( متم يا إخوان ) وأنتم على هذا المعتقد، أترون الله يوم القيامة يقول لكم : لم نزهتموني عن مشابهة الخلق ؟ ويلومكم على ذلك ؟، لا، وكلا، والله لا يلومكم على ذلك .

أترون أنه يلومكم على أنكم آمنتم بصفاته، وصدقتموه فيما أثنى به على نفسه، ويقول لكم : لم أثبتم لي ما أثبته لنفسي أو أثبته لي رسولي ﷺ ؟، لا، والله لا يلومكم على ذلك، ولا تأتيكم عاقبة سيئة من ذلك .

كذلك لا يلومكم الله يوم القيامة ويقول لكم : لم قطعتم الطمع عن إدراك الكيفية و لم تحددوني بكيفية مدركة ؟ .



**ثم إنا نقول** : لو تنطع متنطع وقال : ونحن لا ندرك كيفية ( نزول ) منزهة عن نزول الخلق، ولا ندرك كيفية ( يد ) منزهة عن أيدي الخلق، ولا ندرك كيفية ( استواء ) منزهة عن استواءات الخلق، فبينوا لنا كيفية معقولة منزهة تدركها عقولنا .

**فنقول** : **أولاً** : هذا السؤال الذي قال فيه مالك بن أنس : ( والسؤال عن هذا بدعة ) ولكن نجيب ونقول : إعرف أيها المتنطع السائل الضال كيفية الذات المقدسة الكريمة، المتصفة بصفة النزول، وصفة اليد، وصفة الاستواء، وصفة السمع والبصر والقدرة والإرادة والعلم، فلا بد أن يقول : لا، فنقول : معرفة كيفية الصفة متوقفة على معرفة كيفية الذات، إذ الصفات تختلف باختلاف موصوفاتها، ونضرب مثلاً و لله المثل الأعلى، فإن الأمثال لا تضرب لله، ولكن الأخرويات لا مانع منها، كما جاء بها القرآن، فنقول مثلاً كما قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ : لفظة ( رأس ) الراء والهمزة والسين : رأس هذه الكلمة أضفها إلى المال، وأضفها إلى الوادي، وأضفها إلى الجبل، قل : رأس المال . رأس الجبل . فانظر ما صار من الاختلاف بين هذه المعاني بحسب هذه الإضافات، وهذا مخلوق ضعيف مسكين، فما بالك بالبون الشاسع الذي بين صفة الخالق ـ جل وعلا ـ وصفة المخلوق ؟ .

**وختامًا يا إخواني** : نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله، وأن تتمسكوا بهذه الكلمات الثلاث :

**١** ـ أن تنزهوا ربكم عن مشابهة صفات الخلق .

**٢** ـ أن تؤمنوا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ إيمانًا مبنيًا على أساس التنزيه على نحو ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾

**٣** ـ وتقطعوا الطمع في إدراك الكيفية إن الله يقول : ﴿ **ولا يحيطون به علما** ﴾ .



ونريد أن نختم هذه المقالة بنقطتين :

**إحداهما** : أنه ينبغي للمؤولين أن ينظروا في قوله ـ تعالى ـ لليهود : ﴿ **وقولوا حطة** ﴾ فإنهم زادوا في هذا اللفظ المنزل نونًا، فقالوا : حنطة . فسمى الله الزيادة تبديلاً، فقال في البقرة : ﴿ **فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون** ﴾، وقال في الأعراف : ﴿ **فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزًا من السماء بما كانوا يظلمون** ﴾ .

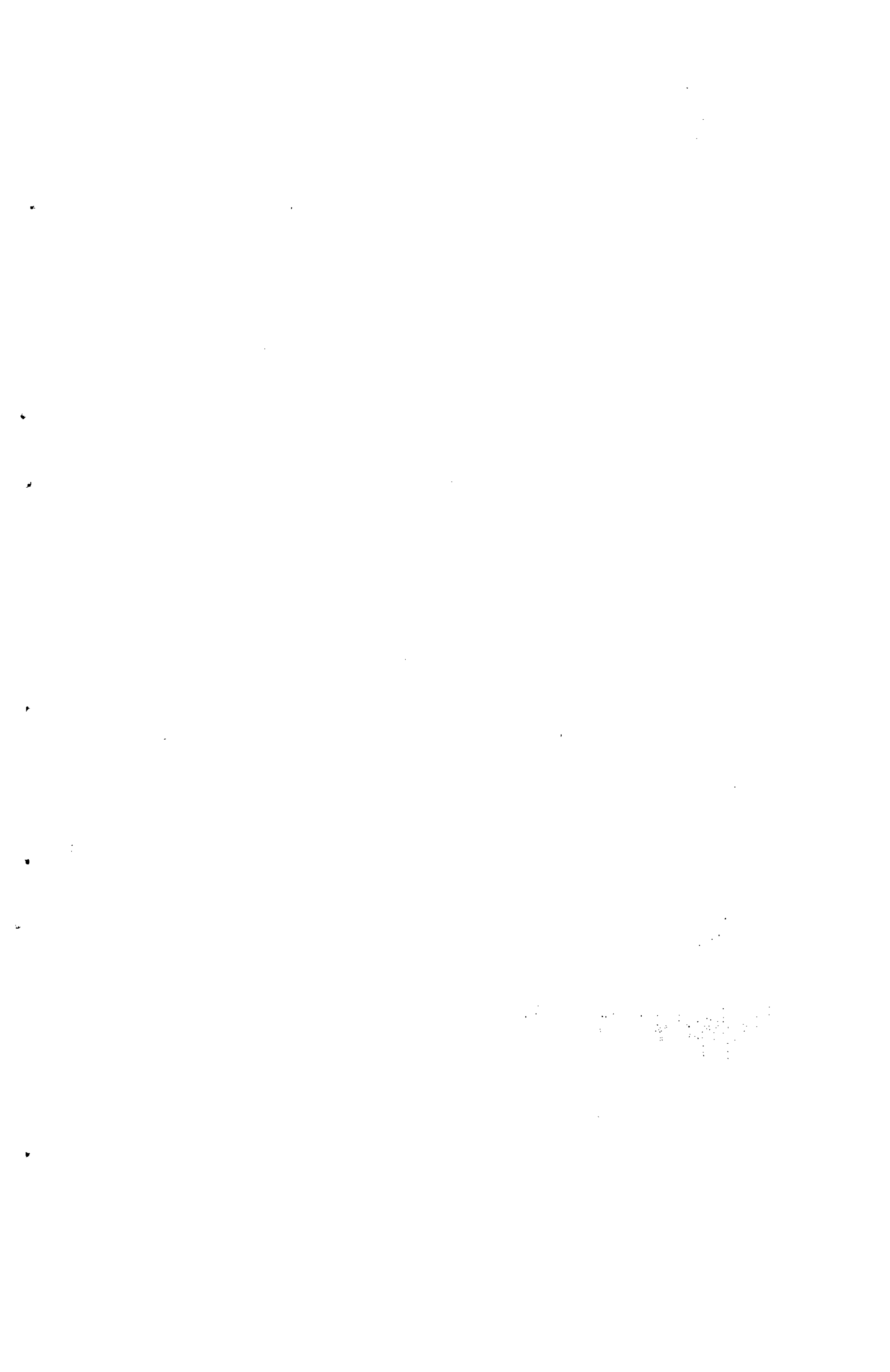
وكذلك المؤولون للصفات قيل لهم : استوى. فزادو لامًا، فقالوا : استولى. فانظر ما أشبه لامهم هذه التي زادوها بنون اليهود التي زادوها ؟! .

ذكر هذا ابن القيم .

**الثانية** : أنه ينبغي للمؤولين أن يتأملوا آية من سورة الفرقان، وهى قوله تعالى : ﴿ **ثم استوى على العرش ۞ الرحمن فاسئل به خبيرًا** ﴾ . ويتأملوا معها قوله ـ تعالى ـ في سورة فاطر : ﴿ **ولا ينبؤك مثل خبير** ﴾ . فإن قوله في الفرقان : ﴿ **فاسئل به خبيرًا** ﴾ بعد قوله : ﴿ **ثم استوى على العرش ۞ الرحمن** ﴾ يدل دلالة واضحة أن الله الذي وصف نفسه بالاستواء خبير بما يصف به نفسه، لا تخفى عليه الصفة اللائقة من غيرها . ويفهم منه : أن الذي ينفي عنه صفة الاستواء ليس بخبير . نعم، هو والله ليس بخبير .

وصلى الله على عبده ورسوله محمد ﷺ .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين .



# القواعد المثلى

## في صفات الله وأسمائه الحسنى

بقلم

محمد بن صالح العثيمين





# تقريظ سماحة الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .

**أما بعد :**

فقد اطلعت على المؤلف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة العلامة أخونا الشيخ : محمد بن صالح العثيمين، في الأسماء والصفات، وسماه :

«القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى»

وسمعته من أوله إلى آخره، فألفيته كتابًا جليلاً، قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة، وفوائد جمة في باب الأسماء والصفات، وأوضح معنى المعية الواردة .

في كتاب الله ـ عز وجل ـ الخاصة والعامة عند أهل السنة والجماعة، وأنها حق على حقيقتها، لا تقتضي امتزاجًا واختلاطًا بالمخلوقين، بل هو سبحانه فوق عرشه كما أخبر عن نفسه، وكما يليق بجلاله سبحانه، وإنما تقتضي علمه واطلاعه، وإحاطته بهم، وسماعه لأقوالهم وحركاتهم، وبصره بأحوالهم وضمائرهم، وحفظه وكلاءته لرسله وأوليائه المؤمنين، ونصره لهم وتوفيقه لهم، إلى غير ذلك مما تقتضيه المعية العامة والخاصة، من المعاني الجليلة والحقائق الثابتة لله سبحانه .

كما اشتمل على إنكار قول أهل التعطيل والتشبيه والتمثيل، وأهل الحلول والاتحاد .

فجزاه الله خيرًا، وضاعف مثوبته، وزادنا وإياه علمًا وهدى وتوفيقًا، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

قاله ممليه الفقير إلى الله تعالى :

**عبد العزيز بن عبد الله بن باز**

سامحه الله

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

٥ / ١١ / ١٤٠٤ هـ

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد



# القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى

بسم ا لله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله . صلى الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا .

**وبعد :**

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله - تعالى - وهى :

الإيمان بوجود الله - تعالى - . والإيمان بربوبيته . والإيمان بألوهيته . والإيمان بأسمائه وصفاته .

وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد الثلاثة : توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات . فمنزلته في الدين عالية، وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحدًا أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله - تعالى - وصفاته، ليعبده على بصيرة، قال الله - تعالى - : ﴿ **و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾، وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة .

فدعاء المسألة : أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله - تعالى - ما يكون مناسبًا، مثل أن تقول : يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني، ويا حفيظ احفظني، ونحو ذلك .

ودعاء العبادة : أن تتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير،

وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وهكذا .

ومن أجل منزلته هذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل أو التعصب تارة أخرى؛ أحببت أن أكتب فيه ما تيسر من القواعد، راجيًا من الله ـ تعالى ـ أن يجعل عملي خالصا لوجهه موافقا لمرضاته نافعا لعباده . وسميته « القواعد المثلي في صفات الله ـ تعالى ـ وأسمائه الحسنى » .



# قواعد في أسماء الله تعالى

## القاعدة الأولى

**أسماء الله ـ تعالى ـ كلها حسنى**، أي : بالغة في الحسن غايته، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **و لله الأسماء الحسنى** ﴾، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا .

مثال ذلك : « الحي » اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ، متضمن للحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال . الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها .

ومثال آخر : « العليم » اسم من أسماء الله، متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى** ﴾، العلم الواسع المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ ﴿ **يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور** ﴾ .

ومثال ثالث : « الرحمن » اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ، متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله ﷺ : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » يعني : أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته .

ومتضمن أيضًا للرحمة الواسعة التي قال الله عنها : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾، وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين : ﴿ **ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما** ﴾.

والحُسْنُ في أسماء الله ـ تعالى ـ يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال .

مثال ذلك : « العزيز الحكيم » فإن الله ـ تعالى ـ يجمع بينهما في القرآن كثيرًا . فيكون كل منهما دالا على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم . والجمع بينهما دال على كمال آخر، وهو أن عزته ـ تعالى ـ مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلمًا وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف . وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل .

## القاعدة الثانية

**أسماء الله ـ تعالى ـ أعلام وأوصاف**، أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله ـ عز وجل ـ، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص .

فـ « الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم » كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه و تعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا .



وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليها، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وهو الغفور الرحيم** ﴾، وقوله : ﴿ **وربك الغفور ذو الرحمة** ﴾، فإن الآية الثانية دلت على أن الرحيم هو المتصف بالرحمة . ولإجماع أهل اللغة والعرف أنه لا يقال : عليم إلا لمن علم، ولا سميع إلا لمن سمع، ولا بصير إلا لمن له بصر . وهذا أمر أبين من أن يحتاج إلى دليل .

وبهذا علم ضلال من سلبوا أسماء الله ـ تعالى ـ معانيها من أهل التعطيل، وقالوا : إن الله ـ تعالى ـ سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، وهكذا . وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء . وهذه العلة عليلة، بل ميتة لدلالة السمع[1] والعقل على بطلانها .

أما السمع فلأن الله ـ تعالى ـ وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد . فقال ـ تعالى ـ : ﴿ **إن بطش ربك لشديد ۝ إنه هو يبدي ويعيد ۝ وهو الغفور الودود ۝ ذو العرش المجيد ۝ فعال لما يريد** ﴾ . وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى ۝ الذي خلق فسوى ۝ والذي قدر فهدى ۝ والذي أخرج المرعى ۝ فجعله غثاء أحوى** ﴾ ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء .

وأما العقل : فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد، وإنما هي من صفات من اتصف بها فهي قائمة به، وكل موجود فلا بد له من تعدد صفاته، ففيه صفة الوجود، وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود، وكونه عينًا قائمًا بنفسه أو وصفًا في غيره .

وبهذا أيضًا علم أن « الدهر » ليس من أسماء الله ـ تعالى ـ، لأنه اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، ولأنه اسم للوقت والزمن، قال الله ـ تعالى ـ عن منكري البعث : ﴿ **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت**

---

(١) السمع هو القرآن والسنة، وسيمر بك هذا التعبير كثيرًا فانتبه له .



**ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾ يريدون : مرور الليالي والأيام .

فأما قوله ﷺ : قال الله ـ عز وجل ـ : « يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار » فلا يدل على أن الدهر من أسماء الله ـ تعالى ـ، وذلك أن الذين يسبون الدهر إما يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث، لا يريدون الله ـ تعالى ـ، فيكون معنى قوله : « وأنا الدهر » ما فسره بقوله : « بيدي الأمر أقلب الليل والنهار »، فهو سبحانه خالق الدهر وما فيه، وقد بين أنه يقلب الليل والنهار وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلِّب ( بكسر اللام ) هو المقلَّب ( بفتحها )، وبهذا تبين أنه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مرادًا به الله ـ تعالى ـ .

## القاعدة الثالثة

**أسماء الله ـ تعالى ـ إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور :**

**أحدها** : ثبوت ذلك الاسم لله ـ عز وجل ـ .

**الثاني** : ثبوت الصفة التي تضمنها لله ـ عز وجل ـ .

**الثالث** : ثبوت حكمها ومقتضاها .

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم** ﴾، لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله ـ تعالى ـ قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم .

مثال ذلك : « السميع » يتضمن إثبات السميع اسمًا لله ـ تعالى ـ، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال ـ تعالى ـ ﴿ **والله يسمع تحاور كما إن الله سميع بصير** ﴾ .

**وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين :**

**أحدهما** : ثبوت ذلك الاسم لله ـ عز وجل ـ .

**الثاني** : ثبوت الصفة التي تضمنها لله ـ عز وجل ـ .

مثال ذلك : « الحي » يتضمن إثبات الحي اسمًا لله ـ عز وجل ـ وإثبات الحياة صفة له .

## القاعدة الرابعة

**دلالة أسماء الله ـ تعالى ـ على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام .**

مثال ذلك : « الخالق » يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام .

ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال : ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا** ﴾ .

ودلالة الالتزام مفيدة جدًا لطالب العلم إذا تدبر المعنى، ووفقه الله ـ تعالى ـ فهما للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة .

واعلم أن اللازم من قول الله ـ تعالى ـ وقول رسوله ﷺ إذا صح أن يكون لازمًا فهو حق، وذلك لأن كلام الله ورسوله ﷺ حقٌ، ولازمُ الحق حق، ولأن الله ـ تعالى ـ عالم بما يكون لازمًا من كلامه وكلام رسوله ﷺ ، فيكون مرادًا .

**وأما اللازم من قول أحد سوى قول الله ورسوله ﷺ فله ثلاث حالات :**

**الأولى** : أن يذكر للقائل ويلتزم به .

مثل أن يقول : من ينفى الصفات الفعلية لمن يثبتها، يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله ـ عز وجل ـ أن يكون من أفعاله ما هو حادث .

فيقول المثبت : نعم، وأنا ألتزم بذلك، فإن الله ـ تعالى ـ لم يزل ولا يزال فعالا لما يريد، ولا نفاد لأقواله وأفعاله كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا** ﴾ وقال : ﴿ **ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ .

وحدوث آحاد فعله ـ تعالى ـ لا يستلزم نقصًا في حقه .

**الحال الثانية** : أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله .

مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها : يلزم من إثباتك أن يكون الله ـ تعالى ـ مشابها للخلق في صفاته .

فيقول المثبت : لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه، لم تذكر مطلقة حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لائقة به، كما أنك أيها النافي للصفات تثبت لله ـ تعالى ـ ذاتًا وتمنع أن يكون مشابها للخلق في ذاته، فأي فرق بين الذات والصفات ؟ .

وحكم اللازم في هاتين الحالين ظاهر .

**الحال الثالثة** : أن يكون اللازم مسكوتا عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع، فحكمه في هذه الحال أن لا ينسب إلى القائل، لأنه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لازمه وبطلانه أن يرجع عن قوله، لأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم .

ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأن لازم القول قول .

فإن قيل : إذا كان هذا اللازم لازمًا من قوله، لزم أن يكون قولا له لأن ذلك هو الأصل، لا سيما مع قرب التلازم .



قلنا : هذا مدفوع بأن الإنسان بشر وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير تفكير في لوازمه ونحو ذلك .

## القاعدة الخامسة

**أسماء الله ـ تعالى ـ توقيفية لا مجال للعقل فيها**، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه ـ تعالى ـ من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾ وقوله : ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾، ولأن تسميته ـ تعالى ـ بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه ـ تعالى ـ، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص .

## القاعدة السادسة

**أسماء الله ـ تعالى ـ غير محصورة بعدد معين**، لقوله ﷺ في الحديث المشهور : « أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك » الحديث، رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وهو صحيح .



وما استأثر الله - تعالى - به في علم الغيب لا يمكن أحدًا حصره ولا الإحاطة به .

فأما قوله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها[1] دخل الجنة » فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة : إن أسماء الله تسعة وتسعون اسمًا، من أحصاها دخل الجنة، أو نحو ذلك .

إذًا فمعنى الحديث : أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة . وعلى هذا فيكون قوله : « من أحصاها دخل الجنة » جملة مكملة لما قبلها وليست مستقلة . ونظير هذا أن تقول : عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة .

ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه تعيينها ضعيف .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى ( ص ٣٨٢ ، جـ ٦ ) من مجموع ابن قاسم : ( تعيينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بحديثه ) وقال قبل ذلك ( ص ٣٧٩ ) : ( إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسرًا في بعض طرق حديثه ) اهـ .

وقال ابن حجر في "فتح الباري" (ص ٢١٥ ، جـ ١١ ، ط السلفية) : ( ليست العلة عند الشيخين [البخاري ومسلم] تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج ) اهـ .

ولما لم يصح تعيينها عن النبي ﷺ اختلف السلف فيه، ورُوِيَ عنهم في ذلك أنواع، وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسمًا مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

فمن كتاب الله - تعالى - :

---

(١) إحصاؤها : حفظها لفظًا، وفهمها معنىً، وتمامه : أن يتعبد لله تعالى بمقتضاها .

الله الأحد الأعلى الأكرم الإله الأول

والآخر والظاهر والباطن البارئ البر البصير

التواب الجبار الحافظ الحسيب الحفيظ الحفي

الحق المبين الحكيم الحليم الحميد الحي

القيوم الخبير الخالق الخلاق الرؤوف الرحمن

الرحيم الرزاق الرقيب السلام السميع الشاكر

الشكور الشهيد الصمد العالم العزيز العظيم

العفو العليم العلي الغفار الغفور الغني

الفتاح القادر القاهر القدوس القدير القريب

القوي القهار الكبير الكريم اللطيف المؤمن

المتعالي المتكبر المتين المجيب المجيد المحيط

المصور المقتدر المقيت الملك المليك المولى

المهيمن النصير الواحد الوارث الواسع الودود

الوكيل الولي الوهاب

ومن سنة رسول الله ﷺ :

الجميل(١) الجواد(٢) الحكم(٣) الحييُّ(٤) الرب(٥) الرفيق(٦)

---

(١) مسلم .

(٢) أحمد والترمذي وحسنه والبيهقي في "شعب الإيمان" .

(٣) أبو داود .

(٤) أحمد وأبو داود والترمذي .

(٥) أحمد والنسائي .

(٦) البخاري ومسلم .



السُّبوح[١] السيد [٢] الشافي [٣] الطيب [٤] القابض [٥] الباسط [٦] المقدم [٧] المؤخر [٨] المحسن [٩] المعطي [١٠] المنان[١١] الوتر [١٢] .

هذا ما اخترناه بالتتبع : واحد وثمانون اسمًا في كتاب الله ـ تعالى ـ، وثمانية عشر اسمًا في سنة رسول الله ﷺ، وإن كان عندنا تردد في إدخال (الحفي)، لأنه إنما ورد مقيدًا في قوله تعالى عن إبراهيم : ﴿ **إنه كان بي حفيا** ﴾ وكذلك ( المحسن ) لأننا لم نطلع على رواته في الطبراني، وقد ذكره شيخ الإسلام من الأسماء .

ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافًا مثل : مالك الملك، ذي الجلال والإكرام .

## القاعدة السابعة

**الإلحاد في أسماء الله ـ تعالى ـ هو الميل بها عما يجب فيها** . وهو أنواع :

---

(١) مسلم .
(٢) أحمد وأبو داود .
(٣) البخاري .
(٤) مسلم .
(٥) أبو داود .
(٦) أبو داود .
(٧) البخاري ومسلم .
(٨) البخاري ومسلم .
(٩) الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي : ( رجاله ثقات ) .
(١٠) البخاري ومسلم .
(١١) أبو داود والترمذي والنسائي .
(١٢) البخاري ومسلم .



**الأول** : أن ينكر شيئًا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم . وإنما كان ذلك إلحادا لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها .

**الثاني** : أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها .

**الثالث** : أن يسمى الله ـ تعالى ـ بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له : ( الأب )، وتسمية الفلاسفة إياه ( العلة الفاعلة )، وذلك لأن أسماء الله ـ تعالى ـ توقيفية، فتسمية الله ـ تعالى ـ بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، ينزه الله ـ تعالى ـ عنها .

**الرابع** : أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله ـ تعالى ـ مختصة به، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾، وقوله : ﴿ **الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى** ﴾ وقوله : ﴿ **له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض** ﴾ فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحقة، وبأنه يسبح له ما في السماوات والأرض، فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عز وجل ميل بها عما يجب فيها .

والإلحاد بجميع أنواعه محرم، لأن الله ـ تعالى ـ هَدَّدَ الملحدين بقوله : ﴿ **وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون** ﴾ .

ومنه ما يكون شركًا أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية .



# قواعد في صفات الله تعالى

## القاعدة الأولى

**صفات الله ـ تعالى ـ كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه،** كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك . وقد دل على هذا : السمع والعقل والفطرة .

**أما السمع** : فمنه قوله ــ تعالى ــ : ﴿ **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء و لله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم** ﴾ والمثل الأعلى : هو الوصف الأعلى .

**وأما العقل** : فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله ـ تعالى ـ بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال ـ تعالى ـ : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون** ﴾، وقال ـ تعالى ــ : ﴿ **والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾، وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه : ﴿ **يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا** ﴾، وعلى قومه : ﴿ **أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئًا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون** ﴾ .

**ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة** : أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله ـ تعالى ـ، فمعطي الكمال أولى به .



**وأما الفطرة** : فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وهل تُحِب وتُعَظِّم وتَعْبُد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته ؟

وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله ـ تعالى ـ، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وتوكل على الحي الذي لا يموت** ﴾، وقوله عن موسى ﴿ **في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى** ﴾، وقوله : ﴿ **وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات وفي الأرض** ﴾، وقوله : ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون** ﴾ . وقال النبي ﷺ في الدجال : « إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور »، وقال : « أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا » .

وقد عاقب الله ـ تعالى ـ الواصفين له بالنقص، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾، وقوله : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق** ﴾ .

ونزّه نفسه عما يصفون به من النقائص، فقال سبحانه : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين** ﴾، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾ .

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصًا في حال لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَت له إثباتًا مطلقًا، ولا تُنْفَى عنه نفيًا مطلقًا، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصًا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع،

ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذٍ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصًا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله - تعالى - من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله - تعالى - : ﴿ **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ وقوله : ﴿ **إنهم يكيدون كيدًا ۝ وأكيد كيدًا** ﴾، وقوله : ﴿ **والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ۝ وأملي لهم أن كيدي متين** ﴾ وقوله : ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** ﴾ وقوله : ﴿ **قالوا إنما نحن مستهزئون ۝ الله يستهزئ بهم** ﴾ .

ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه، فقال - تعالى - : ﴿ **وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم** ﴾ فقال : فأمكن منهم، ولم يقل : فخانهم . لأن الخيانة خدعة في مقام الائتمان، وهي صفة ذم مطلقًا .

وبهذا عرف أن قول بعض العوام : خان الله من يخون . منكر فاحش يجب النهي عنه .

## القاعدة الثانية

**باب الصفات أوسع من باب الأسماء**، وذلك : لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله - تعالى -، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله - تعالى - ﴿ **ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ .

ومن أمثلة ذلك : أن من صفات الله ـ تعالى ـ : المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى، كما قال تعالى : ﴿ **وجاء ربك** ﴾، وقال : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام** ﴾، وقال : ﴿ **فأخذهم الله بذنوبهم** ﴾، وقال : ﴿ **ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه** ﴾، وقال : ﴿ **إن بطش ربك لشديد** ﴾، وقال : ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ . وقال النبي ﷺ : « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا » .

فنصف الله ـ تعالى ـ بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول : إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به .

## القاعدة الثالثة

**صفات الله ـ تعالى ـ تنقسم إلى قسمين : ثبوتية . وسلبية .**

**فالثبوتية** : ما أثبت الله ـ تعالى ـ لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك .

فيجب إثباتها لله ـ تعالى ـ حقيقة على الوجه اللائق به، بدليل السمع والعقل .

**أما السمع** : فمنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدًا** ﴾

فالإيمان بالله يتضمن : الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله ﷺ يتضمن : الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد ﷺ رسوله يتضمن : الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله - عز وجل - .

**وأما العقل** : فلأن الله - تعالى - أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثًا من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد، فإن التردد في الخبر إنما يتأتى حين يكون الخبر صادرًا ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العيّ، بحيث لا يفصح بما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله - عز وجل -، فوجب قبول خبره على ما أخبر به .

وهكذا نقول فيما أخبر به النبي ﷺ عن الله - تعالى -، فإن النبي ﷺ أعلم الناس بربه، وأصدقهم خبرًا، وأنصحهم إرادة، وأفصحهم بيانًا، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه .

**والصفات السلبية** : ما نفاها الله - سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب . فيجب نفيها عن الله - تعالى - لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله - تعالى - عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً، كما لو قلت : الجدار لا يظلم . وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصًا، كما في قول الشاعر :

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر :

لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب

ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

مثال ذلك : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وتوكل على الحي الذي لا يموت** ﴾، فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته .

مثال آخر قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ولا يظلم ربك أحدًا** ﴾ نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله .

مثال ثالث : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض** ﴾ فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته، ولهذا قال بعده : ﴿ **إنه كان عليمًا قديرًا** ﴾، لأن العجز سببه : إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنه، فلكمال علم الله ـ تعالى ـ وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض .

وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال .

## القاعدة الرابعة

**الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال**، فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم .

**أما الصفات السلبية فلم تذكر غالبًا إلا في الأحوال التالية :**

**الأولى :** بيان عموم كماله، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ ، ﴿ **ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ .

**الثانية :** نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله : ﴿ **أن دعوا للرحمن ولدًا ۝ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدًا** ﴾ .

**الثالثة :** دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيّن، كما في قوله : ﴿ **وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين** ﴾، وقوله : ﴿ **ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب** ﴾ .



## القاعدة الخامسة

**الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين : ذاتية . وفعلية .**

**فالذاتية** : هي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة . ومنها الصفات الخبرية : كالوجه واليدين والعينين .

**والفعلية** : هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا .

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله ـ تعالى ـ لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ . وكل صفة تعلقت بمشيئته ـ تعالى ـ فإنها تابعة لحكمته .

وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، ولكننا نعلم علم اليقين أنه سبحانه لا يشاء شيئًا إلا وهو موافق للحكمة، كما يشير إليه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليمًا حكيما** ﴾ .

## القاعدة السادسة

**يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين :**

**أحدهما : التمثيل**

**والثاني : التكييف .**

**فأما التمثيل** : فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل



لصفات المخلوقين . وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل .

**أما السمع** : فمنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾، وقوله : ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون** ﴾، وقوله : ﴿ **هل تعلم له سميا** ﴾، وقوله : ﴿ **ولم يكن له كفوًا أحد** ﴾ .

**وأما العقل فمن وجوه :**

**الأول** : أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينًا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرّة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى .

**الثاني** : أن يقال : كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهًا في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله ؟، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصًا .

**الثالث** : أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم . فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة .

**والتشبيه كالتمثيل**، وقد يفرق بينهما بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ .

**وأما التكييف** : فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله ـ تعالى ـ كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل . وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل .

**أما السمع** : فمنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ولا يحيطون به علمًا** ﴾، وقوله : ﴿ **ولا**

**تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** ﴾، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تعالى أخبرنا عنها و لم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به .

**وأما العقل** : فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه . وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله ـ عز وجل ـ، فوجب بطلان تكييفها .

ـ وأيضا ـ فإننا نقول : أيُّ كيفية تقدرها لصفات الله ـ تعالى ـ ؟ .

إن أيَّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك .

وأيَّ كيفية تقدرها لصفات الله ـ تعالى ـ فإنك ستكون كاذبًا فيها، لأنه لا علم لك بذلك .

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان، أو تقريرًا باللسان وتحريرًا بالبنان .

ولهذا لما سئل مالك ـ رحمه الله تعالى ـ عن قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ كيف استوى ؟، أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء ( العرق ) ثم قال : ( الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه )، ورُوِيَ عن شيخه ربيعة أيضًا : ( الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ) . وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان . وإذا كان الكيف غير معقول و لم يرد به الشرع، فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي، فوجب الكف عنه .

فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم** ﴾ .



## القاعدة السابعة

**صفات الله ـ تعالى ـ توقيفية لا مجال للعقل فيها،** فلا نثبت لله ـ تعالى ـ من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : ( لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث ) . انظر : القاعدة الخامسة في الأسماء .

**ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه :**

**الأول** : التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها .

**الثاني** : تضمن الاسم لها، مثل : الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك . انظر : القاعدة الثالثة في الأسماء .

**الثالث** : التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾، وقول النبي ﷺ : « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا » الحديث .

وقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وجاء ربك والملك صفًا صفًا** ﴾، وقوله : ﴿ **إنا من المجرمين منتقمون** ﴾ .

# قواعد في أدلة الأسماء والصفات

## القاعدة الأولى

الأدلة التي تثبت بها أسماء الله - تعالى - وصفاته هي كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما .

وعلى هذا : فما ورد إثباته لله - تعالى - من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته . وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه مع إثبات كمال ضده .

وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفى، لعدم ورود الإثبات والنفي فيه .

وأما معناه : فيفصل فيه؛ فإن أريد به حقٌ يليق بالله - تعالى - فهو مقبول، وإن أريد به معنىً لا يليق بالله - عز وجل - وجب ردّه .

فمما ورد إثباته لله - تعالى - : كل صفة دل عليها اسم من أسماء الله تعالى دلالة مطابقة أو تضمن أو التزام .

ومنه كل صفة دل عليها فعل من أفعاله، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها، فضلاً عن أفرادها ﴿ **ويفعل الله ما يشاء** ﴾ .

ومنه : الوجه والعينان واليدان ونحوها .

ومنه : الكلام والمشيئة والإرادة بقسميها الكوني والشرعي .

فالكونية : بمعنى المشيئة . والشرعية : بمعنى المحبة .



ومنه : الرضا والمحبة والغضب والكراهة ونحوها [١]

ومما ورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده : الموت والنوم والسنة والعجز والإعياء والظلم والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثيل أو كفؤ، أو نحو ذلك [٢] .

ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ : ( الجهة )، فلو سأل سائل : هل نثبت لله ـ تعالى ـ جهة ؟، قلنا له : لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتًا ولا نفيًا، ويُغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله ـ تعالى ـ في السماء . وأما معناه فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله، أو جهة علو لا تحيط به .

فالأول باطل، لمنافاته لعلو الله ـ تعالى ـ الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع .

والثاني باطل أيضًا، لأن الله ـ تعالى ـ أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته .

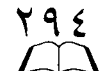
والثالث حق، لأن الله ـ تعالى ـ العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته .

**ودليل هذه القاعدة السمع والعقل .**

**فأما السمع** : فمنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** ﴾، وقوله : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾، وقوله : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾، وقوله : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا** ﴾، وقوله : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾، وقوله : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم** ﴾ .

---

(١) و (٢) أدلة هذه مذكورة في مواضعها من كتب العقائد .



إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة .

وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال على وجوب الإيمان بما جاء في السنة، لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي ﷺ والرد إليه عند التنازع . والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته والى سنته بعد وفاته .

فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول ﷺ المأمور به في القرآن ؟ .

وأين الإيمان بالقرآن لمن لم يرد النزاع إلى النبي ﷺ وقد أمر الله به في القرآن ؟ .

وأين الإيمان بالرسول ﷺ ـ الذي أمر به القرآن ـ لمن لم يقبل ما جاء في سنته ؟ .

ولقد قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء** ﴾، ومن المعلوم أن كثيرًا من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن .

**وأما العقل** فنقول : إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله ـ تعالى ـ من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة .

## القاعدة الثانية

الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف، لا سيما نصوص الصفات، حيث لا مجال للرأي فيها .

**ودليل ذلك : السمع والعقل .**

أما السمع : فقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾، وقوله : ﴿ **إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾، وقوله : ﴿ **إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي .

وقد ذم الله ـ تعالى ـ اليهود على تحريفهم، وبين أنهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان، فقال : ﴿ **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون** ﴾ وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا** ﴾ الآية .

وأما العقل فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين، فوجب قبوله على ظاهره، وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة .

## القاعدة الثالثة

**ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر،** فباعتبار المعنى هي معلومة . وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة .

**وقد دل على ذلك السمع والعقل .**

**أما السمع** : فمنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾، وقوله جل ذكره : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ . والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه .

وكون القرآن عربيًا ليعقله من يفهم العربية، يدل على أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها .

وبيان النبي ﷺ القرآن للناس شامل لبيان لفظه وبيان معناه .

**وأما العقل** : فلأن من المحال أن يُنَزِّل الله ـ تعالى ـ كتابًا، أو يتكلم رسوله ﷺ بكلام ( يقصد بهذا الكتاب وهذا الكلام أن يكون هداية للخلق )، ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى، بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء، لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله ـ تعالى ـ، وقد قال الله ـ تعالى ـ عن كتابه : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ .

هذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات .

وأما دلالتهما على جهلنا لها باعتبار الكيفية فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات .

وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات، ويَدَّعون أن هذا مذهب السلف . والسلف بريئون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحيانًا، وتفصيلا أحيانًا، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله ـ عز وجل ـ .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه المعروف بـ"العقل والنقل" (ص ١١٦ ، جـ ١) المطبوع على هامش "منهاج السنة" : ( وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله ) إلى أن قال (ص ١١٨ ) : ( وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه ) قال : ( ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدى وبيانًا للناس، وأمر الرسول ﷺ أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين



للناس ما نُزِّل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته ... لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل، ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بَيَّنَ للناس ما نُزِّل إليهم، ولا بَلَّغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع : الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك، لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يُسْتَدَل به، فيبقى هذا الكلام سدًا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم، ويقول : إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء، لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم .

فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد ) اهـ كلام الشيخ، وهو كلام سديد من ذي رأي رشيد، وما عليه مزيد، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم .

## القاعدة الرابعة

**ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني**، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه .

فلفظ ( القرية ) مثلاً يراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى .

فمن الأول قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم**

**القيامة أو معذبوها عذابًا شديدًا ﴾** .

ومن الثاني : قوله ـ تعالى ـ عن الملائكة ضيف إبراهيم : **﴿ إنا مهلكوا أهل هذه القرية ﴾** .

وتقول : صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد في قوله ـ تعالى ـ : **﴿ لما خلقت بيدي ﴾**، لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق، أو بالعكس .

وتقول : ما عندك إلا زيد، وما زيد إلا عندك . فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى، مع اتحاد الكلمات، لكن اختلف التركيب فتغير المعنى به .

إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني .

**وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام :**

**القسم الأول** : من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقًا يليق بالله ـ عز وجل ـ، وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، والذين لا يَصْدُقُ لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم .

وقد أجمعوا على ذلك، كما نقله ابن عبد البر فقال : ( أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة ) اهـ .

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب "إبطال التأويل" : ( لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما رُوِيَ عن الإمام أحمد وسائر الأئمة ) اهـ نقل ذلك عن ابن عبد البر والقاضي شيخ الإسلام ابن تيميه في "الفتوى الحموية" (ص ٨٧ ـ



٨٩ ، جـ ٥ ) من "مجموع الفتاوى" لابن القاسم .

**وهذا هو المذهب الصحيح والطريق القويم الحكيم، وذلك لوجهين :**

**الأول** : أنه تطبيق تام لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته، كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف .

**الثاني** : أن يقال : إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف، أو فيما قاله غيرهم . والثاني باطل، لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكلموا بالباطل تصريحًا أو ظاهرًا، و لم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحًا ولا ظاهرًا بالحق الذي يجب اعتقاده . وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق، وإما عالمين به لكن كتموه، وكلاهما باطل، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، فتعين أن يكون الحق فيما قاله السلف دون غيرهم .

**القسم الثاني** : من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، وأبقوا دلالتها على ذلك . وهؤلاء هم المشبهة، ومذهبهم باطل، محرم من عدة أوجه :

**الأول** : أنه جناية على النصوص، وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ ؟ .

**الثاني** : أن العقل دل على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات، فكيف يحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما ؟ .

**الثالث** : أن هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مخالف لما فهمه السلف منها، فيكون باطلاً .

**فإن قال المشبِّه** : أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلا مثل ما للمخلوق من ذلك، والله ـ تعالى ـ لم يخاطبنا إلا بما نعرفه ونعقله .

**فجوابه من ثلاثة أوجه :**

**أحدها** : أن الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه : ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾، ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال، أو يجعلوا له أندادًا فقال : ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ وقال : ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم لا تعلمون** ﴾ . وكلامه تعالى كله حق، يصدق بعضه بعضًا ولا يتناقض .

**ثانيها** : أن يقال له : ألست تعقل لله ذاتًا لا تشبه الذوات ؟، فسيقول : بلى. فيقال له : فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات، فإن القول في الصفات كالقول في الذات، ومن فرق بينهما فقد تناقض .

**ثالثها** : أن يقال : ألست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية ؟. فسيقول : بلى. فيقال له : إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا، فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق، مع أن التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق، كما سبق في القاعدة السادسة من قواعد الصفات .

**القسم الثالث** : من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه، ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلت عليه من المعنى اللائق بالله . وهم أهل التعطيل، سواء كان تعطيلهم عامًا في الأسماء والصفات، أم خاصًا فيهما، أو في أحدهما . فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معاني عينوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطرابًا كثيرًا، وسموا ذلك تأويلا وهو في الحقيقة تحريف .

**ومذهبهم باطل من وجوه :**

**أحدها** : أنه جناية على النصوص، حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له .

**الثاني** : أنه صرف لكلام الله ـ تعالى ـ وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره . والله تعالى خاطب الناس بلسان عربيٍ مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما

يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلام الله ورسوله ﷺ على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله - عز وجل - .

**الثالث** : أن صرف كلام الله ورسوله ﷺ عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم، وهو محرم لقوله - تعالى - : ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾، ولقوله - سبحانه - : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا** ﴾ .

فالصارف لكلام الله - تعالى - ورسوله ﷺ عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم، وقال على الله ما لا يعلم من وجهين :

**الأول** : أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله - تعالى - ورسوله ﷺ كذا، مع أنه ظاهر الكلام .

**الثاني** : أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام . وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قولٌ بلا علم، فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام ؟ .

مثال ذلك : قوله تعالى لإبليس : ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ** ﴾ فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال : لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين، وإنما أراد كذا وكذا. قلنا له : ما دليلك على ما نفيت ؟، وما دليلك على ما أثبت ؟. فإن أتى بدليل - وأنّى له ذلك -، وإلا كان قائلاً على الله بلا علم في نفيه وإثباته .

**الوجه الرابع في إبطال مذهب أهل التعطيل :**

أن صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً، لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها .

**الوجه الخامس :**

أن يقال للمعطل : هل أنت أعلم بالله من نفسه ؟. فسيقول : لا .

ثم يقال له : هل ما أخبر الله عز وجل به عن نفسه صدق وحق ؟ . فسيقول : نعم .

ثم يقال له : هل تعلم كلامًا أفصح وأبين من كلام الله تعالى ؟ . فسيقول : لا .

ثم يقال له : هل تظن أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أراد أن يعمي الحق على الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم ؟. فسيقول : لا .

**هذا ما يقال له باعتبار ما جاء في القرآن .**

**أما باعتبار ما جاء في السنة :**

فيقال له : هل أنت أعلم بالله من رسول الله ﷺ ؟ . فيقول : لا .

ثم يقال له : هل ما أخبر به رسول الله عن الله صدق وحق ؟. فسيقول : نعم .

ثم يقال له : هل تعلم أن أحدًا من الناس أفصح كلامًا وأبين من رسول الله ﷺ ؟. فسيقول : لا .

ثم يقال له : هل تعلم أن أحدًا من الناس أنصح لعباد الله من رسول الله ﷺ ؟. فسيقول : لا .

فيقال له : إذا كنت تقر بذلك، فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبته الله ـ تعالى ـ لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ على حقيقته وظاهره اللائق بالله ؟، وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك وصرفه إلى معنى يخالف ظاهره بغير علم ؟، وماذا يضيرك إذا أثبت لله ـ تعالى ـ ما أثبته لنفسه في كتابه أو سنة نبيه ﷺ، على الوجه اللائق به فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتًا ونفيًا ؟، أفليس هذا أسلم لك



وأقوم لجوابك إذا سئلت يوم القيامة : ﴿ **ماذا أجبتم المرسلين** ﴾ ؟، أو ليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مخاطرة منك، فلعل المراد يكون ـ على تقدير جواز صرفها ـ غير ما صرفتها إليه .

**الوجه السادس في إبطال مذهب أهل التعطيل :**

أنه يلزم عليه لوازم باطلة، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم .

**فمن هذه اللوازم :**

**أولاً** : أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنه مستلزم أو موهم لتشبيه الله ـ تعالى ـ بخلقه، وتشبيه الله ـ تعالى ـ بخلقه كفر، لأنه تكذيب لقوله ـ تعالى ـ ﴿ **ليس كمثله شيء** ﴾ . قال نعيم ابن حماد الخزاعي ـ أحد مشايخ البخاري رحمهما الله ـ : ( من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا ) اهـ .

ومن المعلوم : أن من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله ـ تعالى ـ وكلام رسول الله ﷺ تشبيهًا وكفرًا أو موهمًا لذلك .

**ثانيًا** : أن كتاب الله ـ تعالى ـ الذي أنزله تبيانًا لكل شيء، وهدى للناس، وشفاء لما في الصدور، ونورًا مبينًا، وفرقانًا بين الحق والباطل، لم يبين الله ـ تعالى ـ فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته، وإنما جعل ذلك موكولاً إلى عقولهم، يثبتون لله ما يشاؤن، وينكرون ما لا يريدون . وهذا ظاهر البطلان .

**ثالثًا** : أن النبي ﷺ وخلفاءه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى ـ من الصفات، أو يمتنع عليه، أو يجوز . إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في صفات الله ـ تعالى ـ وسمّوه تأويلاً .

وحينئذ إما أن يكون النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وسلف الأمة وأئمتها

قاصرين لجهلهم بذلك، وعجزهم عن معرفته، أو مقصرين لعدم بيانهم للأمة . وكلا الأمرين باطل .

**رابعًا** : أن كلام الله ورسوله ﷺ ليس مرجعًا للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلههم، الذي معرفتهم به من أهم ما جاءت به الشرائع، بل هو زبدة الرسالات . وإنما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة، وما خالفها فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أو التحريف الذي يسمونه تأويلاً إن لم يتمكنوا من تكذيبه .

**خامسًا** : أنه يلزم منه جواز نفي ما أثبته الله ورسوله ﷺ، فيقال في قوله تعالى : ﴿ **وجاء ربك** ﴾ : إنه لا يجيء . وفي قوله ﷺ : « ينزل ربنا إلى السماء الدنيا » : إنه لا ينزل . لأن إسناد المجيء والنزول إلى الله مجاز عندهم . وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه ونفي ما أثبته الله ورسوله ﷺ من أبطل الباطل، ولا يمكن الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره، لأنه ليس في السياق ما يدل عليه .

ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات، أو تعدى إلى الأسماء ـ أيضًا ـ . ومنهم من تناقض فأثبت بعض الصفات دون بعض، كالأشعرية والماتريدية، أثبتوا ما أثبتوه بحجة أن العقل يدل عليه، ونفوا ما نفوه بحجة أن العقل ينفيه أو لا يدل عليه .

**فنقول لهم** : نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لا يدل عليه، يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم به ما أثبتموه، كما هو ثابت بالدليل السمعي .

مثال ذلك : أنهم أثبتوا صفة الإرادة، ونفوا صفة الرحمة .

أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السمع والعقل عليها .

أما السمع : فمنه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ولكن الله يفعل ما يريد** ﴾ .

وأما العقل : فإن اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو وصف دليل على الإرادة .



ونفوا الرحمة قالوا : لأنها تستلزم لين الراحم، ورقته للمرحوم، وهذا محال في حق الله - تعالى - .

وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل، أو إرادة الفعل، ففسروا الرحيم بالمنعم، أو مريد الإنعام .

فنقول لهم : الرحمة ثابتة لله - تعالى - بالأدلة السمعية، وأدلة ثبوتها أكثر عددًا وتنوعًا من أدلة الإرادة . فقد وردت بالاسم مثل : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ والصفة مثل : ﴿ **وربك الغفور ذو الرحمة** ﴾، والفعل مثل : ﴿ **ويرحم من يشاء** ﴾ .

ويمكن إثباتها بالعقل، فإن النعم التي تترى على العباد من كل وجه، والنقم التي تدفع عنهم في كل حين؛ دالة على ثبوت الرحمة لله - عز وجل -، ودلالتها على ذلك أبين وأجلى من دلالة التخصيص على الإرادة، لظهور ذلك للخاصة والعامة، بخلاف دلالة التخصيص على الإرادة، فإنه لا يظهر إلا لأفراد من الناس .

وأما نفيها بحجة أنها تستلزم اللين والرقة . فجوابه : أن هذه الحجة لو كانت مستقيمة لأمكن نفي الإرادة بمثلها، فيقال : الإرادة ميل المريد إلى ما يرجو به حصول منفعة أو دفع مضرة . وهذا يستلزم الحاجة، والله - تعالى - منزه عن ذلك .

فإن أجيب : بأن هذه إرادة المخلوق . أمكن الجواب بمثله في الرحمة، بأن الرحمة المستلزمة للنقص هي رحمة المخلوق .

وبهذا تبين بطلان مذهب أهل التعطيل، سواء كان تعطيلاً عامًا أم خاصًا .

وبه علم أن طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء الله وصفاته وما احتجوا به لذلك لا تندفع به شبه المعتزلة والجهمية، وذلك من وجهين :

**أحدهما** : أنه طريق مبتدع لم يكن عليه النبي ﷺ ولا سلف الأمة وأئمتها، والبدعة لا تدفع بالبدعة، وإنما تدفع بالسنة .

**الثاني** : أن المعتزلة والجهمية يمكنهم أن يحتجوا لما نفوه على الأشاعرة

والماتريدية بمثل ما احتج به الأشاعرة والماتريدية لما نفوه على أهل السنة، فيقولون : لقد أبحتم لأنفسكم نفي ما نفيتم من الصفات بما زعمتموه دليلاً عقليًا، وأولتم دليله السمعي، فلماذا تحرمون علينا نفي ما نفيناه بما نراه دليلاً عقليًا، ونؤول دليله السمعي ؟، فلنا عقول كما أن لكم عقولاً، فإن كانت عقولنا خاطئة فكيف كانت عقولكم صائبة ؟، وإن كانت عقولكم صائبة فكيف كانت عقولنا خاطئة ؟، وليس لكم حجة في الإنكار علينا سوى مجرد التحكم واتباع الهوى .

وهذه حجة دامغة، وإلزام صحيح من الجهمية والمعتزلة للأشعرية والماتريدية، ولا مدفع لذلك ولا محيص عنه، إلا بالرجوع لمذهب السلف الذين يطردون هذا الباب، ويثبون لله ـ تعالى ـ من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ إثباتًا لا تمثيل فيه ولا تكييف، وتنزيهًا لا تعطيل فيه ولا تحريف، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور .

## تنبيه

**علم مما سبق أن كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل .**

أما تعطيل المعطل فظاهر، وأما تمثيله : فلأنه إنما عطل لاعتقاده أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فمثل أولاً، وعطل ثانيًا، كما أنه بتعطيله مَثَّلَهُ بالناقص .

وأما تمثيل الممثل فظاهر، وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه :

**الأول** : أنه عطل نفس النص الذي أُثبتت به الصفة، حيث جعله دالاً على التمثيل، مع أنه لا دلالة فيه عليه، وإنما يدل على صفة تليق بالله ـ عز وجل ـ .

**الثاني** : أنه عطل كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه .

الثالث : أنه عطل الله ـ تعالى ـ عن كماله الواجب، حيث مثله بالمخلوق الناقص .



## فصل

اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات، ادعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها، ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل، أو المداهنة فيه . وقال : كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه ؟ .

**ونحن نجيب ـ بعون الله ـ تعالى ـ عن هذه الشبهة بجوابين : مجمل ومفصل .**

**أما المجمل فيتلخص في شيئين :**

**أحدهما** : أن لا نسلم أن تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها، فإن ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعني، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فإن الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات وجمل، يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض .

**ثانيهما** : أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف عن ظاهرها، فإن لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنة، إما متصلاً، وإما منفصلاً، وليس لمجرد شبهات يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

**وأما المفصل** : فعلى كل نص ادعى أن السلف صرفوه عن ظاهره .

ولنمثل بالأمثلة التالية : فنبدأ بما حكاه أبو حامد الغزالى عن بعض الحنبلية أنه قال : ( إن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء : الحجر الأسود يمين الله في الأرض . وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن . وإني أجد نَفَسَ الرحمن من قبل اليمن ) .

نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيميه (ص ٣٩٨ ، جـ ٥) من "مجموع الفتاوى" وقال : ( هذه الحكاية كذب على أحمد ) .

**المثال الأول** : الحجر الأسود يمين الله في الأرض .

**والجواب عنه** : أنه حديث باطل، لا يثبت عن النبي ﷺ . قال ابن الجوزى في "العلل المتناهية" : ( هذا حديث لا يصح ) . وقال ابن العربي : "حديث باطل، فلا يلتفت إليه" . وقال شيخ الإسلام ابن تيميه : ( روى عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت ) اهـ .

وعلى هذا : فلا حاجة للخوض في معناه .

لكن قال شيخ الإسلام ابن تيميه : ( والمشهور [يعني : في هذا الأثر] إنما هو عن ابن عباس، قال : الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه . ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه، فإنه قال : يمين الله في الأرض، ولم يطلق فيقول يمين الله، وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق، ثم فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه، وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً، ولكن شبه بمن يصافح الله . فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله ـ تعالى ـ، كما هو معلوم عند كل عاقل ) اهـ (ص ٣٩٨ ، جـ ٦ ) : مجموع الفتاوى: .

**المثال الثاني** : « قلوب العباد بين إصبعين [(١)] من أصابع الرحمن » .

**والجواب** : أن هذا الحديث صحيح، رواه مسلم في الباب الثاني من كتاب القدر، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء »، ثم قال رسول ﷺ : « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا

---

(١) أصبع مثلث الهمزة والباء، ففيه تسع لغات، والعاشرة أصبوع كما قيل :

وهمز أنملة ثلث وثالثة التسع في أصبع واختم بأصبوع

أصبوع بضم الهمزة .

على طاعتك » .

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث، وقالوا : إن لله ـ تعالى ـ أصابع حقيقة، نثبتها له كما أثبتها له رسوله ﷺ . ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين إصبعين منها أن تكون مماسة لها، حتى يقال : إن الحديث موهم للحلول فيجب صرفه عن ظاهره . فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس السماء ولا الأرض . ويقال : بدر بين مكة والمدينة، مع تباعد ما بينها وبينهما . فقلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة، ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول .

**المثال الثالث** : « إني أجد نَفَسَ الرحمن من قبل اليمن » ..

**والجواب** : أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال النبي ﷺ : « ألا إن الإيمان يمان، والحكمة يمانية، وأجد نَفَسَ ربكم من قبل اليمن » .

قال في "مجمع الزوائد" : ( رجاله رجال الصحيح، غير شبيب وهو ثقة ) . قلت وكذا قال في "التقريب" عن شبيب : ( ثقة، من الثالثة، وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير ) .

وهذا الحديث على ظاهره، والنفَس فيه اسم مصدر ينفس تنفيسًا، مثل فرّج يفرج تفريجًا وفَرَجًا . هكذا قال أهل اللغة، كما في "النهاية" و"القاموس" و"مقاييس اللغة"، قال في مقاييس اللغة : ( النَّفس : كل شيء يفرج به عن مكروب ) .

فيكون معنى الحديث : أن تنفيس الله ـ تعالى ـ عن المؤمنين يكون من أهل اليمن . قال شيخ الإسلام ابن تيميه : ( وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نَفَّسَ الرحمن عن المؤمنين الكربات ) اهـ (ص ٣٩٨ ، جـ ٦) "مجموع فتاوى شيخ الإسلام: لابن قاسم .

**المثال الرابع** : قوله : ـ تعالى ـ ﴿ **ثم استوى إلى السماء** ﴾ .

**والجواب** : أن لأهل السنة في تفسيرها قولين :

**أحدهما** : أنها بمعنى ارتفع إلى السماء . وهو الذي رجحه ابن جرير قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف : ( وأولى المعاني بقول الله ـ جل ثناؤه : ﴿ **ثم استوى إلى السماء فسواهن** ﴾ : علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سماوات ) اهـ . وذكره البغوي في تفسيره قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف، وذلك تمسكًا بظاهر لفظ ﴿ **استوى** ﴾، وتفويضًا لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله ـ عز وجل ـ .

**القول الثاني** : أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام . وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت، قال ابن كثير : ( أي : قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا ضُمِّنَ معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بإلى ) . وقال البغوى : ( أي : عمد إلى خلق السماء ) .

وهذا القول ليس صرفًا للكلام عن ظاهره، لأن الفعل ﴿ **استوى** ﴾ اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء، فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به . ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **عينًا يشرب بها عباد الله** ﴾ حيث كان معناها يَروَى بها عباد الله، لأن الفعل ﴿ **يشرب** ﴾ اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى، فالفعل يُضَمَّن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام .

**المثال الخامس والسادس** : قوله ـ تعالى ـ في سورة الحديد : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾، وقوله في سورة المجادلة : ﴿ **ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا** ﴾ .

**والجواب** : أن الكلام في هاتين الآيتين حق على حقيقته وظاهره . ولكن ما حقيقته وظاهره ؟ .

هل يقال : إن ظاهره وحقيقته أن الله ـ تعالى ـ مع خلقه معية تقتضي أن يكون مختلطًا بهم، أو حالاً في أمكنتهم ؟



أو يقال : أن ظاهره وحقيقته أن الله ـ تعالى ـ مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطًا بهم علمًا وقدرةً وسمعًا وبصرًا وتدبيرًا وسلطانًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته، مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه ؟ .

ولا ريب أن القول الأول لا يقتضيه السياق، ولا يدل عليه بوجه من الوجوه، وذلك لأن المعية هنا أضيفت إلى الله ــ عز وجل ــ، وهو أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، ولأن المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان، وإنما تدل على مطلق المصاحبة، ثم تفسر في كل موضع بحسبه .

**وتفسير معية الله ـ تعالى ـ لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط باطل من وجوه :**

**الأول** : أنه مخالف لإجماع السلف . فما فسرها أحد منهم بذلك، بل كانوا مجمعين على إنكاره .

**الثاني** : أنه مناف لعلو الله ـ تعالى ـ الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع السلف . وما كان منافيًا لما ثبت بدليل كان باطلاً بما ثبت به ذلك المنافي . وعلى هذا فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطلاً بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف .

**الثالث** : أنه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله سبحانه ـ تعالى ـ .

ولا يمكن لمن عرف الله ـ تعالى ـ وقدره حق قدره، وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن، أن يقول : إن حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطًا بهم أو حالاً في أمكنتهم، فضلاً عن أن تستلزم ذلك . ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الرب ـ جل وعلا ـ .

فإذا تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحق هو القول الثاني، وهو أن الله ـ تعالى ـ مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطًا بهم علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وتدبيرًا وسلطانًا، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه .

وهذا هو ظاهر الآيتين بلا ريب، لأنهما حق، ولا يكون ظاهر الحق إلا حقًا، ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبدًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في "الفتوى الحموية" (ص ١٠٣ ، جـ ٥) من "مجموع الفتاوى" لابن القاسم : ( ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال : ﴿ **يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها : أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن، عالم بكم، وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه [١] ، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته . وكذلك في قوله : ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **هو معهم أينما كانوا** ﴾ الآية .

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار : « لا تحزن إن الله معنا » كان هذا ـ أيضًا ـ حقًا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الإطلاع والنصر والتأييد ) .

ثم قال : ( فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر . فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية، فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب ـ عز وجل ـ مختلطة بالخلق، حتى يقال : قد صرفت عن ظاهرها ) اهـ .

ويدل على أنه ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب ـ عز وجل ـ مختلطة بالخلق : أن الله ـ تعالى ـ ذكرها في آية المجادلة بين ذكر عموم علمه في أول

---

(١) كان هذا معنى قول السلف : إنه معهم بعلمه . لأنه إذا كان معلومًا أن الله ـ تعالى ـ معنا مع علوه، لم يبق إلا أن يكون مقتضى هذه المعية أنه ـ تعالى ـ عالم بنا، مطلع شهيد، مهيمن، لا أنه معنا بذاته في الأرض .



الآية وآخرها، فقال : ﴿ **ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم** ﴾ .

فيكون ظاهر الآية : أن مقتضى هذه المعية علمه بعباده، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض .

أما في آية الحديد فقد ذكرها الله ـ تعالى ـ مسبوقة بذكر استوائه على عرشه، وعموم علمه متلوة ببيان أنه بصير بما يعمل العباد، فقال : ﴿ **هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾ .

فيكون ظاهر الآية : أن مقتضى المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم واستوائه على عرشه، لا أنه سبحانه مختلط بهم، ولا أنه معهم في الأرض، وإلا لكان آخر الآية مناقضًا لأولها، الدال على علوه واستوائه على عرشه .

فإذا تبين ذلك أن مقتضى كونه ـ تعالى ـ مع عباده أنه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر شؤونهم، فيحي ويميت، ويغني ويفقر، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه، لا يحجبه عن خلقه شيء . ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة، ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة [(١)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه في "العقيدة الواسطية" (ص ١٤٢ ، جـ ٣) من "مجموع الفتاوى" لابن قاسم، في فصل الكلام على المعية، قال : ( وكل

---

(١) وقد سبق أن المعية في اللغة العربية لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان .



هذا الكلام الذي ذكره الله ـ سبحانه ـ من أنه فوق العرش، وأنه معنا، حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة ) اهـ .

وقال في "الفتوى الحموية" (ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ، جـ ٥) من المجموع المذكور : ( وجماع الأمر في ذلك : أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته .

ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك يناقض بعضه بعضًا البتة، مثل أن يقول القائل : ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله : ﴿ **وهو معكم** ﴾، وقوله ﷺ : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَلَ وجهه » ونحو ذلك، فإن هذا غلط . وذلك : أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله ـ سبحانه تعالى ـ : ﴿ **هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾ .

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال : « **والله** فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه » ) . اهـ

واعلم أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله ـ تعالى ـ لا يناقض ما ثبت من علو الله ـ تعالى ـ لذاته على عرشه، وذلك من وجوه ثلاثة :

**الأول** : أن الله ـ تعالى ـ جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض، وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما .

وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره حتى يتبين لك لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا** ﴾، فإن لم يتبين لك فعليك بطريق الراسخين في العلم، الذين يقولون : ﴿ **آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ . وكِلِ الأمر إلى مُنْزِله الذي يعلمه .

واعلم أن القصور في علمك أو في فهمك وأن القرآن لا تناقض فيه .

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق : ( كما جمع الله بينهما ) .

وكذلك ابن القيم كما في "مختصر الصواعق" لابن الموصلي (ص ٤١٠، ط الإمام) في سياق كلامه على المثال التاسع مما قيل إنه مجاز، قال : ( وقد أخبر الله أنه مع خلقه مع كونه مستويًا على عرشه، وقرن بين الأمرين كما قال ـ تعالى ـ : ) وذكر آية سورة الحديد، قال تعالى : ﴿ **هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾، ثم قال : ( فأخبر أنه خلق السماوات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه، كما في حديث الأوعال : « والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه »، فعلوه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه، بل كلاهما حق ) اهـ .

**الوجه الثاني** : أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو، فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق، فإنه يقال : ما زلنا نسير والقمر معنا . ولا يعد ذلك تناقضًا، ولا يفهم منه أحد أن القمر نزل في الأرض . فإذا كان هذا ممكنًا في حق المخلوق، ففي حق الخالق المحيط بكل شيء مع علوه سبحانه من باب أولى، وذلك لأن حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان .

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في "الفتوى الحموية" (ص ١٠٣) المجلد الخامس من "مجموع الفتاوى" لابن القاسم، حيث قال : ( وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال : ما زلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا . ويقال : هذا المتاع معي، لمجامعته لك وإن

كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة ) اهـ .

وصدق رحمه الله ـ تعالى ـ، فإن من كان عالمًا بك، مطلعًا عليك، مهيمنًا عليك، يسمع ما تقول، ويرى ما تفعل، ويدبر جميع أمورك؛ فهو معك حقيقة، وإن كان فوق عرشه حقيقة، لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان .

**الوجه الثالث** : أنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق، لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعًا في حق الخالق، الذي جمع لنفسه بينهما، لأن الله ـ تعالى ـ لا يماثله شيء من مخلوقاته، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيميه في "العقيدة الواسطية" (ص ١٤٣ ، جـ ٣) من "مجموع الفتاوى"، حيث قال : ( وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه ) اهـ .

### تتمة

**انقسم الناس في معية الله ـ تعالى ـ لخلقه ثلاثة أقسام :**

**القسم الأول** : يقولون : إن معية الله ـ تعالى ـ لخلقه مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة، ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة، مع ثبوت علوه بذاته، واستوائه على عرشه .

وهؤلاء هم السلف . ومذهبهم هو الحق، كما سبق تقريره .

**القسم الثاني** : يقولون : إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع نفي علوه واستوائه على عرشه .

وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم . ومذهبهم باطل منكر، أجمع السلف على بطلانه وإنكاره، كما سبق .



**القسم الثالث** : يقولون : إن معية الله لخلقه مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع ثبوت علوه فوق عرشه .

ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيميه (ص ٢٢٩ ، جـ ٥) من "مجموع الفتاوى" .

وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو .

وكذبوا في ذلك فضلوا، فإن نصوص المعية لا تقتضي ما ادعوه من الحلول، لأنه باطل، ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله ﷺ باطلاً .

## تنبيه

اعلم أن تفسير السلف لمعية الله ـ تعالى ـ لخلقه بأنه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم، بل تقتضي ـ أيضًا ـ إحاطته بهم سمعًا وبصرًا وقدرةً وتدبيرًا، ونحو ذلك من معاني ربوبيته .

## تنبيه آخر

**أشرت فيما سبق إلى أن علو الله ـ تعالى ـ ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع :**

**أما الكتاب** : فقد تنوعت دلالته على ذلك .

فتارة بلفظ العلو والفوقية والاستواء على العرش، وكونه في السماء، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وهو العلي العظيم** ﴾ ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ ﴿ **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض** ﴾ .

وتارة بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه، كقوله : ﴿ **إليه**

**يصعد الكلم الطيب** ﴾ ﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾ ﴿ **إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ** ﴾ .

وتارة بلفظ نزول الأشياء منه، ونحو ذلك، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك** ﴾ ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض** ﴾ .

**وأما السنة** : فقد دلت عليه بأنواعها القولية والفعلية والإقرارية في أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر، وعلى وجوه متنوعة، كقوله ﷺ في سجوده : « سبحان ربي الأعلى » . وقوله : « إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه : إن رحمتي سبقت غضبي » . وقوله : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ » . وثبت عنه أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول : « اللهم أغثنا » . وأنه رفع يده إلى السماء وهو يخطب الناس يوم عرفة حين قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال : « اللهم اشهد » . وأنه قال للجارية : « أين الله ؟ » قالت : في السماء. فأقرها، وقال لسيدها : « أعتقها، فإنها مؤمنة » .

**وأما العقل** : فقد دل على وجوب صفة الكمال لله ـ تعالى ـ وتنزيهه عن النقص . والعلو صفة كمال، والسفل نقص، فوجب لله ـ تعالى ـ صفة العلو، وتنزيهه عن ضده .

**وأما الفطرة** : فقد دلت على علو الله ـ تعالى ـ دلالة ضرورية فطرية، فما من داع أو خائف فزع إلى ربه ـ تعالى ـ إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو، لا يلتفت عن ذلك يمنة ولا يسرة .

واسأل المصلين، يقول الواحد منهم في سجوده : « سبحان ربي الأعلى » أين تتجه قلوبهم حينذاك ؟ .

**وأما الإجماع** : فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله ـ تعالى ـ فوق سماواته، مستوٍ على عرشه . وكلامهم مشهور في ذلك نصًا وظاهرًا، قال الأوزاعي : ( كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله ـ تعالى ذكره ـ فوق عرشه،



ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات )، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، ومحال أن يقع في مثل ذلك خلاف، وقد تطابقت عليه هذه الأدلة العظيمة، التي لا يخالفها إلا مكابر طمس على قلبه، واجتالته الشياطين عن فطرته . نسأل الله - تعالى - السلامة والعافية .

فعلو الله - تعالى - بذاته وصفاته من أبين الأشياء وأظهرها دليلاً، وأحق الأشياء وأثبتها واقعًا .

## تنبيه ثالث

اعلم أيها القارئ الكريم أنه صدر مني كتابة لبعض الطلبة، تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله - تعالى - لخلقه، وذكرت فيها :

**أن عقيدتنا** : أن لله - تعالى - معية حقيقية ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكل شيء علمًا وقدرةً وسمعًا وبصرًا وسلطانًا وتدبيرًا، وأنه سبحانه منزه أن يكون مختلطًا بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، بل هو العلي بذاته وصفاته، وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وأنه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله، وأن ذلك لا ينافي معيته، لأنه - تعالى - ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

وأردت بقولي ( ذاتية ) توكيد حقيقة معيته تبارك - تعالى - .

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف ؟، وقد قلت في نفس هذه الكتابة كما ترى : أنه سبحانه منزه أن يكون مختلطًا بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، وأنه العلي بذاته وصفاته، وأن علوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها . وقلت فيها - أيضًا - ما نصه بالحرف الواحد :

( ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده، وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها ) اهـ .



ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدره حق قدره أن يقول : إن الله مع خلقه في الأرض .

ومازلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالسي، جرى فيه ذكره .

وأسأل الله - تعالى - أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

هذا، وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة ( الدعوة ) التي تصدر في الرياض، نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم، سنة ١٤٠٤ هـ أربع وأربعمائة وألف، برقم : ٩١١ ، قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله تعالى - : من أن معية الله - تعالى - لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق، فضلاً عن أن يستلزمه . ورأيت من الواجب استبعاد كلمة ( ذاتية )[1]، وبينت أوجه الجمع بين علو الله - تعالى - وحقيقة المعية .

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله - تعالى - في الأرض، أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك مما لا يليق به - تعالى -؛ فإنها كلمة باطلة، يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان، وبأي لفظ كانت .

وكل كلام يوهم - ولو عند بعض الناس - ما لا يليق بالله - تعالى - فإن الواجب تجنبه، لئلا يظن بالله - تعالى - ظن السوء، لكن ما أثبته الله - تعالى - لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فالواجب إثباته، وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله - عز وجل - .

**المثال السابع والثامن** : قوله - تعالى - ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾

---

(١) انظر سبب ذلك في المقال المنشور .

وقوله : ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم** ﴾ حيث فسر القرب فيهما بقرب الملائكة .

**والجواب** : أن تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفًا للكلام عن ظاهره لمن تدبره .

أما الآية الأولى : فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك، حيث قال : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ۝ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ۝ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾، ففي قوله : ﴿ **إذ يتلقى** ﴾ دليل على أن المراد به : قرب الملكين المتلقيين .

وأما الآية الثانية : فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون** ﴾، ثم إن في قوله : ﴿ **وأنتم لا تبصرون** ﴾ دليلاً بينًا على أنهم الملائكة، إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره، وهذا يعين أن يكون المراد قرب الملائكة، لاستحالة ذلك في حق الله ـ تعالى ـ .

بقي أن يقال : فلماذا أضاف الله القرب إليه، وهل جاء نحو هذا التعبير مرادًا به الملائكة ؟ .

فالجواب : أضاف الله ـ تعالى ـ قرب ملائكته إليه لأن قربهم بأمره، وهم جنوده ورسله .

وقد جاء نحو هذا التعبير مرادًا به الملائكة، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾، فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله ﷺ، مع أن الله ـ تعالى ـ أضاف القراءة إليه، لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي ﷺ بأمر الله ـ تعالى ـ صحت إضافة القراءة إليه ـ تعالى ـ .

وكذلك جاء في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ولما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط** ﴾، وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله ـ تعالى ـ .

**المثال التاسع والعاشر** : قوله ـ تعالى ـ عن سفينة نوح : ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾،

وقوله لموسى : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ .

**والجواب** : أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته، لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا ؟ .

هل يقال : إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله، أو أن موسى عليه الصلاة والسلام يُرَبَّى فوق عين الله - تعالى - ؟ .

أو يقال : إن ظاهره أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله - تعالى - يرعاه ويكلؤه بها .

**ولا ريب أن القول الأول باطل من وجهين :**

**الأول** : أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، قال الله - تعالى - : ﴿ **إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾، وقال - تعالى - : ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** ﴾، ولا أحد يفهم من قول القائل : فلان يسير بعيني . أن المعني : أنه يسير داخل عينه . ولا من قول القائل : فلان تخرج على عيني . أن تخرجه كان وهو راكب على عينه . ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء .

**الثاني** : أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله - تعالى -، لأن الله - تعالى - مستو على عرشه بائن من خلقه، لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته، سبحانه و تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا .

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني : أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها .

وهذا معنى قول بعض السلف : ( بمرأى منى )، فإن الله - تعالى - إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه، كما



هو معلوم من دلالة اللفظ، حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام .

**المثال الحادي عشر** : قوله ـ تعالى ــ في الحديث القدسي : « وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه » .

**والجواب** : أن هذا الحديث صحيح، رواه البخاري في باب التواضع، الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق .

وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر الحديث، وأجروه على حقيقته . ولكن ما ظاهر هذا الحديث ؟ .

هل يقال : إن ظاهره أن الله ـ تعالى ـ يكون سَمْعَ الوَلِيّ وبصره ويده ورجله ؟ .

أو يقال : إن ظاهره أن الله ـ تعالى ـ يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله، بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله ؟ .

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث، فإن في الحديث ما يمنعه من وجهين :

الأول : أن الله ـ تعالى ـ قال : « وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه »، وقال : « لئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه » . فأثبت عبدًا ومعبودًا، ومتقربًا ومتقربًا إليه، ومحبًا ومحبوبًا، وسائلاً ومسئولاً، ومعطيًا ومعطى، ومستعيذًا ومستعاذًا به، ومعيذًا ومعاذًا . فسياق الحديث يدل على اثنين متباينين، كل واحد منهما غير الآخر . وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفًا في الآخر أو جزءًا من أجزائه .

الوجه الثاني : أن سمع الولي وبصره ويده ورجله كلها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن، ولا يمكن لأي عاقل أن يفهم أن الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعًا وبصرًا ويدًا ورجلاً لمخلوق،



بل إن هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره، ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير، فكيف يسوغ أن يقال إنه ظاهر الحديث القدسي، وأنه قد صرف عن هذا الظاهر ؟ . سبحانك اللهم وبحمدك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك .

وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه، تعين القول الثاني، وهو : أن الله - تعالى - يسدد هذا الولي في سمعه وبصره وعمله، بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله - تعالى - إخلاصًا، وبالله - تعالى - استعانةً، وفي الله - تعالى - شرعًا واتباعًا، فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة، وهذا غاية التوفيق، وهذا ما فسره به السلف، وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ، موافق لحقيقته، متعين بسياقه، وليس فيه تأويل، ولا صرف للكلام عن ظاهره . و لله الحمد والمنة .

**المثال الثاني عشر** : قوله ﷺ فيما يرويه عن الله - تعالى - أنه قال : « من تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » .

وهذا الحديث صحيح، رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضًا . وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد، الباب الخامس عشر .

وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله - تعالى -، وأن سبحانه فعال لما يريد، كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، مثل قوله - تعالى - : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾، وقوله : ﴿ **وجاء ربك والملك صفًا صفًا** ﴾، وقوله : ﴿ **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك** ﴾، وقوله : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾، وقوله ﷺ : « ينزل ربنا إلى



السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر »، وقوله ﷺ : « ما تصدق أحد بصدقة من طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه »، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به تعالى .

فقوله في هذا الحديث : تقربت منه وأتيته هرولة؛ من هذا الباب .

والسلف أهل السنة والجماعة يجرون هذه النصوص على ظاهرها، وحقيقة معناها اللائق بالله - عز وجل -، من غير تكييف ولا تمثيل . قال شيخ الإسلام ابن تيميه في شرح حديث النزول، (ص ٤٦٦ ، جـ ٥) من "مجموع الفتاوى" : ( وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده، فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستوائه على العرش . وهذا مذهب أئمة السلف، وأئمة الإسلام المشهورين، وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر ) اهـ .

فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه ؟، وأيّ مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل ؟ .

وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالاً لما يريد، على الوجه الذي به يليق ؟ .

وذهب بعض الناس إلى أن قوله - تعالى - في هذا الحديث القدسي : « أتيته هرولة » يراد به : سرعة قبول الله - تعالى - وإقباله على عبده المتقرب إليه، المتوجه بقلبه وجوارحه، وأن مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل . وعلل ما ذهب إليه بأن الله - تعالى - قال : « ومن أتاني يمشي » ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله - عز وجل -، الطالب للوصول إليه، لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله - تعالى - بالمشي فقط، بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد، ومشاعر الحج، والجهاد في سبيل الله، ونحوها . وتارة بالركوع والسجود ونحوهما . وقد ثبت عن النبي ﷺ أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، بل قد يكون التقرب إلى الله - تعالى - وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه، كما قال الله - تعالى - : ﴿ **الذين يذكرون الله قياما**

**وقعوداً وعلى جنوبهم** ﴾، وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين : « صل قائمـًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب » .

قال : فإذا كان كذلك، صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله ـ تعالى ـ العبد على عمله، وأن من صدق في الإقبال على ربه وإن كان بطيئًا جازاه الله ـ تعالى ـ بأكمل من عمله وأفضل .

وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه .

وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم يكن تفسيره به خروجًا به عن ظاهره، ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل، فلا يكون حجة لهم على أهل السنة . و لله الحمد .

وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر، لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف .

ويجاب عن من جعله قرينة من كون التقرب إلى الله ـ تعالى ـ، وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي : بأن الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر، فيكون المعنى : من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه، بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة، أو من ماهيتها كالطواف والسعي . والله ـ تعالى ـ أعلم .

**المثال الثالث عشر** : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا** ﴾ ؟ .

**والجواب** : أن يقال ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها، حتى يقال : إنها صرفت عنه ؟ .

هل يقال : إن ظاهرها أن الله ـ تعالى ـ خلق الأنعام بيده، كما خلق آدم بيده ؟ .

أو يقال : إن ظاهرها أن الله ـ تعالى ـ خلق الأنعام كما خلق غيرها، لم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها؛ معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن .



**أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين :**

**أحدهما** : أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل القرآن به، ألا ترى إلى قوله - تعالى - : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾، وقوله : ﴿ **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** ﴾، وقوله : ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم** ﴾، فإن المراد : ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه وإن عمله بغير يده، بخلاف ما إذا قال : عملته بيدي، كما في قوله - تعالى - : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله** ﴾، فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد .

الثاني : أنه لو كان المراد أن الله - تعالى - خلق هذه الأنعام بيده، لكان لفظ الآية : خلقنا لهم بأيدينا أنعامًا . كما قال الله - تعالى - في آدم : ﴿ **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي** ﴾، لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية، لقوله - تعالى - : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء** ﴾ .

وإذا ظهر بطلان القول الأول، تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني، وهو : أن ظاهر اللفظ أن الله - تعالى - خلق الأنعام كما خلق غيرها، ولم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية، بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعدي بالباء إلى اليد، فتنبه للفرق، فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم، وبه يزول كثير من الإشكالات .

**المثال الرابع عشر** : قوله - تعالى - : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم** ﴾ .

**والجواب** : أن يقال : هذه الآية تضمنت جملتين :

الجملة الأولى : قوله - تعالى - ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله** ﴾ .

وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهرها وحقيقتها . وهي صريحة في أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يبايعون النبي ﷺ نفسه، كما في قوله

ـ تعالى ـ : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾ .

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إنما يبايعون الله** ﴾ أنهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدّعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لمنافاته لأول الآية والواقع، واستحالته في حق الله ـ تعالى ـ .

وإنما جعل الله ـ تعالى ـ مبايعة الرسول ﷺ مبايعة له لأنه رسوله، وقد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله، لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله، لقوله ـ تعالى ـ ﴿ **ومن يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ .

وفي إضافة مبايعتهم الرسول ﷺ إلى الله ـ تعالى ـ من تشريف النبي ﷺ وتأييده، وتوكيد هذه المبايعة، وعظمها، ورفع شأن المبايعين؛ ما هو ظاهر لا يخفى على أحد .

الجملة الثانية : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾، وهذه ـ أيضًا ـ على ظاهرها وحقيقتها، فإن يد الله ـ تعالى ـ فوق أيدي المبايعين، لأن يده من صفاته، وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم .

وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته، وهو لتوكيد كون مبايعة النبي ﷺ مبايعة لله ـ عز وجل ـ، ولا يلزم منها أن تكون يد الله ـ جل وعلا ـ مباشرة لأيديهم، ألا ترى أنه يقال : السماء فوقنا، مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا . فيد الله ـ عز وجل ـ فوق أيدي المبايعين لرسوله ﷺ مع مباينته ـ تعالى ـ لخلقه، وعلوه عليهم .

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله : ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ يد النبي ﷺ، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ، لأن الله ـ تعالى ـ أضاف اليد إلى نفسه، ووصفها بأنها فوق أيديهم . ويد النبي ﷺ عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم .

**المثال الخامس عشر** : قوله ـ تعالى ـ : في الحديث القدسي : « يابن آدم،



مرضت فلم تعدني » الحديث .

وهذا الحديث رواه مسلم في باب فضل عيادة المريض، من كتاب البر والصلة والآداب، رقم : ٤٣ (ص ١٩٩٠) ترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي .

رواه مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : يابن آدم، مرضت فلم تعدني . قال : يارب، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟. قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟. يابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني . قال : يارب، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟. قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟. يابن آدم، استسقيتك فلم تسقني . قال : يارب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟. قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي » .

**والجواب** : أن السلف أخذوا بهذا الحديث و لم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به .

فقوله ـ تعالى ـ : مرضت، واستطعمتك، واستسقيتك، بينه الله ـ تعالى ـ بنفسه، حيث قال : أما علمت أن عبدي فلانًا مرض، وأنه استطعمك عبدي فلان، واستسقاك عبدي فلان . وهو صريح في أن المراد به مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله، واستسقاء عبد من عباد الله، والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به، وهو أعلم بمراده، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله، والاستطعام المضاف إليه، والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره، لأن ذلك تفسير المتكلم به، فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداء، وإنما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحث، كقوله ـ تعالى ـ ﴿ **من ذا الذي يقرض الله** ﴾ .

وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل، الذين يحرفون

نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله ـ تعالى ـ، ولا من سنة رسول الله ﷺ، وإنما يحرفونها بشبه باطلة، هم فيها متناقضون مضطربون .

إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها ـ كما يقولون ـ لبينه الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ، ولو كان ظاهرها ممتنعًا على الله ـ كما زعموا ـ لبينه الله ورسوله ﷺ كما في هذا الحديث . ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعًا على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله ـ تعالى ـ بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا من أكبر المحال .

ولنكتف بهذا القدر من الأمثلة لتكون نبراسًا لغيرها، وإلا فالقاعدة عند أهل السنة والجماعة معروفة، وهي : إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل .

وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في قواعد نصوص الصفات .

والحمد لله رب العالمين .



## الخاتمة

**إذا قال قائل :**

قد عرفنا بطلان مذهب أهل التأويل في باب الصفات، ومن المعلوم أن الأشاعرة من أهل التأويل لأكثر الصفات، فكيف يكون مذهبهم باطلاً، وقد قيل إنهم يمثلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين ؟ .

وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري ؟ .

وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم ؟ .

**قلنا :**

**الجواب عن السؤال الأول** : أننا لا نسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين، فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق .

ثم لو سلمنا أنهم بهذا القدر أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ، لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر .

ثم نقول : إن إجماع المسلمين قديمًا ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل، فإن السلف الصالح من صدر هذه الأمة، وهم الصحابة الذين هم خير القرون والتابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم، كانوا مجمعين على إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله ـ تعالى ـ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل .

وهم خير القرون بنص الرسول ﷺ، وإجماعهم حجة ملزمة، لأنه



مقتضى الكتاب والسنة، وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرابعة من قواعد نصوص الصفات .

**والجواب عن السؤال الثاني** : أن أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة المسلمين لا يدعون لأنفسهم العصمة من الخطأ، بل لم ينالوا الإمامة في الدين إلا حين عرفوا قدر أنفسهم، ونزّلوها منزلتها، وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسنة ما استحقوا به أن يكونوا أئمة، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** ﴾، وقال عن إبراهيم : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ۞ شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم** ﴾ .

ثم إن هؤلاء المتأخرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الإقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك **أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة** :

**المرحلة الأولى : مرحلة الاعتزال .**

اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عامًا، يقرره، ويناظر عليه، ثم رجع عنه، وصرح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم (١) .

**المرحلة الثانية : مرحلة بين الاعتزال المحض والسنة المحضة .**

سلك فيها طريق أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب (٢)، قال شيخ الإسلام ابن تيميه (ص ٤٧١) من المجلد السادس عشر من "مجموع الفتاوى" لابن قاسم : ( والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية، أخذوا من هؤلاء كلامًا صحيحًا، ومن هؤلاء أصولاً عقلية ظنوها صحيحة، وهي فاسدة ) اهـ .

**المرحلة الثالثة : مرحلة اعتناق مذهب أهل السنة والحديث .**

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية : ( ص ٧٢ ، جـ ٤ ) .

(٢) مجموع الفتاوى : ( ص ٥٥٦ ، جـ ٥ ) .



مقتديًا بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، كما قرره في كتابه : "الإبانة عن أصول الديانة"، وهو من آخر كتبه أو آخرها .

قال في مقدمته : ( جاءنا - يعني النبي ﷺ - بكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، من تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوى، وفي الجهل تردى .

وحث الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله ﷺ، فقال - عز وجل - : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ) إلى أن قال :

( فأمرهم بطاعة رسوله ﷺ كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه ﷺ كما أمرهم بالعمل بكتابه، فنبذ كثير ممن غلبت شقوته، واستحوذ عليهم الشيطان، سنن نبي الله ﷺ وراء ظهورهم، وعدلوا إلى أسلاف لهم قلدوهم بدينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن رسول الله ﷺ، ورفضوها، وأنكروها وجحدوها افتراء منهم على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين ) .

ثم ذكر رحمه الله أصولاً من أصول المبتدعة وأشار إلى بطلانها ثم قال :

( فان قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون .

قيل له : قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا - عز وجل -، وبسنة نبينا ﷺ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل ) ثم أثنى عليه بما أظهر الله على يده من الحق، وذكر ثبوت الصفات، ومسائل في القدر والشفاعة، وبعض السمعيات، وقرر ذلك بالأدلة النقلية والعقلية .



والمتأخرون الذين ينتسبون إليه أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته، والتزموا طريق التأويل في عامة الصفات، ولم يثبتوا إلا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت :

حي عليم قدير والكلام له ... إرادة وكذلك السمع والبصر

على خلاف بينهم وبين أهل السنة في كيفية إثباتها .

ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه ما قيل في شأن الأشعرية (ص ٣٥٩) من المجلد السادس من "مجموع الفتاوى" لابن قاسم قال : ( ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية، وأما من قال منهم بكتاب "الإبانة" الذي صنفة الأشعري في آخر عمره، ولم يظهر مقالة تناقض ذلك، فهذا يعد من أهل السنة ) . وقال قبل ذلك في (ص ٣١٠) : ( وأما الأشعرية فعكس هؤلاء، وقولهم يستلزم التعطيل، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، وكلامه معنى واحد، ومعنى آيه الكرسي وآيه الدين والتوراة والإنجيل واحد، وهذا معلوم الفساد بالضرورة ) اهـ .

وقال تلميذه ابن القيم في "النونية" (ص ٣١٢) من شرح الهراس، ط الإمام :

واعلم بأن طريقهم عكس الـ ... ـطريق المستقيم لمن له عينان

إلى أن قال :

فاعجب لعميان البصائر أبصروا ... كون المقلد صاحب البرهان

ورأوه بالتقليد أولى من سوا ... ه بغير ما بصر ولا برهان

وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا ... ومعناهما عجبا لذي الحرمان

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي في تفسيره "أضواء البيان" (ص ٣١٩، جـ ٢) على تفسير آية استواء الله ـ تعالى ـ على عرشه، التي في سورة الأعراف : ( اعلم أنه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معني الاستواء واليد مثلاً في



الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث . وقالوا : يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره إجماعًا ) قال : ( ولا يخفي على أدنى عاقل أن حقيقة معني هـذا القول : أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهـم الكفر بالله ـ تعالى ـ، والقول فيه بما لا يليق به ـ عز وعلا ـ . والنبي ﷺ الذي قيل له : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نـزل إليهـم** ﴾ لم يبـين حرفـًا واحدًا من ذلك، مع إجماع من يعتد به من العلماء علـى أنـه ﷺ لا يجـوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجـة إليـه، وأحـرى في العقـائد، لا سـيما مـا ظاهره المتبـادر منـه الكفـر والضـلال المبـين، حتـى جـاء هـؤلاء الجهلـة مـن المتأخرين فزعموا أن الله أطلق على نفسه الوصف بمـا ظـاهره المتبـادر منـه لا يليق، والنبي ﷺ كتم أن ذلـك الظـاهر المتبـادر كفـر وضـلال يجـب صـرف اللفظ عنه . وكل هذا من تلقاء أنفسهم، من غير اعتماد على كتـاب أو سـنة . سبحانك هذا بهتان عظيم .

ولا يخـفي أن هـذا القـول من أكبر الضلال، ومن أعظم الافتراء على الله ـ عز وجل ـ ورسوله ﷺ .

والحق الذي لا يشك فيه أدنى عاقل أن كل وصف وَصَف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، فالظاهر المتبـادر منـه السـابق إلى فهـم مـن في قلبـه شيء من الإيمان، هو التنزيه التام عن مشابهة شيء مـن صفـات الحـوادث ) قال : ( وهل ينكر عاقل أن السابق إلى الفهم المتبادر لكل عـاقل هـو منافـاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته ؟. لا، والله لا ينكر ذلك إلا مكابر .

والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيـات الصفـات لا يليـق بالله لأنـه كفـر وتشـبيه، إنمـا جـر إليـه ذلـك تنجيـس قلبـه بقـذر التشـبيه بـين الخـالق والمخـلوق، فـأداه شـؤم التشـبيـه إلى نفي صفات الله ـ جل وعلا ـ، وعـدم الإيمان بها، مع أنه ـ جل وعلا ـ هو الـذي وصـف بهـا نفسـه، فكـان هـذا الجاهل مشبهـًا أولاً، ومعطلاً ثانيـًا، فارتكب ما لا يليق بالله ابتـداء وانتهـاء،

ولو كان قلبه عارفًا بالله كما ينبغي، معظمًا لله كما ينبغي، طاهرًا من أقذار التشبيه، لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أن وصف الله ـ تعالى ـ بالغ من الكمال والجلال، ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعدًا للإيمان بصفات الكمال والجلال، الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق، على نحو قوله : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ ) انتهى كلامه رحمه الله .

والأشعري أبو الحسن رحمه الله كان في آخر عمره على مذهب أهل السنة والحديث، وهو إثبات ما أثبته الله ـ تعالى ـ لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

ومذهب الإنسان ما قاله أخيرًا إذا صرح بحصر قوله فيه، كما هي الحال في أبي الحسن، كما يعلم من كلامه في "الإبانة" .

وعلى هذا : فتمام تقليده اتباع ما كان عليه أخيرًا، وهو التزام مذهب أهل الحديث والسنة، لأنه المذهب الصحيح الواجب الاتباع، الذي التزم به أبو الحسن نفسه .

**والجواب عن السؤال الثالث من وجهين :**

**الأول** : أن الحق لا يوزن بالرجال، وإنما يوزن الرجال بالحق . هذا هو الميزان الصحيح، وإن كان لمقام الرجال ومراتبهم أثر في قبول أقوالهم، كما نقبل خبر العدل، ونتوقف في خبر الفاسق، لكن ليس هذا هو الميزان في كل حال، فإن الإنسان بشر، يفوته من كمال العلم وقوة الفهم ما يفوته، فقد يكون الرجل دينًا وذا خلق، ولكن يكون ناقص العلم أو ضعيف الفهم، فيفوته من الصواب بقدر ما حصل له من النقص والضعف، أو يكون قد نشأ على طريق معين، أو مذهب معين، لا يكاد يعرف غيره، فيظن أن الصواب منحصر فيه، ونحو ذلك .

**الثاني** : أننا إذا قابلنا الرجال الذين على طريق الأشاعرة بالرجال الذين



هم على طريق السلف، وجدنا في هذه الطريق من هم أجل وأعظم وأهدى وأقوم من الذين على طريق الأشاعرة، فالأئمة الأربعة أصحاب المذهب المتبوعة ليسوا على طريق الأشاعرة .

وإذا ارتقيت إلى من فوقهم من التابعين لم تجدهم على طريق الأشاعرة .

وإذا علوت إلى عصر الصحابة والخلفاء الأربعة الراشدين لم تجد فيهم من حذا حذو الأشاعرة في أسماء الله ـ تعالى ـ وصفاته، وغيرهما مما خرج به الأشاعرة عن طريق السلف .

ونحن لا ننكر أن لبعض العلماء المنتسبين إلى الأشعري قدم صدق في الإسلام، والذب عنه، والعناية بكتاب الله ـ تعالى ـ وبسنة رسوله ﷺ رواية ودراية، والحرص على نفع المسلمين وهدايتهم، ولكن هذا لا يستلزم عصمتهم من الخطأ فيما أخطئوا فيه، ولا قبول قولهم في كل ما قالوه، ولا يمنع من بيان خطئهم ورده، لما في ذلك من بيان الحق وهداية الخلق .

ولا ننكر أيضًا أن لبعضهم قصدًا حسنًا فيما ذهب إليه، وخفي عليه الحق فيه، ولكن لا يكفي لقبول القول حسن قصد قائله، بل لا بد أن يكون موافقًا لشريعة الله ـ عز وجل ـ، فإن كان مخالفًا لها وجب رده على قائله كائنًا من كان، لقول النبي ﷺ : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

ثم إن كان قائله معروفًا بالنصيحة والصدق في طلب الحق، اعتذر عنه في هذه المخالفة، وإلا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته .

**فإن قال قائل : هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم ؟ .**

**قلنا** : الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا، بل هو إلى الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت، فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه .

والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته، حتى يتحقق

زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين :

أحدهما : افتراء الكذب على الله ـ تعالى ـ في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به .

الثاني : الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالمًا منه، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما »، وفي رواية : « إن كان كما قال وإلا رجعت عليه »، وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه » .

**وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين :**

**أحدهما** : دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق .

**الثاني** : انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين، بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه، وتنتفي الموانع .

**ومن أهم الشروط** : أن يكون عالمًا بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافرا أو فاسقا، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** ﴾ وقوله : ﴿ **وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم ۝ إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير** ﴾ .

ولهذا قال أهل العلم : لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له .

**ومن الموانع** : أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور :

**منها** : أن يكره على ذلك، فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئنانًا به، فلا

يكفر حينئذ، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾ .

**ومنها** : أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك .

ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم، كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح » .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله (ص ١٨٠ ، جـ ١٢) "مجموع الفتاوى" لابن قاسم : ( وأما التكفير، فالصواب : أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه، ومن تبين له ما جاء به الرسول ﷺ، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر . ومن اتبع هواه، وقَصَّر في طلب الحق، وتكلم بلا علم، فهو عاصٍ مذنب . ثم قد يكون فاسقًا، وقد يكون له حسنات تَرْجَحُ على سيئاته ) اهـ .

وقال في (ص ٢٢٩ ، جـ ٣) من المجموع المذكور في كلام له : ( هذا، مع أني دائمًا ومن جالسني يعلم ذلك مني، أني من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى، وأني أقرر : أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية . ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، و لم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا



بمعصية ) وذكر أمثلة، ثم قال : ( وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا، فهو - أيضًا - حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين ) إلى أن قال : ( والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول ﷺ، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها و لم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها، وإن كان مخطئًا .

وكنت دائمًا أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال : إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروني في اليم، فوالله لئن قدر الله علّي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين . ففعلوا به ذلك، فقال الله : ما حملك على ما فعلت ؟ . قال خشيتك . فغفر له .

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِّيَ، بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخاف الله أن يعاقبه . فغفر له بذلك .

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول ﷺ أولى بالمغفرة من مثل هذا ) اهـ .

وبهذا علم الفرق بين القول والقائل، وبين الفعل والفاعل، فليس كل قول أو فعل يكون فسقًا أو كفرًا يحكم على قائله أو فاعله بذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله (ص ١٦٥ ، جـ ٣٥) "مجموع الفتاوى" : ( وأصل ذلك : أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق، كما دل على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ﷺ، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه



شروط التكفير وتنتفي موانعه، مثل من قال : إن الخمر أو الربا حلال، لقرب عهده بالإسلام، أو لنشوئه في بادية بعيدة، أو سمع كلامًا أنكره و لم يعتقد أنه من القرآن، ولا أنه من أحاديث رسول الله ﷺ، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن النبي ﷺ قالها ) إلى أن قال : ( فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة، كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان ) اهـ كلامه .

وبهذا علم أن المقالة أو الفعلة قد تكون كفرًا أو فسقًا، ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافرًا أو فاسقًا، إما لانتفاء شرط التكفير أو التفسيق أو وجود مانع شرعي يمنع منه .

ومن تبين له الحق فأصر على مخالفته تبعًا لاعتقاد كان يعتقده، أو متبوع كان يعظمه، أو دنيا كان يؤثرها، فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسوق .

فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ فيجعلهما إمامًا له، يستضيء بنورهما ويسير على منهاجهما، فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله ـ تعالى ـ به، في قوله : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ .

وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عمله على مذهب معين، فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول صرف هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعسفة، فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين، وما سواهما إمامًا لا تابعًا، وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى، لا أتباع الهدى، وقد ذم الله هذه الطريق في قوله : ﴿ **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم**

**بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ .**

والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب العجاب، ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات على الحق، والاستعاذة من الضلال والانحراف .

ومن سأل الله ـ تعالى ـ بصدق وافتقار إليه، عالمًا بغنى ربه عنه وافتقاره هو إلى ربه فهو حري أن يستجيب الله ـ تعالى ـ سُؤْلَه، يقول الله ـ تعالى ـ : **﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ .**

فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا ممن رأى الحق حقًا واتبعه، ورأى الباطل باطلاً واجتنبه، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وصلحاء مصلحين، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب .

والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات .

والصلاة والسلام على نبي الرحمة، وهادي الأمة إلى صراط العزيز الحميد بإذن ربهم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

تم في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٤٠٤ هـ .

**بقلم مؤلفه الفقير إلى الله**

**محمد بن صالح العثيمين**

# التحذير من البدع

## أربع رسائل مفيدة

لسماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز



**الرسالة الأولى :**

# حكم الاحتفال بالمولد النبوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

**أما بعد :**

فقد تكرر السؤال من كثير عن حكم الاحتفال بمولد النبي ﷺ والقيام له في أثناء ذلك، وإلقاء السلام عليه، وغير ذلك مما يفعل في الموالد .

**والجواب أن يقال :**

لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا غيره؛ لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة ـ رضوان الله على الجميع ـ، ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حبًّا لرسول الله ﷺ ومتابعة لشرعه ممن بعدهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أي : مردود عليه، وقال في حديث آخر : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة » .

ففي هذين الحديثين : تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها، وقد قال الله ـ سبحانه ـ في كتابه المبين : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وقال ـ عز وجل ـ : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ وقال، ـ سبحانه ـ ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا** ﴾،

وقال تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله .

وهذا ـ بلا شك ـ فيه خطر عظيم واعتراض على الله ـ سبحانه ـ وعلى رسوله ﷺ، والله ـ سبحانه ـ قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة، والرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين و لم يترك طريقًا يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بيّنه للأمة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم »[1] .

ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأكملهم بلاغًا ونصحًا، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله ـ سبحانه ـ لبيّنه الرسول ﷺ للأمة أو فعله في حياته أو فعله أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء، بل هو من المحدثات التي حذر الرسول ﷺ منها أمته، كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين، وقد جاء في معناهما أحاديث أُخَر، مثل قوله ﷺ في خطبة الجمعة : « أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه .

وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة »[١] .

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد صرح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها عملاً بالأدلة المذكورة وغيرها، وخالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات كالغلو في رسول الله ﷺ، وكاختلاط النساء بالرجال، واستعمال آلات الملاهي، وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر، وظنوا أنها من البدع الحسنة، والقاعدة الشرعية رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله، وسنة رسوله محمد ﷺ، كما قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله** ﴾ ، وقد رددنا هذه المسألة وهي الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله ـ سبحانه ـ فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن الله ـ سبحانه ـ قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيه، وقد رددنا ذلك ـ أيضًا ـ إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وإنصاف في طلبه؛ أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام بل هو من البدع المحدثات، التي أمر الله ـ سبحانه ـ، ورسوله ﷺ بتركها والحذر منها، ولا ينبغي للعاقل أن

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه .



يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى : ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾ الآية، ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من الأولياء ودعائه والاستغاثة به وطلبه المدد، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي ﷺ وغيره ممن يسمونهم بالأولياء، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين »، وقال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » (١) .

**ومن العجائب والغرائب** : أن الكثير من الناس ينشط ويجتهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعة، ويدافع عنها، ويتخلف عما هو أوجب الله عليه من حضور الجمع والجماعات، ولا يرفع بذلك رأسًا، ولا يرى أنه أتى منكرًا عظيمًا، ولا شك أن ذلك من ضعف الإيمان وقلة البصيرة، وكثرة ماران على القلوب من صنوف الذنوب والمعاصي .

نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين .

ومن ذلك : أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد، ولهذا

---

(١) خرجه البخاري في صحيحه من حديث عمر ـ رضى الله عنه ـ .

يقومون له محيين ومرحبين !! . وهذا من أعظم الباطل، وأقبح الجهل، فإن الرسول ﷺ لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ولا يتصل بأحد من الناس، ولا يحضر اجتماعاتهم، بل هو مقيم في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة كما قال تعالى في سورة المؤمنين : ﴿ **ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾، وقال النبي ﷺ : « أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأنا أول شافع وأول مشفع »، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف، وما جاء في معناهما من الآيات والأحاديث، كلها تدل على أن النبي ﷺ وغيره من الأموات إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم .

فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور، والحذر مما أحدثه الجهال وأشباههم من البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به .

أما الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فهي من أفضل القربات ومن الأعمال الصالحات، كما قال الله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾، وقال النبي ﷺ : « من صلّى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشرًا »، وهي مشروعة في جميع الأوقات، ومتأكدة في آخر كل صلاة، بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير من كل صلاة وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة، منها ما بعد الأذان، وعند ذكره ﷺ ، وفي يوم الجمعة وليلتها كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة .

والله المسئول أن يوفقنا وسائر المسلمين في دينه والثبات عليه، وأن يمن على الجميع بلزوم السنة، والحذر من البدعة إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .



**الرسالة الثانية :**

# حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله و صحبه .

**أما بعد :**

فلا ريب أن الإسراء و المعراج من آيات الله العظيمة الدالة على صدق رسوله محمد ﷺ وعلى عظم منزلته عند الله – عز وجل –، كما أنها من الدلائل على قدرة الله الباهرة، وعلى علوه سبحانه على جميع خلقه، قال الله تعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ .

وتواتر عن رسول الله ﷺ أنه عرج به إلى السماوات، وفتحت له أبوابها حتى جاوز السماء السابعة، فكلمه ربه سبحانه بما أراد، وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان الله سبحانه فرضها أولاً خمسين صلاة، فلم يزل نبينا محمد ﷺ يراجعه ويسأله التخفيف حتى جعلها خمسًا، فهي خمس في الفرض وخمسون في الأجر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فلله الحمد والشكر على جميع نعمه .

وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء و المعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها، وكلّ ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث، و لله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات، فلم يجز لهم أن يحتفلوا بها لأن النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - لم يحتفلوا بها و لم يخصوها بشيء، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً لبينه الرسول ﷺ للأمة إما بالقول أو الفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر، ولنقله الصحابة – رضي الله عنهم - إلينا، فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة و لم، يفرطوا في شيء من الدين، بل هم السابقون إلى كل خير، فلو كان الاحتفال بهذه



الليلة مشروعاً لكانوا أسبق الناس إليه .

والنبي ﷺ هو أنصح الناس، وقد بلغ الرسالة غاية البلاغ، وأدى الأمانة، فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الإسلام لم يغفله النبي ﷺ ولم يكتمه .

فلما لم يقع شيء من ذلك علم أن الاحتفال بها وتعظيمها ليسا من الإسلام في شيء ،وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة وأنكر على من شرع في الدين ما لم يأذن به الله، قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين من سورة المائدة : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾، وقال - عز جل - في سورة الشورى : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ .

وثبت عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة التحذير من البدع، والتصريح بأنها ضلالة تنبيهاً للأمة على عظم خطرها وتنفيراً لهم من اقترافها، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - عن النبي ﷺ أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »، وفي رواية لمسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »، وفي صحيح مسلم عن جابر - رضي الله عنه — قال كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة : « أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة » .

وفي السنن عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - أنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا : يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال : « أوصيكم بتقوى الله، والسمع و الطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من

بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة » . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

وقد ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ، وعن السلف الصالح بعدهم التحذير من البدع والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين وشرع لم يأذن به الله، وتشبّه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله؛ ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم والمنكر الشنيع، والمصادمة لقول الله - عز وجل - : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾، والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول ﷺ المحذرة من البدع والمنفرة منها .

وأرجو أن يكون فيما ذكرناه من الأدلة كفاية ومقنع لطالب الحق في إنكار هذه البدعة، أعني : بدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، والتحذير منها، وأنها ليست من دين الإسلام في شيء .

ولما أوجب الله من النصح للمسلمين وبيان ما شرع الله لهم من الدين وتحريم كتمان العلم رأيت تنبيه إخواني المسلمين على هذه البدعة التي قد فشت في كثير من الأمصار حتى ظنها بعض الناس من الدين .

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين جميعًا، ويمنحهم الفقه في الدين، ويوفقنا وإياهم للتمسك بالحق والثبات عليه وترك ما خالفه، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

**الرسالة الثالثة :**

# حكم الاحتفال بليلة النصف من شعبان

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله محمد نبي التوبة والرحمة .

**أما بعد :**

فقد قال الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ الآية من سورة المائدة، وقال تعالى : ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله** ﴾ الآية من سورة الشورى .

وفي الصحيحين عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبي ﷺ أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »، وفي لفظ لمسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »، وفي صحيح مسلم عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان يقول في خطبة يوم الجمعة : « أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة » .

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل دلالة صريحة على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أكمل لهذه الأمة دينها، وأتم عليها نعمته، و لم يتوف نبيه ﷺ إلا بعد ما بلغ البلاغ المبين، وبيّن للأمة كل ما شرعه الله لها من أقوال وأعمال، وأوضح ﷺ أن كل ما يحدثه الناس بعده وينسبونه إلى دين الإسلام من أقوال أو أعمال فكله بدعة مردود على من أحدثه ولو حسن قصده .

وقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ هذا الأمر، وهكذا علماء الإسلام بعدهم، فأنكروا البدع وحذروا منها، كما ذكر ذلك كل من صنف في تعظيم السنة وإنكار البدعة، كابن وضاح، والطرطوشي، وأبي شامة،

وغيرهم .

**ومن البدع التي أحدثها بعض الناس** : بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان، وتخصيص يومها بالصيام .

وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه .

وقد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها .

أما ما ورد في فضل الصلاة فيها فكله موضوع كما نبه على ذلك كثير من أهل العلم، وسيأتي ذكر بعض كلامهم إن شاء الله .

وورد فيها ـ أيضًا ـ آثار عن بعض السلف من أهل الشام وغيرهم .

**والذي عليه جمهور العلماء** : أن الاحتفال بها بدعة، وأن الأحاديث الواردة في فضلها كلها ضعيفة، وبعضها موضوع .

وممن نبه على ذلك : الحافظ بن رجب في كتابه "لطائف المعارف" وغيره .

والأحاديث الضعيفة إنما يعمل بها في العبادات التي قد ثبت أصلها بأدلة صحيحة .

أما الاحتفال بليلة النصف من شعبان فليس له أصل صحيح حتى يستأنس له بالأحاديث الضعيفة .

وقد ذكر هذه القاعدة الجليلة الإمام أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ، وأنا أنقل لك أيها القارئ ما قاله بعض أهل العلم في هذه المسألة حتى تكون على بينة في ذلك، وقد أجمع العلماء ـ رحمهم الله ـ على أن الواجب رد ما تنازع فيه الناس من المسائل إلى كتاب الله ـ عز وجل ـ وإلى سنة رسول الله ﷺ، فما حكما به أو أحدهما فهو الشرع الواجب الاتباع، وما خالفهما وجب اطّراحه، وما لم يرد فيهما من العبادات فهو بدعة لا يجوز فعله فضلاً عن الدعوة إليه وتحبيذه، كما قال الله ـ سبحانه ـ في سورة النساء : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**

**ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾، وقال تعالى : ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله** ﴾ الآية من سورة الشورى، وقال تعالى ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ الآية من سورة آل عمران، وقال - عز وجل - : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي نص في وجوب رد مسائل الخلاف إلى الكتاب والسنة، ووجوب الرضى بحكمهما، وأن ذلك هو مقتضى الإيمان وخير للعباد في العاجل والآجل، وأحسن تأويلاً، أي : عاقبة .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه "لطائف المعارف" في هذه المسألة بعد كلام سبق ما نصه : ( وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم، يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل إنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية، فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمها، منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم، وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز، منهم عطاء وابن أبي مليكة، ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم، وقالوا : ذلك كله بدعة، واختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها على قولين :

**أحدهما** : أنه يستحب إحياؤها جماعة في المساجد، كان خالد بن معدان ولقمان ابن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويتكحّلون، ويقومون في المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم إسحاق بن راهويه على ذلك وقال : في قيامها في المساجد جماعة ليس ذلك ببدعة، نقله حرب الكرماني في مسائله .

**والثاني** : أنه يكره الاجتماع فيها في المساجد للصلاة و القصص والدعاء، ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه، وهذا قول الأوزاعي

أمام أهل الشام وفقيههم وعالمهم، و هذا هو الأقرب إن شاء الله تعالى ) .

إلى أن قال : ( ولا يعرف للإمام أحمد كلام في ليلة نصف شعبان، ويتخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلتي العيد، فإنه في رواية لم يستحب قيامها جماعة؛ لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه، واستحبها في رواية لفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك وهو من التابعين، فكذلك قيام ليلة النصف لم يثبت فيها شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وثبت فيها عن التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام ) انتهى المقصود من كلام الحافظ بن رجب ـ رحمه الله ـ .

وفيه التصريح منه بأنه لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ شيء في ليلة النصف من شعبان، وأما ما اختاره الأوزاعي ـ رحمه الله ـ من استحباب قيامها للأفراد واختيار الحافظ بن رجب لهذا القول فهو غريب وضعيف، لأن كل شيء لم يثبت بالأدلة الشرعية كونه مشروعاً لم يجز للمسلم أن يحدثه في دين الله سواء فعله مفرداً أم في جماعة، وسواء أسَرَّه أم أعلنه؛ لعموم قول النبي ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وغيره من الأدلة الدالة على إنكار البدع والتحذير منها .

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي ـ رحمه الله ـ في كتابه "الحوادث والبدع" ما نصه : ( وروى ابن وضاح عن زيد بن أسلم قال : ما أدركنا أحداً من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان، ولا يلتفتون إلى حديث مكحول، ولا يرون لها فضلا على ما سواها، وقيل لابن أبي مليكة : إن زياداً النميرى يقول : إن أجر ليلة النصف من شعبان كأجر ليلة القدر، فقال : لو سمعته وبيدي عصا لضربته، وكان زياد قاصّاً ) انتهى المقصود .

وقال العلامة الشوكانى ـ رحمه الله ـ في "الفوائد المجموعة" ما نصه :

( حديث : « يا علي، من صلى مائة ركعة ليلة النصف من شعبان، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات؛ إلا قضى الله له

كل حاجة .. الخ » هو موضوع، وفي ألفاظه المصرحة بما يناله فاعلها من الثواب ما لا يمترى إنسان له تمييز في وضعه ورجاله مجهولون، وقد رُوِيَ من طريق ثانية و ثالثة كلها موضوعة ورواتها مجاهيل .

وقال في "المختصر" : حديث : « صلاة نصف شعبان باطل »، ولابن حبان من حديث علي : ( إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ) ضعيف، وقال في اللآلئ : « مائة ركعة في نصف شعبان بالإخلاص عشر مرات مع طول فضله » للديلمي وغيره، موضوع، وجمهور رواته في الطرق الثلاث مجاهيل ضعفاء، قال : « واثنتا عشرة ركعة بالإخلاص ثلاثين مرة » موضوع، و« أربع عشرة ركعة » موضوع ) .

وقد اغترّ بهذا الحديث جماعة من الفقهاء، كصاحب الإحياء وغيره، وكذا من المفسرين، وقد رويت صلاة هذه الليلة ـ أعني : ليلة النصف من شعبان ـ على أنحاء مختلفة، كلها باطلة موضوعة، ولا ينافي هذا رواية الترمذى من حديث عائشة، لذهابه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى البقيع، ونزول الرب ليلة النصف إلى سماء الدنيا، وأنه يغفر لأكثر من عدة شعر غنم كلب، فإن الكلام إنما هو في هذه الصلاة الموضوعة في هذه الليلة، على أن حديث عائشة فيه ضعف وانقطاع، كما أن حديث علي الذي تقدم ذكره في قيام ليلها لا ينافي كون هذه الصلاة موضوعة، على ما فيه من الضعف حسبما ذكرناه )، انتهى المقصود .

وقال الحافظ العراقى : ( حديث صلاة ليلة النصف موضوع على الرسول ﷺ وكذب عليه ) .

وقال الإمام النووى في كتاب "المجموع" : ( الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهى اثنتا عشرة ركعة بين المغرب و العشاء ليلة أول جمعة من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة، هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان، ولا يغتر بذكرهما في كتاب "قوت القلوب"، و"إحياء علوم

الدين"، ولا بالحديث المذكور فيهما فإن كل ذلك باطل، ولا يغترّ ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة، فصنف ورقات في استحبابهما؛ فإنه غالط في ذلك ) .

وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتابًا نفيساً في إبطالهما فأحسن فيه وأجاد .

وكلام أهل العلم في هذه المسألة كثير جدًّا، ولو ذهبنا ننقل كل ما اطلعنا عليه من كلامهم في هذه المسألة لطال بنا الكلام، ولعل فيما ذكرنا كفاية ومقنعًا لطالب الحق .

ومما تتقدم من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم يتضح لطالب الحق أن الاحتفال بليلة النصف من شعبان بالصلاة أو غيرها، وتخصيص يومها بالصيام بدعة منكرة عند أكثر أهل العلم، وليس له أصل في الشرع المطهر بل هو مما حدث في الإسلام بعد عصر الصحابة - رضى الله عنهم - .

ويكفي طالب الحق في هذا الباب وغيره قول الله - عز وجل - : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾، وما جاء في معناها من الآيات .

وقول النبي ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »، وما جاء في معناه من الأحاديث .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تخصوا ليله الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يومها بالصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم »، فلو كان تخصيص شيء من الليالي بشيء من العبادة جائزاً لكانت ليلة الجمعة أولى من غيرها؛ لأن يومها هو خير يوم طلعت عليه الشمس بنص الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فلما حذر النبي ﷺ تخصيصها بقيام من بين الليالي دلَّ ذلك على أن غيرها من الليالي من باب أولى، لا يجوز تخصيص شيء منها بشيء من العبادة إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص .

ولما كانت ليلة القدر وليالي رمضان يشرع قيامها والاجتهاد فيها نبّه النبي ﷺ على ذلك، وحث الأمة على قيامها، وفعل ذلك بنفسه كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه »، فلو كانت ليلة النصف من شعبان، أو ليلة أول جمعة من رجب، أو ليلة الإسراء والمعراج يشرع تخصيصها باحتفال أو شيء من العبادة لأرشد النبي ﷺ الأمة إليه، أو فعله بنفسه، ولو وقع شيء من ذلك لنقله الصحابة - رضى الله عنهم - إلى الأمة و لم يكتموه عنهم، وهم خير الناس وأنصح الناس بعد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، ورضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ وأرضاهم .

وقد عرفت آنفاً من كلام العلماء أنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه - رضى الله عنهم - شيء في فضل ليلة أول جمعة من رجب، ولا في فضل ليلة النصف من شعبان، فعُلم أن الاحتفال بهما بدعة محدثة في الإسلام، وهكذا تخصيصهما بشئ من العبادة بدعة منكرة .

وهكذا ليلة سبع وعشرين من رجب التي يعتقد بعض الناس أنها ليلة الإسراء والمعراج، لا يجوز تخصيصها بشيء من العبادة، كما لا يجوز الاحتفال بها للأدلة السابقة، هذا لو عُلِمَت، فكيف والصحيح من أقوال العلماء أنها لا تُعرف، وقول من قال : إنها ليلة سبع وعشرين من رجب قول باطل لا أساس له في الأحاديث الصحيحة، ولقد أحسن من قال :

وخير الأمور السالفات على الهدى　　وشر الأمور المحدثات البدائع

والله المسئول أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بالسنة والثبات عليها، والحذر مما خالفها، إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .



**الرسالة الثالثة :**

# تكذيب الرؤية المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمّى : الشيخ أحمد

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين، حفظهم الله بالإسلام، وأعاذنا وإياهم من مفتريات الجهلة الطغام .. آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

**أما بعد :**

فقد اطّلعت على كلمة منسوبة إلى الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف، بعنوان :

( هذه وصية من المدينة المنورة عن الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف ) .

قال فيها : ( كنت ساهرًا ليلة الجمعة أتلو القرآن الكريم، وبعد تلاوة قراءة أسماء الله الحسنى، فلما فرغت من ذلك تهيأت للنوم، فرأيت صاحب الطلعة البهية رسول الله ﷺ الذي أتى بالآيات القرآنية، والأحكام الشريفة، رحمة بالعالمين سيدنا محمد ﷺ فقال : « يا شيخ أحمد » قلت : لبيك يا رسول الله، يا أكرم خلق الله، فقال لي : « أنا خجلان من أفعال الناس القبيحة، ولم أقدر أن أقابل ربي ولا الملائكة؛ لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفًا على غير دين الإسلام »، ثم ذكر بعض ما وقع فيه الناس من المعاصي، ثم قال : « فهذه الوصية رحمة بهم من العزيز الجبار »، ثم ذكر بعض أشراط الساعة إلى أن قال : « فأخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية، لأنها منقولة بقلم القدر من اللوح المحفوظ، ومن يكتبها ويرسلها من بلد إلى بلد ومن محل إلى محل بني له قصر في الجنة، ومن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة، ومن كتبها وكان فقيراً أغناه الله،



أو كان مديونًا قضى الله دينه، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هـذه الوصية، ومن لم يكتبها من عباد الله اسودّ وجهه في الدنيا والآخرة » وقـال : والله العظيم ثلاثًا هذه حقيقة، وإن كنت كاذبًا أخرج من الدنيا على غير الإسلام، ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار، ومن كذب بها كفر ) .

هذه خلاصة ما في هذه الوصية المكذوبة على رسول الله ﷺ .

ولقد سمعنا هذه الوصية المكذوبة مرّات كثيرة منذ سنوات متعددة، تنشر بين الناس فيما بين وقت وآخـر، وتُـرَوَّج بين الكثير من العامـة، وفي ألفاظها اختلاف، وكاذبها يقول : أنه رأى النبي ﷺ في النوم فحمّله هذه الوصية .

وفي هذه النشرة الأخيرة التي ذكرناها لك أيها القارئ زعم المفتري فيها ( أنه رأى النبي ﷺ حين تهيأ للنوم لا في النوم ) فالمعنى : أنه رآه يقظة .

زعم هذا المفتري في هذه الوصية أشياء كثيرة هي من أوضح الكذب وأبين الباطل، سأنبهك عليها قريبًا في هذه الكلمة إن شاء الله .

ولقد نبهت عليها في السنوات الماضية، وبينـت للنـاس أنهـا مـن أوضح الكذب وأبين الباطل، فلما اطلعت على هـذه النشـرة الأخـيرة ترددت في الكتابة عنها لظهور بطلانها وعظم جرأة مفتريها على الكـذب، ومـا كنت أظن أن بطلانها يروج على من له أدنى بصيرة أو فطرة سليمة، ولكن أخبرني كثير من الإخوان أنها قد راجت على كثير من النـاس وتداولوها بينهم، وصدقها بعضهم، فمن أجل ذلك رأيت أنه يتعين على أمثالي الكتابة عنها لبيان بطلانها، وأنها مفتراة على رسول الله ﷺ حتى لا يغتر بها أحد .

ومن تأملها مـن ذوي العلم والإيمان أو ذوي الفطرة السليمة والعقل الصحيح عرف أنها كذب وافتراء من وجوه كثيرة .

ولقد سألت بعض أقارب الشيخ أحمد المنسوبة إليه هذه الفرية عن هـذه الوصية، فأجابني بأنها مكذوبة على الشيخ أحمد، وأنـه لم يقلهـا أصـلاً . والشيخ أحمد المذكور قد مات من مدة .

ولو فرضنا أن الشيخ أحمد المذكور أو من هو أكبر منه زعم أنه رأى النبي ﷺ في النوم أو اليقظة وأوصاه بهذه الوصية لعلمنا يقينًا أنه كاذب، أو أن الذي قال له ذلك الشيطان وليس هو الرسول ﷺ لوجوه كثيرة :

**منها** : أن الرسول ﷺ لا يُرى في اليقظة بعد وفاته ﷺ، ومن زعم من جهلة الصوفية أنه يرى النبي ﷺ في اليقظة، أو أنه يحضر المولد، أو ما أشبه ذلك، فقد غلط أقبح الغلط، ولُبِّسَ عليه غاية التلبيس، ووقع في خطأ عظيم، وخالف الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم، لأن الموتى إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة لا في الدنيا، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾، فأخبر سبحانه أن بعث الأموات يكون يوم القيامة لا في الدنيا، ومن قال خلاف ذلك فهو كاذب كذبًا بيّنًا، أو غالط مُلَبَّس عليه لم يعرف الحق الذي عرفه السلف الصالح ودرج عليه أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم بإحسان .

**الوجه الثاني** : أن الرسول ﷺ لا يقول خلاف الحق لا في حياته ولا في وفاته، وهذه الوصية تخالف شريعته مخالفة ظاهرة من وجوه كثيرة كما يأتي، وهو ﷺ قد يُرى في النوم، ومن رآه في المنام على صورته الشريفة فقد رآه لأن الشيطان لا يتمثل في صورته، كما جاء بذلك الحديث الصحيح الشريف، ولكن الشأن كل الشأن في إيمان الرائي وصدقه وعدالته وضبطه وديانته وأمانته، وهل رأى النبي ﷺ في صورته أو في غيرها، ولو جاء عن النبي ﷺ حديث قاله في حياته من غير طريق الثقاة العدول الضابطين لم يعتمد عليه و لم يحتج به، أو جاء من طريق الثقاة الضابطين ولكن يخالف رواية من هو أحفظ منهم وأوثق مخالفة لا يمكن معها الجمع بين الروايتين لكان أحدهما منسوخًا لا يعمل به، والثاني ناسخ يعمل به حيث أمكن ذلك بشروطه، وإذا لم يمكن ذلك و لم يمكن الجمع وجب أن تطرح رواية من هو أقل حفظًا وأدنى عدالة، والحكم عليها بأنها شاذة لا يعمل بها .
فكيف بوصية لا يُعرف صاحبها الذي نقلها عن الرسول الله ﷺ ؟،

ولا تُعرف عدالته وأمانته ؟، فهي والحالة هذه حقيقة بأن تطرح ولا يلتفت إليها وإن لم يكن فيها شيء يخالف الشرع، فكيف إذا كانت الوصية مشتملة على أمور كثيرة تدل على بطلانها، وأنها مكذوبة على رسول الله ﷺ، ومتضمنة لتشريع دين لم يأذن به الله، وقد قال النبي ﷺ : « من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار »، وقد قال مفتري هذه الوصية على رسول الله ﷺ ما لم يقل، وكذب عليه كذبًا صريحًا خطيراً، فما أحراه بهذا الوعيد العظيم وما أحقه به، إن لم يبادر بالتوبة وينشر للناس أنه قد كذب هذه الوصية على رسول ﷺ، لأن من نشر باطلاً بين الناس ونسبه إلى الدين لم تصح توبته منه إلا باعلانها وإظهارها حتى يعلم الناس رجوعه عن كذبه وتكذيبه لنفسه، لقول الله - عز وجل - : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ۝ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم** ﴾، فأوضح الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن من كتم شيئا من الحق لم تصح توبته من ذلك إلا بعد الإصلاح والتبيين، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة ببعث رسوله محمد ﷺ، وما أوحى الله إليه من الشرع الكامل، و لم يقبضه إليه إلا بعد الإكمال والتبيين، كما قال - عز وجل - : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي** ﴾ الآية .

ومفتري هذه الوصية قد جاء في القرن الرابع عشر، يريد أن يلبس على الناس دينهم، ويشرع لهم دينًا جديدًا، يترتب عليه دخول الجنة لمن أخذ بتشريعه، وحرمان الجنة ودخول النار لمن لم يأخذ بتشريعه، ويريد أن يجعل هذه الوصية التي افتراها أعظم من القرآن وأفضل، حيث افترى فيها ( أن من كتبها وأرسلها من بلد إلى بلد أو من محل إلى محل بني له قصر في الجنة، ومن لم يكتبها ويرسلها حرمت عليه شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة )، وهذا من أقبح الكذب، ومن أوضح الدلائل على كذب هذه الوصية، وقلة حياء



مفتريها، وعظم جرأته على الكذب؛ لأن من كتب القرآن الكريم وأرسله من بلد إلى بلد أو من محل إلى محل لم يحصل له هذا الفضل إذا لم يعمل بالقرآن الكريم، فكيف يحصل لكاتب هذه الفرية وناقلها من بلد إلى بلد، ومن لم يكتب القرآن ويرسله من بلد إلى بلد لم يحرم شفاعة النبي ﷺ إذا كان مؤمنًا به تابعًا لشريعته .

وهذه الفرية الواحدة في هذه الوصية تكفي وحدها للدلالة على بطلانها، وكذب ناشرها ووقاحته وغباوته، وبُعْدِه عن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ من الهدى .

وفي هذه الوصية سوى ماذكر أمور أخرى كلها تدل على بطلانها وكذبها، ولو أقسم مفتريها ألف قسم أو أكثر على صحتها، ولو دعا على نفسه بأعظم العذاب وأشد النكال على أنه صادق لم يكن صادقًا ولم تكن صحيحة، بل هي والله ثم والله من أعظم الكذب وأقبح الباطل .

ونحن نشهد الله - سبحانه وتعالى - ومن حضرنا من الملائكة، ومن اطلع على هذه الكتابة من المسلمين شهادة نلقى بها ربنا - عز وجل - : **أن هذه الوصية كذب وافتراء على رسول الله ﷺ** .

أخزى الله من كذبها، وعامله بما يستحق .

**ويدل على كذبها وبطلانها سوى ما تقدم أمور كثيرة :**

**الأول منها** : قوله فيها : ( لأن من الجمعة إلى الجمعة مات مائة وستون ألفًا على غير دين الإسلام ) .

لأن هذا من علم الغيب، والرسول ﷺ قد انقطع عنه الوحي بعد وفاته، وهو في حياته لا يعلم الغيب، فكيف بعد وفاته ؟، لقول الله - سبحانه - : ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب** ﴾ الآية، وقوله تعالى : ﴿ **قل لايعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله** ﴾، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « يذاد رجال عن حوضي يوم القيامة، فأقول :



يارب أصحابي أصحابي . فيقال لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ **وكنت عليهم شهيدًا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليه وأنت على كل شيء شهيد** ﴾ » .

**الثاني من الأمور الدالة على بطلان هذه الوصية وأنها كذب** : قوله فيها : ( من كتبها وكان فقيرًا أغناه الله، أو مديونًا قضى الله دينه، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هذه الوصية ) إلى آخره .

وهذا من أعظم الكذب، وأوضح الدلائل على كذب مفتريها، وقلة حيائه من الله ومن عباده؛ لأن هذه الأمور الثلاثة لا تحصل بمجرد كَتْبِ القرآن الكريم فكيف تحصل لمن كتب هذه الوصية الباطلة ؟! .

وإنما يريد هذا الخبيث التلبيس على الناس، وتعليقهم بهذه الوصية حتى يكتبوها ويتعلقوا بهذا الفضل المزعوم، ويدعوا الأسباب التي شرعها الله لعباده وجعلها موصلة إلى الغنى وقضاء الدين ومغفرة الذنوب .

فنعوذ بالله من أسباب الخذلان، وطاعة الهوى والشيطان .

**الأمر الثالث من الأمور الدالة على بطلان هذه الوصية** : قوله فيها : ( ومن لم يكتبها من عباد الله اسودّ وجهه في الدنيا والآخرة ) .

وهذا ـ أيضًا ـ من أقبح الكذب، ومن أبين الأدلة على بطلان هذه الوصية وكذب مفتريها، كيف يجوز في عقل عاقل أن من لم يكتب هذه الوصية التي جاء بها رجل مجهول في القرن الرابع عشر، يفتريها على رسول الله ﷺ ، ويزعم أن من لم يكتبها يسودّ وجهه في الدنيا والآخرة، ومن كتبها كان غنيًا بعد الفقر، وسليمًا من الدين بعد تراكمه عليه، ومغفورًا له ماجناه من الذنوب ؟! . سبحانك هذا بهتان عظيم .

وأن الأدلة والواقع يشهدان بكذب هذا المفتري ،وعظم جرأته على الله، وقلة حيائه من الله ومن الناس .

فهؤلاء أمم كثيرة لم يكتبوها ولم تسود وجوههم، وههنا جم غفير

لايحصيهم إلا الله قد كتبوها مرات كثيرة فلم يقض دينهم و لم يزل فقرهم . فنعوذ بالله من زيغ القلوب، ورين الذنوب .

وهذه صفات وجزاءات لم يأت بها الشرع الشريف لمن كتب أفضل كتاب وأعظمه وهو القرآن الكريم، فكيف تحصل لمن كتب وصية مكذوبة مشتملة على أنواع من الباطل، وجمل كثيرة وكثيرة من الكفر ؟! .

سبحان الله ما أَحْلَمَه على ما اجترأ عليه من الكذب .

**الأمر الرابع من الأمور الدالة على أن هذه الوصية من أبطل الباطل وأوضح الكذب** : قوله فيها : ( ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار، ومن كذّب بها كفر ) .

وهذا - أيضًا - من أعظم الجرأة على الكذب، ومن أقبح الباطل، يدعو هذا المفتري جميع الناس إلى أن يصدقوا بفريته، ويزعم أنهم بذلك ينجون من عذاب النار، وأن من كذّب بها يكفر، لقد أعظم والله هذا الكذّاب على الله الفرية، وقال والله غير الحق .

إن من صدق بها هو الذي يستحق أن يكون كافرًا لا من كذب بها لأنها فرية وباطل وكذب لا أساس له من الصحة .

**ونحن نشهد الله على أنها كذب، وأن مفتريها كذّاب يريد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله، ويدخل في دينهم ما ليس منه**، والله قد أكمل الدين وأتمه لهذه الأمة من قبل هذه الفرية بأربعة عشر قرنًا .

**فانتبهوا أيها القراء والإخوان، وإياكم والتصديق بأمثال هذه المفتريات وأن يكون لها رواج فيما بينكم**، فإن الحق عليه نور لا يلتبس على طالبه، فاطلبوا الحق بدليله، واسألوا أهل العلم عمّا أشكل عليكم، ولا تغتروا بحلف الكذّابين، فقد حلف إبليس اللعين لأبويكم على أنه لهما من الناصحين وهو أعظم الخائنين وأكذب الكذّابين، كما حكى الله عنه ذلك في سورة الأعراف، حيث قال - سبحانه - : ﴿ **وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** ﴾ .



فاحذروه واحذروا أتباعه من المفترين، فكم له ولهم من الأيمان الكاذبة، والعهود الغادرة، والأقوال المزخرفة للإغواء والتضليل .

عصمني الله وإياكم وسائر المسلمين من شر الشياطين، وفتن المضلين، وزيغ الزائغين، وتلبيس أعداء الله المبطلين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويلبسوا على الناس دينهم، والله متم نوره وناصر دينه ولو كره أعداء الله من الشياطين وأتباعهم من الكفار والملحدين .

**وأما ما ذكره هذا المفتري من ظهور المنكرات** : فهو أمر واقع، والقرآن الكريم والسنة المطهرة قد حذرا منها غاية التحذير، وفيهما الهداية والكفاية .

ونسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يمن عليهم باتباع الحق والاستقامة عليه، والتوبة إلى الله - سبحانه وتعالى - من سائر الذنوب، فإنه التواب الرحيم، والقادر على كل شيء .

**وأما ما ذكر عن شروط الساعة** : فقد أوضحت الأحاديث النبوية ما يكون من أشراط الساعة، وأشار القرآن الكريم إلى بعض ذلك، فمن أراد أن يعلم ذلك وجده في محله من كتب السنة، ومؤلفات أهل العلم والإيمان، وليس بالناس حاجة إلى بيان مثل هذا المفتري وتلبيسه ومزجه الحق بالباطل .

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على عبده ورسوله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

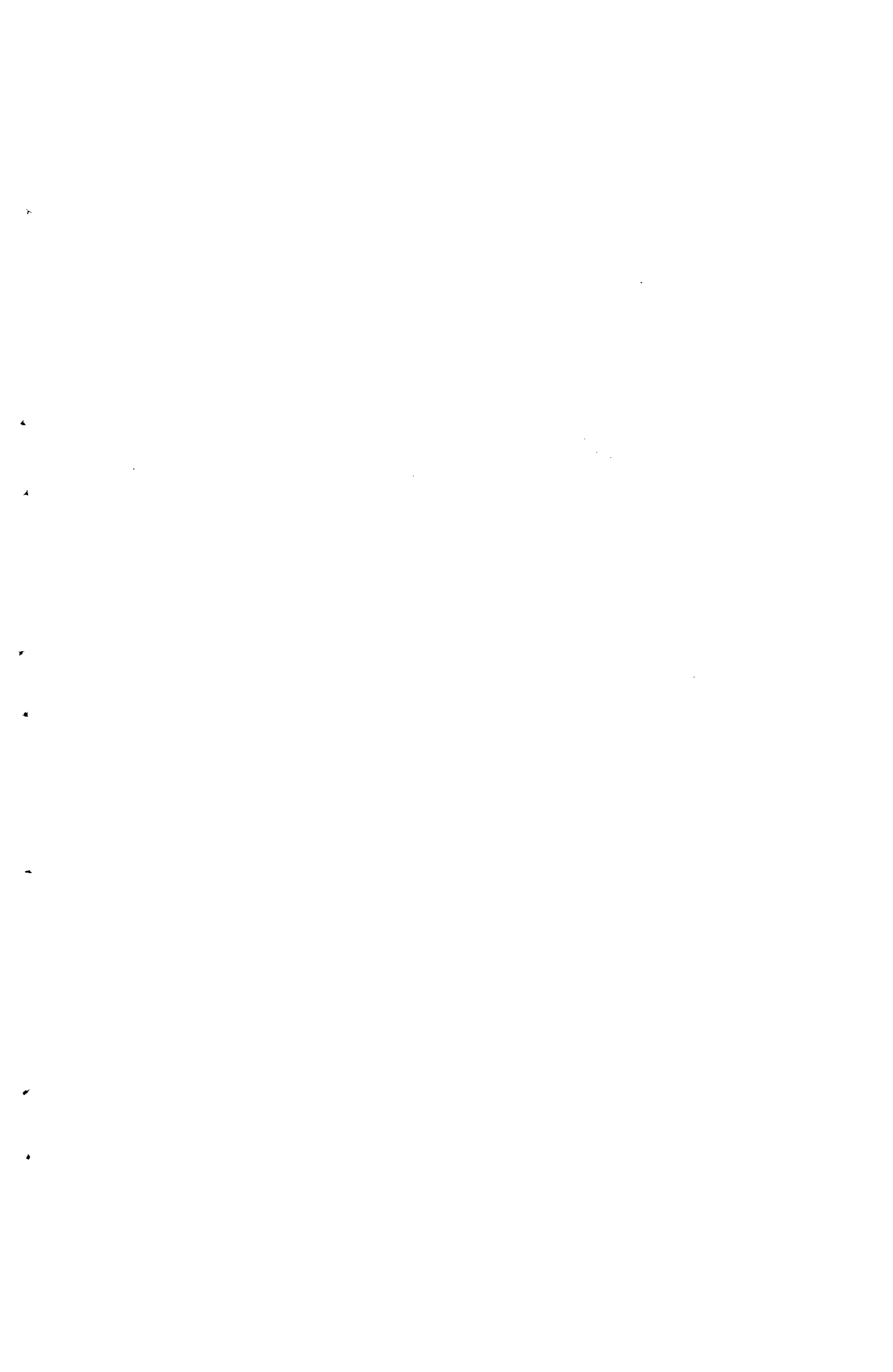


# الإبداع

# في

# بيان كمال الشرع وخطر الابتداع

محمد بن صالح العثيمين





# الإبــداع في بيان كمال الشــرع وخطـر الابتـــداع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، أرسله الله ـ تعالى ـ بالهدى ودين الحق، فبلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وترك أمته على محجة بيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك؛ بين فيها ما تحتاجه الأمة في جميع شئونها حتى قال أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ : ( ما ترك النبي ﷺ طائرًا يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا )، وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ : علّمكم نبيكم حتى الخراءة ـ آداب قضاء الحاجة ـ !! قال : ( نعم، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي برجيع أو عظم ) .

وإنك لترى هذا القرآن العظيم قد بيّن الله تعالى فيه أصول الدين وفروع الدين، فيبين التوحيد بجميع أنواعه، وبين آداب المجالس والاستئذان، قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم** ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير**

(١) سورة المجادلة الآية : ١١ .

بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدًا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ﴾ (١) .

حتى آداب اللباس قال الله تعالى : ﴿ والقواعد من النساء اللآتي لا يرجون نكاحًا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ﴾ (٢)، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾ (٣)، وقال تعالى : ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ (٤)، وقال تعالى : ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ (٥) .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي يتبين بها أن هذا الدين شامل كامل لا يحتاج إلى زيادة، كما أنه لا يجوز فيه النقص؛ ولهذا قال الله تعالى في وصف القرآن : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء ﴾ (٦)، فما من شيء يحتاج الناس إليه في معادهم ومعاشهم إلا بيّنه الله تعالى في كتابه إما نصًّا أو إيماءً وإما منطوقًا وإما مفهومًا .

**أيها الإخوة** : إن بعض الناس يفسر قول الله تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء

---

(١) سورة النور، الآيتان : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) سورة النور، الآية : ٦٠ .

(٣) سورة الأحزاب، الآية : ٥٩ .

(٤) سورة النور، الآية : ٣١ .

(٥) سورة البقرة، الآية : ١٨٩ .

(٦) سورة النحل، الآية : ٨٩ .

**ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾[١]، يفسر قوله : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب** ﴾ على أن الكتاب القرآن والصواب أن المراد بالكتاب هنا اللوح المحفوظ، وأما القرآن فإن الله ـ تعالى ـ وصفه بأبلغ من النفي وهو قوله : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء** ﴾، فهذا أبلغ وأبين من قوله : ﴿ **ما فرّطنا في الكتاب من شيء** ﴾ .

ولعل قائلاً يقول : أين نجد أعداد الصلوات الخمس في القرآن وعدد كل صلاة في القرآن وكيف يستقيم أننا لا نجد في القرآن بيان أعداد ركعات كل صلاة والله يقول : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء** ﴾ ؟ .

والجواب على ذلك : أن الله ـ تعالى ـ بين لنا في كتابه أنه من الواجب علينا أن نأخذ بما قاله الرسول ﷺ وبما دلنا عليه ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[٢]، ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[٣]. فما بينته السنة فإن القرآن قد دل عليه؛ لأن السنة أحد قسمي الوحي الذي أنزله الله على رسوله وعلمه إياه كما قال الله تعالى : ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة** ﴾[٤] .

وعلى هذا فما جاء في السنة فقد جاء في كتاب الله ـ عز وجل ـ .

**أيها الإخوة** : إذا تقرر ذلك عندكم فهل النبي ﷺ توفي وقد بقي شيء من الدين المقرب إلى الله ـ تعالى ـ لم يبينه ؟ .

أبدًا، فالنبي ﷺ بَيّن كل الدين، إما بقوله وإما بفعله وإما بإقراره، إما ابتداءًا أو جوابًا عن سؤال، وأحيانًا يبعث الله أعرابيًا من أقصى البادية ليأتي

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٣٨ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٨. .

(٣) سورة الحشر، الآية : ٧ .

(٤) سورة النساء، الآية : ١١٣ .

إلى رسول الله ﷺ يسأله عن شيء من أمور الدين لا يسأله عنه الصحابة الملازمون لرسول الله ﷺ، ولهذا كانوا يفرحون أن يأتي أعرابي يسأل النبي ﷺ عن بعض المسائل . ويدلّك على أن النبي ﷺ ما ترك شيئًا مما يحتاجه الناس في عبادتهم ومعاملتهم وعيشهم إلا بينه يدلك على ذلك قوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾[١] .

إذا تقرر ذلك عندك أيها المسلم فاعلم أن كل من ابتدع شريعة في دين الله ولو بقصد حسن فإن بدعته هذه مع كونها ضلالة تعتبر طعنًا في دين الله عز وجل، تعتبر تكذيبًا لله تعالى في قوله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾؛ لأن هذا المبتدع الذي ابتدع شريعة في دين الله تعالى وليست في دين الله تعالى كأنه يقول بلسان الحال : إن الدين لم يكمل؛ لأنه قد بقي على هذه الشريعة التي ابتدعها ما يتقرب بها إلى الله ـ عز وجل ـ .

ومن عجب أن يبتدع الإنسان بدعة تتعلق بذات الله ـ عز وجل ـ وأسمائه وصفاته، ثم يقول : إنه في ذلك معظّم لربه، إنه في ذلك منزه لربه، إنه في ذلك ممتثل لقوله تعالى : ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادًا** ﴾[٢] .

إنك لتعجب من هذا أن يبتدع هذه البدعة في دين الله المتعلقة بذات الله، التي ليس عليها سلف الأمة ولا أئمتها، ثم يقول : إنه هو المنزّه لله، وأنه هو المعظّم لله، وأنه هو الممتثل لقول الله تعالى : ﴿ **فلا تجعلوا لله أندادًا** ﴾، وأن من خالف ذلك فهو ممثّل مشبّه، أو نحو ذلك من ألقاب السوء !!! .

كما أنك تعجب من قوم يبتدعون في دين الله ما ليس منه فيما يتعلق برسول الله ﷺ، ويدّعون بذلك أنهم هم المحبون لرسول الله ﷺ، وأنهم

(١) سورة المائدة، الآية : ٣ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٢ .



المعظمون لرسول الله ﷺ، وإن من لم يوافقهم في بدعتهم هذه فإنه مبغض لرسول الله ﷺ، إلى غير ذلك من ألقاب السوء التي يلقبون بها من لم يوافقهم على بدعتهم فيما يتعلق برسول الله ﷺ .

ومن العجب أن مثل هؤلاء يقولون : نحن المعظمون لله ولرسوله، وهم إذا ابتدعوا في دين الله وفي شريعته التي جاء بها رسوله ﷺ ما ليس منها فإنهم بلا شك متقدمون بين يدي الله ورسوله، وقد قال الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم** ﴾[1] .

**أيها الإخوة** : إني سائلكم ومناشدكم بالله ـ عز وجل ـ وأريد منكم أن يكون الجواب من ضمائركم لا من عواطفكم، من مقتضى دينكم لا من مقتضى تقليدكم :

ما تقولون فيمن يبتدعون في دين الله ما ليس منه، سواء فيما يتعلق بذات الله وصفات الله وأسماء الله، أو فيما يتعلق برسول الله ﷺ، ثم يقولون : نحن المعظمون لله ولرسول الله، أهؤلاء أحق بأن يكونوا معظمين لله ولرسول الله ؟، أم أولئك القوم الذين لا يحيدون قيد أنملة عن شريعة الله، يقولون فيما جاء من الشريعة : آمنا وصدقنا فيما أخبرنا به، وسمعنا وأطعنا فيما أُمرنا به أو نهينا عنه ؟، ويقولون فيما لم تأت به الشريعة : أحجمنا وانتهينا، وليس لنا أن نتقدم بين يدي الله ورسوله، وليس لنا أن نقول في دين الله ما ليس منه ؟ .

أيهما أحق أن يكون محبًا لله ورسوله ومعظمًا لله ورسوله ؟ .

لا شك أن الذين قالوا : آمنا وصدقنا فيما أخبرنا به، وسمعنا وأطعنا فيما أمرنا به، وقالوا : كففنا وانتهينا عما لم نؤمر به، وقالوا : نحن أقل قدرًا في نفوسنا من أن نجعل في شريعة الله ما ليس منها، أو أن نبتدع في دين الله ما ليس منه .

---

(١) سورة الحجرات، الآية : ١ .

لا شك أن هؤلاء هم الذين عرفوا قدر أنفسهم، وعرفوا قدر خالقهم، هؤلاء هم الذين عظموا الله ورسوله ﷺ، وهم الذين أظهروا صدق محبتهم لله ورسوله ﷺ .

لا أولئك الذين يبتدعون في دين الله ما ليس منه، في العقيدة أو القول أو العمل .

وإنك لتعجب من قوم يعرفون قول رسول الله ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار » . ويعلمون أن قوله : « كل بدعة » كلية عامة شاملة، مسورة بأقوى أدوات الشمول والعموم « كل »، والذي نطق بهذه الكليه صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ وهو أفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق، لا يتلفظ إلا بشيء يقصد معناه .

إذًا فالنبي ﷺ حينما قال : « كل بدعة ضلالة » كان يدري ما يقول، وكان يدري معنى ما يقول، وقد صدر هذا القول منه عن كمال نصحه للأمة .

وإذا تم في الكلام هذه الأمور الثلاثة ـ كمال النصح، والإرادة، وكمال البيان والفصاحة وكمال العلم والمعرفة ـ دل ذلك على أن الكلام يراد به ما يدل عليه من المعنى .

أفبعد هذه الكلية يصح أن نقسم البدعة إلى أقسام ثلاثة، أو إلى أقسام خمسة ؟ . أبدًا هذا لا يصح .

وما ادّعاه بعض العلماء من أن هناك بدعة حسنة، فلا تخلو من حالين :

١ ـ ألاّ تكون بدعة لكن يظنها بدعة .

٢ ـ أن تكون بدعة فهي سيئة، لكن لا يعلم عن سوئها .

فكل ما ادّعي أنه بدعة حسنة فالجواب عنه بهذا .

وعلى هذا فلا مدخل لأهل البدع في أن يجعلوا من بدعهم بدعة حسنة وفي يدنا هذا السيف الصارم من رسول الله ﷺ « كل بدعة ضلالة » .

إن هذا السيف الصارم إنما صنع في مصانع النبوة والرسالة، إنه لم يصنع في مصانع مضطربة، لكنه صنع في مصانع النبوة، وصاغه النبي ﷺ هذه الصياغة البليغة، فلا يمكن لمن بيده مثل هذا السيف الصارم أن يقابله أحد ببدعة يقول إنها حسنة ورسول الله ﷺ يقول : « كل بدعة ضلالة » .

**وكأني أحسّ أن في نفوسكم دبيبًا يقول :**

ما تقول في قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه — الموفق للصواب، حينما أمر أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يقوما بالناس في رمضان، فخرج والناس على إمامهم مجتمعون فقال : ( نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون إليها ) ؟ .

**فالجواب عن ذلك من وجهين :**

**الوجه الأول** : أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يعارض كلام الرسول ﷺ بأي كلام، لا بكلام أبي بكر الذي هو أفضل الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عمر الذي هو ثاني هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عثمان الذي هو ثالث هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام علي الذي هو رابع هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام أحد غيرهم؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ [1]، قال الإمام أحمد — رحمه الله - : ( أتدري ما الفتنة ؟ . الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قول النبي ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك )اهـ، وقال ابن عباس — رضى الله عنهما - : ( يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول : قال رسول الله ﷺ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ) .

**الوجه الثاني** : إننا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من أشد الناس تعظيمًا لكلام الله - تعالى - ورسوله ﷺ،

---

(١) سورة النور، الآية : ٦٣ .

وكان مشهورًا بالوقوف على حدود الله ـ تعالى ـ، حتى كان يوصف بأنه كان وقّافًا عند كلام الله تعالى، وما قصة المرأة التي عارضته ـ إن صحّت هذه القصّة ـ في تحديد المهور بمجهولة عند الكثير، حيث عارضته بقوله تعالى : ﴿ وآتيتم إحداهن قنطارًا ﴾، فانتهى عمر عما أراد من تحديد المهور، لكن هذه القصة في صحتها نظر، لكن المراد : بيان أن عمر كان وقّافًا عند حدود الله ـ تعالى ـ لا يتعداها، فلا يليق بعمر ـ رضي الله عنه ـ وهو من هو أن يخالف كلام سيد البشر محمد ﷺ، وأن يقول عن بدعة : ( نعمت البدعة )، وتكون هذه البدعة هي التي أرادها رسول الله ﷺ بقوله : « كل بدعة ضلالة »، بل لا بد أن تنزل البدعة التي قال عنها عمر إنها : ( نعمت البدعة ) على بدعة لا تكون داخلة تحت مراد النبي ﷺ في قوله : « كل بدعة ضلالة »، فعمر ـ رضي الله عنه ـ يشير بقوله : ( نعمت البدعة هذه ) إلى جمع الناس على إمام واحد بعد أن كانوا متفرقين، وكان أصل قيامُ رمضان من رسول الله ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين مِّن حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ : ( أن النبي ﷺ قام في الناس ثلاث ليال، وتأخر عنهم في الليلة الرابعة وقال : « إني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها » ) . فقيام الليل في رمضان جماعة من سنة الرسول ﷺ، وسماها عمر ـ رضي الله عنه ـ بدعة باعتبار أن النبي ﷺ لما ترك القيام صار الناس متفرقين، يقوم الرجل لنفسه ويقوم الرجل ومعه الرجل، والرجل ومعه الرجلان، والرهط والنفر في المسجد، فرأى أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ برأيه السديد الصائب أن يجمع الناس على إمام واحد، فكان هذا الفعل بالنسبة لتفرق الناس من قبل بدعة، فهي بدعة اعتبارية إضافية وليست بدعة مطلقة إنشائية أنشأها عمر ـ رضي الله عنه ـ، لأن هذه السنة كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ فهي سنة، لكنها تركت منذ عهد الرسول ﷺ حتى أعادها عمر ـ رضي الله عنه ـ .

وبهذا التقعيد لا يمكن أبدًا أن يجد أهل البدع من قول عمر هذا منفذًا لما

استحسنوه من بدعهم .

**وقد يقول قائل** : هناك أشياء مبتدعة قبلها المسلمون وعملوا بها وهي لم تكن معروفة في عهد النبي ﷺ كالمدارس وتصنيف الكتب وما أشبه ذلك، وهذه البدعة استحسنها المسلمون وعملوا بها، ورأوا أنها من خيار العمل، فكيف تجمع بين هذا الذي يكاد أن يكون مجمعًا عليه بين المسلمين، وبين قول قائد المسلمين ونبي المسلمين ورسول رب العالمين ﷺ : « كل بدعة ضلالة » ؟ .

**فالجواب** : أن نقول هذا في الواقع ليس ببدعة، بل هذا وسيلة إلى مشروع، والوسائل تختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة، ومن القواعد المقررة : ( أن الوسائل لها أحكام المقاصد )، فوسائل المشروع مشروعة، ووسائل غير المشروع غير مشروعة، بل وسائل المحرم حرام، والخير إذا كان وسيلة للشر كان شرًّا ممنوعًا، واستمع إلى الله - عز وجل - يقول : ﴿ **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم** ﴾ [1]، وسب آلهة المشركين ليس عدوًا بل حق وفي محله، لكن سب رب العالمين عدوًا وفي غير محله عدوان وظلم، ولهذا لما كان سب آلهة المشركين المحمود سببًا مفضيًا إلى سب الله كان محرمًا ممنوعًا .

سقت هذا دليلاً على أن الوسائل لها أحكام القاصد، فالمدارس وتصنيف العلم، وتأليف الكتب وإن كان بدعة لم يوجد في عهد النبي ﷺ على هذا الوجه إلا أنه ليس مقصدًا، بل هو وسيلة، والوسائل لها أحكام المقاصد، ولهذا لو بنى شخص مدرسة لتعليم علم محرم كان البناء حرامًا، ولو بنى مدرسة لتعليم علم شرعي كان البناء مشروعًا .

**فإن قال قائل** : كيف تجيب عن قول النبي ﷺ : « من سن في الإسلام

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٠٨ .



سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة »[(١)] .

**فالجواب** : أن من قال : « من سن في الإسلام سنة حسنة » هو القائل : « كل بدعة ضلالة »، ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب له قولاً آخر، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله ﷺ أبدًا، ولا يمكن أن يرد على معنى واحد مع التناقض أبدًا، ومن ظن أن كلام الله تعالى أو كلام رسول الله ﷺ متناقض فليعد النظر، فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه، وإما عن تقصير، ولا يمكن أن يوجد في كلام الله - تعالى — أو كلام رسوله ﷺ تناقض أبدًا، وإذا كان كذلك فبيان عدم مناقضة حديث : « كل بدعة ضلالة » لحديث : « من سن في الإسلام سنة حسنة » أن النبي ﷺ يقول : « من سن في الإسلام » والبدع ليست من الإسلام، ويقول : « حسنة » والبدعة ليست بحسنة، وفرق بين السن والتبديع .

**وهناك جواب لا بأس به** : أن معنى « من سن » : من أحيا سنة كانت موجودة فعدمت فأحياها، وعلى هذا فيكون « السن » إضافيًّا نسبيًّا، كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سنة بعد أن تركت .

**وهناك جواب ثالث يدل له سبب الحديث** : وهو قصة النفر الذين وفدوا إلى النبي ﷺ وكانوا في حالة شديدة من الضيق، فدعا النبي ﷺ إلى التبرع لهم، فجاء رجل من الأنصار بيده صرة من فضة كادت تثقل يده، فوضعها بين يدي الرسول ﷺ، فجعل وجه النبي ﷺ يتهلل من الفرح والسرور وقال : « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة »، فهنا يكون معنى « السن » : سن العمل تنفيذًا، وليس سن العمل تشريعًا، فصار معنى «من سن في الإسلام سنة حسنة » : من عمل بها تنفيذًا لا تشريعًا؛ لأن التشريع ممنوع : «كل بدعة ضلالة ».

---

(١) سن بمعنى « شرع » .



**وليُعلم أيها الإخوة** : أن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في أمور ستة :

**الأول** : السبب، فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعيًّا فهي بدعة مردودة على صاحبها، مثال ذلك : أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عرج فيها برسول الله ﷺ، فالتهجد عبادة، ولكن لما قرن بهذا السبب كان بدعة؛ لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعًا .

وهذا الوصف ـ موافقة العبادة للشريعة في السبب ـ أمر مهم، يتبين به ابتداع كثير مما يظن أنه من السنة وليس من السنة .

**الثاني** : الجنس، فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة، مثال ذلك : أن يضحي رجل بفرس، فلا يصح أضحية لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام : الإبل، البقر، الغنم.

**الثالث** : القدر، فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فنقول : هذه بدعة غير مقبولة لأنها مخالفة للشرع في القدر، ومن باب أولى لو أن الإنسان صلى الظهر مثلاً خمسًا فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.

**الرابع** : الكيفية، فلو أن رجلاً توضأ فبدأ بغسل رجليه ثم مسح رأسه ثم غسل يديه ثم وجهه، فنقول : وضوءه باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية .

**الخامس** : الزمان، فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية لمخالفة الشرع في الزمان، وسمعت أن بعض الناس في شهر رمضان يذبحون الغنم تقربًا لله تعالى بالذبح، وهذا العمل بدعة على هذا الوجه؛ لأنه ليس هناك شيء يتقرب به إلى الله بالذبح إلا الأضحية والهدي والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر على الذبح كالذبح في عيد الأضحى

فبدعة، وأما الذبح لأجل اللحم فهذا جائر.

**السادس** : المكان، فلو أن رجلا اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة : أريد أن أعتكف في مصلى البيت، فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان، ومن الأمثلة : لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق ووجد ما حوله قد ضاق فصار يطوف من وراء المسجد، فلا يصح طوافه لأن مكان الطواف البيت، قال الله تعالى لإبراهيم الخليل : ﴿ **وطهر بيتي للطائفين** ﴾ [1] .

**فالعبادة لا تكون عملاً صالحًا إلا إذا تحقق فيها شرطان :**

**الأول** : الإخلاص .

**الثاني** : المتابعة، والمتابعة لا تتحقق إلا بالأمور الستة الآنفة الذكر .

**وإنني أقول لهؤلاء الذين ابتلوا بالبدع، الذين قد تكون مقاصدهم حسنة ويريدون الخير :**

إذا أردتم الخير فلا والله نعلم طريقًا خيراً من طريق السلف ـ رضي الله عنهم - .

**أيها الإخوة** : عضوا على سنة الرسول ﷺ بالنواجذ، واسلكوا طريق السلف الصالح، وكونوا على ما كانوا عليه، وانظروا هل يضيركم ذلك شيئًا ؟ .

وإني أقول، وأعوذ بالله أن أقول ما ليس لي به علم، أقول :

إنك لتجد الكثير من هؤلاء الحريصين على البدع يكون فاتراً في تنفيذ أمور ثبتت شرعيتها وثبتت سنيتها، فإذا فرغوا من هذه البدع قابلوا السنن الثابتة بالفتور، وهذا كله من نتيجة أضرار البدع على القلوب، فالبدع

---

(١) سورة الحج، الآية ٢٦ .



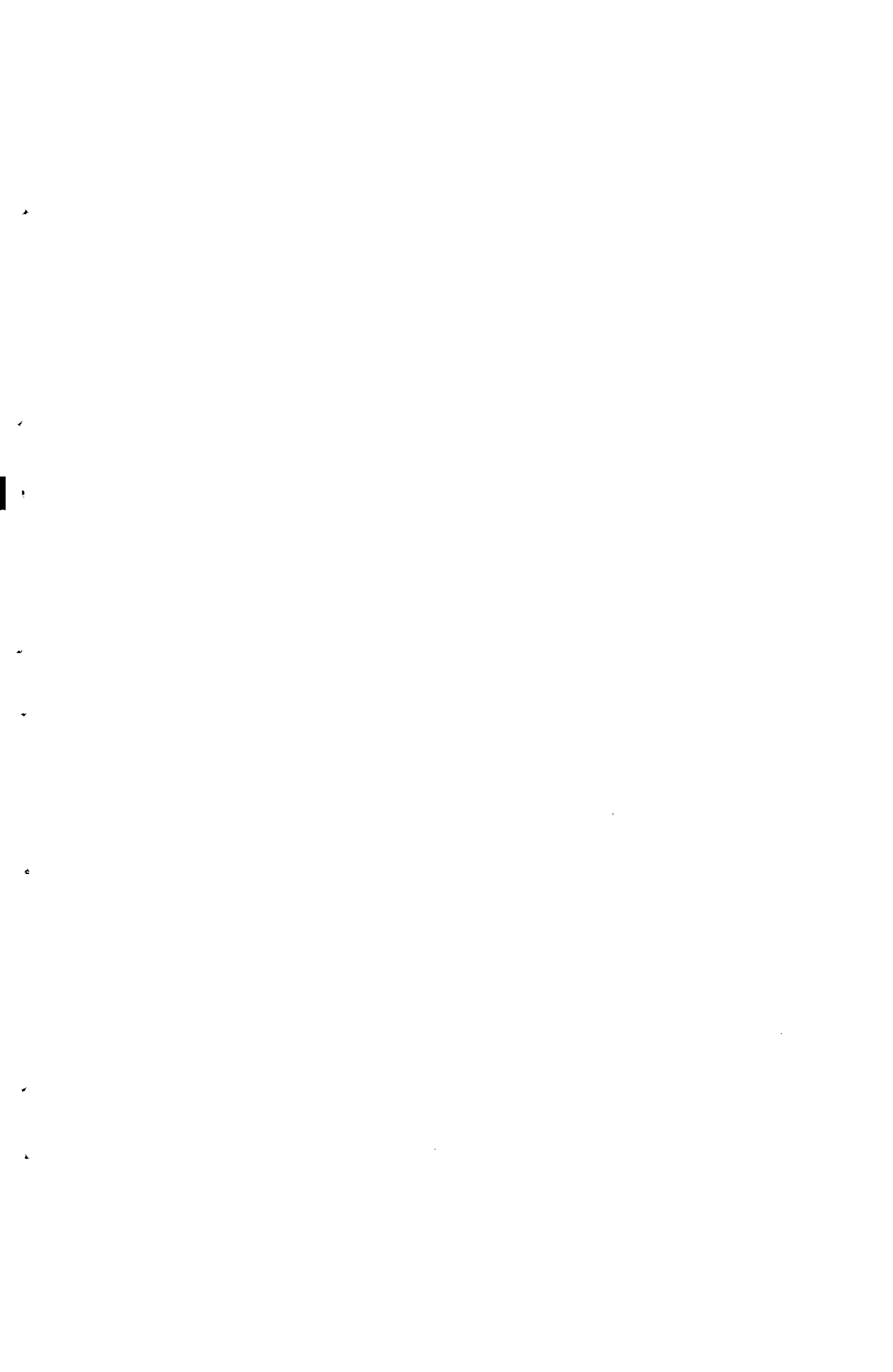
أضرارها على القلوب عظيمة، وأخطارها على الدين جسيمة، فما ابتدع قوم في دين الله بدعة إلا أضاعوا من السنة مثلها أو أشد، كما ذكر ذلك بعض أهل العلم من السلف .

لكن الإنسان إذا شعر أنه تابع لا مشرّع حصل له بذلك كمال الخشية والخضوع والذل والعبادة لرب العالمين، وكمال الاتباع لإمام المتقين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين محمد ﷺ .

إنني أوجه نصيحة إلى كل إخواني المسلمين الذين استحسنوا شيئًا من البدع سواءً فيما يتعلق بذات الله، أو أسماء الله أو صفات الله أو فيما يتعلق برسول الله ﷺ وتعظيمه : أن يتقوا الله ويعدلوا عن ذلك، وأن يجعلوا أمرهم مبنيًّا على الاتباع لا الابتداع، على الإخلاص لا على الإشراك، على السنة لا على البدعة، على ما يحبه الرحمن لا على ما يحبه الشيطان، ولينظروا ماذا يحصل لقلوبهم من السلامة، والحياة، والطمأنينه، وراحة البال والنور العظيم .

وأسأل الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين، وقادة مصلحين، وأن ينير قلوبنا بالإيمان والعلم، وألاّ يجعل ما علمنا وبالاً علينا، وأن يسلك بنا طريق عباده المؤمنين، وأن يجعلنا من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .



# البدعة

## ضوابطها وأثرها السيء في الأمة

بقلم

الدكتور : علي بن محمد ناصر الفقيهي



# تمهيد

الحمد لله القائل : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ...** ﴾ .

والصلاة والسلام على خير خلقه وأفضل رسله، البشير النذير والسراج المنير، القائل : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتي » .

**أمـا بـعـد :**

فقد طلب مني قسم النشاط الثقافي بعمادة شؤون الطلاب بالجامعة الإسلامية، المشاركة بمحاضرة في موسمها الثقافي لعام ١٤١٢ هـ بعنوان :

( **البدعة .. ضوابطها وأثرها السيء في الأمة** ) .

وقد ألقيت هذه المحاضرة بقاعة المحاضرات الكبرى، مساء الأربعاء الموافق ٢٦ شوال ١٤١٢ هـ .

وقد اقترح بعض الإخوة المشرفين على النشاط، وغيرهم، طبع هذه المحاضرة لتعم بها الفائدة، فلبيت طلبهم، وها أنا أقدمها للشباب طلاب العلم الحريصين على التمسك بالكتاب والسنة، السالكين مسلك السلف الصالح، المتقيدين بمنهجهم في فهم النصوص الشرعية وتفسيرها .

وقد قسمت المحاضرة إلى قسمين تضمنت أمورًا مهمة، قديمة ومعاصرةً، يجد القارئ تفصيلاتها في هذه الورقات التي تقرأ في جلسة واحدة .

والله من وراء القصد .

# مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

**﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١) .**

**﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيبا ﴾ (٢) .**

**﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا ۝ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيما ﴾ (٣) .**

**أما بعد :**

فقد أمر الله عباده بالاجتماع، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، فقال

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان : ٧٠ - ٧١ .



تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾ (١) .

وللمحافظة على هذه الوحدة والاعتصام بحبل الله وعدم التفرق، فقد أمر الله ـ عز وجل ـ عباده باتباع ما أنزله على رسوله ﷺ فقال تعالى : ﴿ **المص ۞ كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرجٌ منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ۞ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون** ﴾ (٢) .

كما نهى عن اتباع ما وُجد عليه الآباء، ومثلهم الشيوخ وأهل البدع والأهواء في الأمور المخالفة لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقال : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفَينا عليه آباءَنا أو لَو كانَ آباؤُهم لايعقلون شيئًا ولا يهتدون** ﴾ (٣)، وقوله : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه ءاباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير** ﴾ (٤) .

وكما جاء في كتاب الله العزيز الأمر باتباع ما أنزله الله في كتابه، والنهي عن اتباع ما وجد عليه الآباء ودعاة الهوى والشيطان كما في الآية السابقة : ﴿ **أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السّعير** ﴾، فقد جاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة عن رسول الله ﷺ تحثُ الأمة على التمسك بالكتاب والسنة، وأن فيهما النجاة والعصمة، كما قال ـ عليه الصلاة

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٠٣ .
(٢) سورة الأعراف، الآيات : ١ ـ ٣ .
(٣) سورة البقرة، الاية : ١٧٠ .
(٤) سورة لقمان، الآية : ٢١ .

والسلام ـ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي » [(١)]، فقد ضمن ﷺ للمتمسك بكتاب الله وسنته الهداية والنجاة، وعدم الضلال المؤدي للهلاك في الدنيا والشقاء في الآخرة، وفي مقابل ذلك نهى عن الابتداع في دين الله، وحذر من البدعة، وبيّن لأمته أن كل بدعة في دين الله ضلالة، فقال ﷺ كما في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أبو داود[(٢)] والترمذي [(٣)]ـ وقال : حديث حسن صحيح ـ قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا : يا رسول كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال : «أوصيكم بتقوى الله، والسّمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » .

فهذا الحديث يبين لنا جانبًا عظيمًا من جوانب الحفاظ على كيان الأمة، والحرص على سلامتها من التفرق المؤدي للفتنة، وذلك بحثها على لزوم الجماعةوالتمسك بالسنة، والابتعاد عن كل المحدثات في الاعتقاد، والأفعال، والأقوال، والمناهج، التي تجر الأمة إلى الشقاق والنزاع المؤدي إلى الاختلاف والفرقة؛ لأن رسول الهدى ﷺ لم يفارق هذه الدنيا حتى بلغ أمته ما أوحاهُ الله إليه من شرائع دينه، فبين للأمة كل ما فيه صلاح دينها

---

(١) الموطأ، القدر ص ٥٦٠ ح٣ .

(٢) أبو داود في السنة / باب في لزوم السنة ح ٤٤٤٣ .

(٣) الترمذي في العلم/ باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ٤٣٨/٧ ح٢٨١٥ .

ابن ماجه/ المقدمة / باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين رقم ٤٢ .

أحمد / في المسند ١٢٦/٤ ، ١٢٧ .



ودنياها، تركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك ولأن الله ـ عز وجل ـ أكمل لنبيه الدين، وأتم عليه النعمة، ورضي للبشرية كلها الإسلام دينًا، فقال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ [1]، وقال : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ [2] .

فالدين كمل بنص هذه الآية الكريمة، والرسول ﷺ بلغ البلاغ المبين . كما قالت عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ لمسروق ـ كما في صحيح مسلم ـ، قالت : ( ومن زعم أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا من مما أنزله الله عليه فقد أعظم على الله الفرية) [3]، والله يقول : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ [4] .

فكون الدين كمل، والرسول ﷺ بلغ، كما سبق الحديث بذلك، وكما جاءفي حجة الوداع، حين قال الرسول ﷺ للناس وهو يبلغهم شرائع الإسلام وأحكامه، ويبين لهم الحلال والحرام، وحرمة الدماء والأعراض، وكل ما أمر الله به ونهى عنه، ويقول لهم : « ألا هل بلغت، فيقولون : نعم . فيرفع يده إلى السماء وينكتها عليهم ويقول : اللهم اشهد، اللهم اشهد »، فإذا جاءنا بعد ذلك شخص من الناس، فأحدث لنا شيئًا في دين الله لم يكن موجودًا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ . ولا في سنة الخلفاء الراشدين، سواء كان هذا الأمر المحدث اعتقادًا، أوعملاً، أوقولاً، أو منهجًا، يخالف منهج الرسول ﷺ وسيرته، فكأنه يقول : إن الدين ناقص لم يكمل، وهذا

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٣ .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ٨٥ .

(٣) البخاري، التوحيد، فتح الباري ١٣/٥٠٣ ح ٧٥٣١ .
ومسلم، الإيمان ١٠/١٥٩ ح ٢٨٧ .

(٤) سورة المائدة، الآية : ٦٧ .

يرده قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾، أو أنه كامل ـ ولكن بقي شيءٌ لم يبلغه الرسول ﷺ، وهذا يرده حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ الذي سبق ذكره، وكذلك إبلاغه ﷺ للأمة جميعًا في حجة الوداع، وقال : فليبلغ الشاهد الغائب فربّ مبلغٍ أوعى من سامع، فهذا محصول حال المبتدع، أومقاله، فكأنه يقول : إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي شيء يجب أو يستحب استدراكه؛ لأنه لو كان معتقدًا لكمال الشريعة وتمامها من كل وجه لم يبتدع، ولا استدرك عليها، وقائل هذا معتقده ضال عن الصراط المستقيم .

قال ابن الماجشون : ( سمعت مالكًا يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾، فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا[(١)] .

ويقول الإمام الشاطبي في كتابه القيم ( الاعتصام ) :

( ١ ـ إن المبتدع معاند للشرع ومشاق له؛ لأن الشارع، قد عيّن لمطَالب العبد طُرقًا خاصة، على وجوه خاصة، وقصرَ الخلق عليها، بالأمر والنهي، والوعد، والوعيد، وأخبر أن الخير فيها، والشر في تعديها؛ لأن الله يعلم ونحن لا نعلم وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين . فالمبتدع رادٌّ لهذا كله، فإنه يزعم أن ثَمَّ طرقًا أُخَر، ليس ماحصره الشارع بمحصور، ولا ماعينه بمتعين، كأنّ الشارع يعلم، ونحن ـ أيضًا ـ نعلم، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع، أنه علم مالم يعلمه الشارع، قال : وهذا العمل من المبتدع، إن كان مقصودًا، فهو كفر، وإن كان غير مقصود فهو ضلال .

---

(١) الاعتصام، للشاطبي ١/٤٩ .



٢ ـ ثم إن المبتدع ـ بعمله هذا ـ قد نزّل نفسه منزلة المضاهي للشارع؛ لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجري عل سننها، وصار هو المنفرد بذلك؛ لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون، فالشرع ليس من مدركات العقول، حتى يضع كل إنسان تشريعًا من عند نفسه، ولو كان الأمر كذلك لما احتيج إلى بعثة الرسل إلى البشريه، فكأن هذا المبتدع في دين الله قد صيّر نفسه نظيرًا ومضاهيًا للشارع، حيث عمل تشريعًا مثله، وفتح باب الاختلاف والفرقة .

٣ ـ ثم إن هذا العمل من المبتدع ـ أيضًا ـ، اتباع للهوى، والشهوات والله يقول : ﴿ **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** ﴾، فمن لم يتبع هدى الله في هوى نفسه، فلا أحد أضلُّ منه ) .

إن هذا المبتدع في دين الله ـ عز وجل ـ، الذي جعل نفسه مضاهيًا للشارع، قد جاء ذمُّهُ في كتاب الله ـ عز وجل ـ لأنه من زاغ أزاغ الله قلبه، إذ الجزاء من جنس العمل فالله يقول : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم** ﴾، وذلك باتباعهم المتشابه من القرآن، وترك محكمه، وابتغائهم تأويله، أي تحريفه، قال تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾ [١]، فقد صح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب** ﴾ إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم » وفي رواية قال : « فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عَنَى الله فاحذروهم »، وقال تعالى : ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء** ﴾، قال ابن

(١) سورة آل عمران، الآية : ٧ .

كثير : ( أي : فرقًا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات، فإن الله قد برأ رسول الله ﷺ مما هم فيه ) [(١)] .

وقوله تعالى : ﴿ **وأنّ هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾، فصراط الله المستقيم، هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السنة التي سنها رسول الله ﷺ وهو الإسلام، وهو القرآن، أما السُبل المتفرقة فهي سُبُل أهل الاختلاف، الحائدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل الأهواء والبدع في الدين، وليسوا هم أهل المعاصي من حيث هي معاصي، فإن صاحب المعصية لم يضعها طريقًا تسلك دائمًا على مضاهات التشريع كما يفعل المبتدع في الدين . وقد دل على أن المقصود به المبتدع في الدين حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ الذي أخرجه الإمام أحمد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه، قال : خط رسول الله ﷺ خطًّا بيده، ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيمًا »، ثم خطَّ خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال : « وهذه السُّبل ليس منه سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه »، ثم قرأ هذه الآية ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾، قال بكر بن العلاء : ( أحسبه أراد شيطانًا من الإنس وهي البدع )، وقال مجاهد : ( ﴿ **ولا تتبعوا السُّبل** ﴾ قال : البدع والشبهات ) .

وكما جاء ذمّ المبتدع وبيان زيغ قلبه في كتاب الله ـ عز وجل ـ، فكذلك ورد ذمّه في أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ جاء فيها ذم المبتدعة وبيان ضلالهم وآثامهم، ورد أعمالهم، ففي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا

---

(١) ابن كثير، التفسير ٣/٣٧٢ .



هذا ماليس منه فهو رَدٌّ »، وفي رواية مسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ »، أي : مردود عليه [١] .

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » [٢] .

ومثله حديث حذيفة الذى سنذكره فيما بعد .

---

(١) البخاري، البيوع، فتح الباري ٤/٣٥٥ باب ٦٠ .
البخاري، الصلح، فتح الباري ٥/٣٠١ ح ٢٦٩٧ .
البخاري، الاعتصام، باب ٢٠ فتح الباري ١٣/٣١٧ .
مسلم الأقضية، ٣/١٣٤٣ ح ١٧ ، ١٨ .

(٢) مسلم، العلم، ٤/٢٠٦٠ ح ١٦ .
البخاري، الاعتصام، فتح الباري ١٣/٣٠٢ .



# البدعة .. ضابطها وفيمَ تكون ؟

وبعد أن عرفنا النهى عن البدع، والتحذير منها .

فما البدعة ؟ وما ضابطها، أو حدها الذى تعرف به ؟ وفيمَ تكون ؟ .

**١ـ تعريف البدعة :**

البدعة لغة : الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى : ﴿ **بديع السموات والأرض** ﴾، أى : مخترعهما من غير مثال سابق، ويقال : ابتدع فلان بدعة، يعني : ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق، وهذا أمر بديع، يقال، في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن .

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع، وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة .

فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة .

**فالبدعة في الشرع** : طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.

وهذا التعريف يشمل كل ما أحدث في الدين مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه .

فأمَّا ما له أصل في الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعًا، وإن سمي بدعة لغة، وهذا معنى ما ورد من كلام بعض السلف من قولهم في بعض البدع : نعمت البدعة، مثل قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك، فقال : ( نعمت البدعة هذه )، لأن لصلاة التراويح جماعة في



رمضان أصل، فقد صلى رسول الله ﷺ بالناس في رمضان ليلتين أو ثلاثا، ثم امتنع خشية أن تفرض على الأمة فيعجزون عن القيام بها، كما أن عمل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - والخلفاء الراشدين جميعًا، لا يصح لأحد أن يستدل به على إحداث البدع واستحسانها، مثل : صلاة التراويح جماعة في رمضان، ومثل : جمع المصحف الذى كان مكتوبًا في عهد النبى ﷺ، إلا أنه كان مفرقًا و لم يكن مجموعًا في مصحف واحد، فجمع في عهد أبي بكر حين استحر القتل في القرّاء في موقعة اليمامة مع مسيلمة الكذاب، وكذلك جمع تلك الصحائف التي كانت مجموعة في عهد أبي بكر وبقيت في عهد عمر بن الخطاب، فجمعها عثمان في مصحف واحد؛ لأن عمل الخلفاء الراشدين سنة بنص الحديث الذي رواه أبوداود والترمذى من حديث العرباض بن سارية وفيه قول رسول الله ﷺ لأصحابه : « فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي »، فهذا صريح في أن عملهم سنة وليس ببدعة .



# تقسيم البدعة إلى بدعة حقيقية، وبدعة إضافية

**القسم الأول : وهو : البدعة الحقيقية، والبدعة الإضافية .**

**أ ـ البدعة الحقيقة :**

هى التي لا يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة ولا إجماع، ومن أمثلتها : تحريم الحلال، وتحليل الحرام، استناداً إلى شبهة وبدون عذر شرعي، أو قصد صحيح، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : ( كنا نغزوا مع النبي ﷺ، وليس معنا نساء، فقلنا : ألا نختصي، فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك، أن نتزوج المرأة بالثوب، ثم قرأ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم** ﴾ )[١] .

وروى البخاري عن قيس بن أبي حازم قال : دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب، فرآها لاتتكلم، فقال : ما لها لا تتكلم ، قالوا : حجت مصمتة، فقال لها : تكلمي فإن هذا لا يحل هذا عمل الجاهلية، فتكلمت فقالت : من أنت ؟، قال : امرؤ من المهاجرين [٢] .

**ومن أمثلتها أيضًا** : اختراع عبادة ما أنزل الله بها من سلطان، كصلاة الظهر مثلًا بركوعين في كل ركعة، أو الصلاة بغير طهارة، أو إنكار الاحتجاج بالسنة، أو تقديم العقل على النقل وجعله أصلاً والشرع تابع، ومثل القول بارتفاع التكاليف عند الوصول إلى مرحلة معينة من التجرد، مع بقاء العقل وشرط التكليف، فلا تجب عند ذلك طاعات، ولا تحرم

---

(١) البخاري، التفسير، فتح الباري ٢٧٦/٨ ح ٤٦١٥، طرفاه في ٥٠٧١ ، ٥٠٧٥ .

(٢) البخاري، مناقب الأنصار، فتح الباري ١٤٧/٧ ح ٣٨٣٤ .



محرمات، وإنما الأمر على حسب الهوى والرغبات، وإشباع الشهوات، كما يزعمه بعض زعماء الطرق الصوفية .

هذه نماذج من البدع الحقيقية التي يخترعها أصحابها من عند أنفسهم .

**ب ـ البدعة الإضافية :**

وأما البدعة الإضافية، فلها جانبان :

**جانب مشروع** : ولكن المبتدع يُدْخِل على هذا الجانب المشروع أمراً من عند نفسه فيخرجها عن أصل مشروعيتها بعمله هذا، وأكثر البدع المنتشرة عند الناس من هذا النوع .

**ومن أمثلتها** : الصوم، الذّكر، الطهارة، إسباغ الوضوء على المكاره، الصلاة، هذه عبادات مشروعة أمر بها الشارع وحث عليها، فلو جاء شخص فقال : أنا أصوم قائمًا لا أجلس، وفي الشمس لا استظل، أو قال : أنا أصوم الدهر فلا أفطر، أو في الذكر فقال : نحن نلتزم في الذكر بكيفيات وهيئات معينة، فنذكر الله بهيئة اجتماع على صوت واحد، أو التزم بعبادات معينة في أوقات معينة، من غير أن يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيامه، وفي الطهارة كأن يكون عند شخص ماء ساخن، وماء بارد شديد البرودة، في أيام شديدة البرد، فيترك الماء الساخن، ويأخذ بالطريق الأصعب فيأخذ الماء الشديد البرودة، وهذا تشديد على النفس، فلم يعطها حقها، ولا حجة له في الحديث الذي ورد فيه رفع الدرجات بإسباغ الوضوء على المكاره، فإن هذا لمن لم يجد وسيلة لتسخين الماء، فيجاهد نفسه ويتوضأ بالماء البارد .

فهذه العبادات : الصوم، والذكر، والصلاة، والطهارة، كلها عبادات مشروعة، أمر بها الشارع، ورغب فيها، وحث عليها، وبين جزيل ثوابها، ولكن هذه الكيفيات والهيئات التي أدخلت عليها، عمل لا دليل عليه من الشارع، والبدعة في الدين كيفما كانت صفتها فهي استدراك على الشرع

وافتيات عليه، والله - يقول - ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ [1] .

فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وقد رأى قومًا اجتمعوا على الذكر فقال لهم : لقد جئتم ببدعة ظلمًا، أو لقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علمًا، أو إنكم لتمسكون بذنب ضلالة .

**ومنها** : بدعة المولد، فإن محبة النبي ﷺ واجبة على كل مسلم، ولا يتم إيمان المسلم حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، كما في صحيح البخاري، ولكن محبته هي طاعته ومتابعته، أي : امتثال أمره، واجتناب نهيه، وقد نهى عن البدع وحذر منها، وقال : « كل محدثة بدعة »، وقال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » حديث متفق عليه، ولم يثبت عنه ولا عن خلفائه، ولا عن الصحابة، ولا علماء السنة المتبوعين من عمل مولدًا، وإنما هذا المولد أحدثه الفاطميون العبيديون الرافضة الذين يرجع نسبهم إلى المدّعي النسب الفاطمي وهو يهودي من سلمية .

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٣ .

# النهي عن مجالسة أهل البدع

وقد جاء عن عدد من علماء التابعين، النهي عن مجالسة أهل البدع والأهواء، وذلك خوفًا من أن يؤثر صاحب البدعة في جليسه؛ لأن الرسول ﷺ قد حث إلى اختيار الجليس الصالح، وحذر من جليس السوء، ومثّلهما بحامل المسك أو بائع المسك، ونافخ الكير، فالجليس الصالح كبائع المسك، إما أن تشتري منه، أو يعطيك، أو تشم منه رائحة طيبة، وأما جليس السوء، فكنافخ الكير، إما أن يحرق ثوبك وإما أن تشم منه رائحة كريهة [1]، وهكذا صاحب البدعة، إما أن يقذف في قلبك بدعته بتحسينه إياها، وإما أن يمرض قلبك ويؤلمه، لما تشاهد من أعماله، وتسمع من أقواله من الأمور المخالفة للشرع . ولهذا قال الحسن : ( لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك )، وعنه : ( لا تجالس صاحب بدعة فيُمرض قلبك )، وعن أبي قلابة قال : ( لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون )، قال أيوب عن أبي قلابه : ( وكان والله من الفقهاء ذوي الألباب )، وعنه قال : ( إن أهل الأهواء أهل ضلالة، ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار )، وعنه قال : ( ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف ) [2]، وعن أيوب السختياني أنه كان يقول : ( ما ازداد صاحب بدعة اجتهادًا إلا

---

(١) البخاري، البيوع، فتح الباري ٣٢٣/٤ ح ٢١٠١ طرفه ٥٥٣٤ .
مسلم، البر، ٢٠٢٦/٤ ح١٤٦ .

(٢) الاعتصام، الشاطبي ٨٣/١ .



ازداد بُعدًا من الله )، وكان يسمي أهل البدع خوارج، ويقول : ( إن الخوارج اختلفوا في الاسم، واجتمعوا على السيف ) [1].

وعن يحيى بن كثير قال : ( إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر ) .

وبما سبق لنا من أقوال العلماء يتبين لنا أن المجالسة لأهل البدع تختلف عن دعوتهم إلى الخير وبيان الحق لهم، ومناظرتهم لإبطال شبههم؛ لأن هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أصل من أصول الدعوة إلى الله أمر الله به في كتابه فقال : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..** ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ موجهًا أمرًا عامًّا لكل المسلمين كل بحسب طاقته : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه، وذلك أضعف الإيمان » .

فإذا جاء النهي من العلماء عن مجالسة أهل البدع، فليس معناه أن العالم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يدعو هؤلاء إلى الخير ولا يناظرهم، ولا يقرب مجالسهم لهذا الغرض، وإنما مقصود العلماء الخوف على من لا يستطيع أن يدفع شبههم عن نفسه فتؤثر في قلبه، كما سبق ذكر قول أبي قلابة .

---

(١) الاعتصام، الشاطبي ١/٨٣ .



# توبة المبتدع

وأما توبة المبتدع، فيرى بعض علماء التابعين بُعدها، وأن المبتدع لا ينتقل من بدعة إلا إلى شر منها؛ لأن الجزاء من جنس العمل، والله يقول : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ...﴾ .

فعن يحيى بن أبي عمر الشيباني قال : ( كان يقال : يأبى الله لصاحب بدعة توبة، وما انتقل صاحب بدعة إلا إلى شر منها ) .

ولهذا كان العوام بن حوشب يقول لابنه : ( يا عيسى، أصلح قلبك، وأقلل مالك )، وكان يقول : ( والله لأن أرى عيسى في مجالس أصحاب البرابط - أي : المزهر والعود - والأشربة والباطل، أحبُّ إلي من أن أراه يجالس أصحاب الخصومات )، قال ابن وضّاح : ( يعني : أهل البدع ) .

ولماذا يقول ذلك ؟، لأن البدعة يعتقدها صاحبها دينًا، فيبقى متمسكًا بها تمسكه بدينه، وإذا خرج من بدعته خرج إلى بدعة شر منها، وأما أصحاب المعاصي - كأصحاب المزهر والعود من المغنين، وأصحاب الشراب - فهم أصحاب شهوات، ويعلمون أن تلك الأعمال معاصي دفعتهم إلى ارتكابها شهواتهم ونفوسهم الأمارة بالسوء، فقد يتركونها يومًا من الأيام لاعتقادهم حرمتها، فصاحب المعصية تُرجى له التوبة والإقلاع عنها أكثر من صاحب البدعة التي يعتقدها دينًا .

ويظهر أن المقصود به صاحب البدعة الذي أُشربَ قلبه البدعة حتى بلغت من قلبه مبلغًا عظيمًا، بحيث أصبح يطرح ما سواها في جنبها، حتى أصبح ذا بصيرة فيها وحب لها فلا يَنثني عنها، فهي عنده في غاية المحبة، ومن أحب شيئًا من هذا النوع من المحبة؛ والى وعادى بسببه، ولم يبال بما لقي في طريقه، كأصحاب البدع القدامى والمعاصرين، فالقدامى كالخوارج الذين لم

يرجعوا عن بدعتهم وأهوائهم، من التكفير لأصحاب الكبائر، فمن ارتكب كبيرة، حكموا بكفره في الدنيا والآخرة، مخالفين نصوص الكتاب والسنة كقوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾، وقوله ﷺ في حديث أبي ذر الذي أخرجه البخاري : « أن من مات على التوحيد دخل الجنة وإن زنى وإن سرق » كررها ثلاثًا .

وقد قال أهل السنة والجماعة بما تضمنته هذه النصوص من أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنبه، ومآله إلى الجنة .

وغيرهم من دعاة البدع الحاملين للوائها كبشر ومن تبعه في السابق يخالفونهم .

وكأصحاب البدع المعاصرين، ممن ولد وعاش في هذه البلاد، ودرس مناهجها في جميع مراحل الدراسة، ثم تجده بعد ذلك يتمسك بما عاش عليه الأباء والأجداد من البدع والخرافات المخالفة للكتاب ولسنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين المهديين .

ومن بدعهم المشهورة المعاصرة إقامة الموالد؛ التي يستجلبون بها قلوب الناس أصحاب العواطف الطيبة التي يجب على الداعية أن يوجه تلك القلوب إلى العمل بالسنة ومتابعة رسول الله ﷺ، وطاعته في أمره ونهيه، وكذلك متابعة خلفائه الراشدين؛ لأن عملهم سنة، ولكنهم عدلوا عن ذلك بدعواهم محبة رسول الله ﷺ والتعبير عن تلك المحبة بإقامة المولد .

ومعلوم أن محبته ﷺ فرض على كل مسلم، وأنه لايتم إيمان المسلم حتى يكون رسول الله ﷺ، أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين،



كما في صحيح البخاري [١] .

ولكن ما هي محبة رسول ﷺ ؟ .

إنها بتعبير شامل طاعته فيما أمر، واجتناب مانهى عنه وزجر .

فهل المولد الذي يقيمه هؤلاء الناس طاعة لرسول الله ﷺ أو مخالفة لنهيه وزجره ؟ .

إن إقامة المولد مشاقة لرسول الله ﷺ ومخالفة صريحة لنهيه، فهو يقول في الحديث المتفق عليه : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »، ويقول في الحديث الصحيح : « كل محدثة بدعة »، فهذا المولد محدث، لم يعمله رسول الله ﷺ، ولا خلفاؤه الراشدون الأربعة، ولا أحد من أصحابه، وهم أعلم بسنته، وأحرص منا على تعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره، وإنما أحدث هذا المولد وغيره من الموالد لغير النبي ﷺ الفاطميون الرافضة، يقول الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني ـ رحمه الله ـ في رسالة "المورد في عمل المولد" : ( أما بعد : فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول ويسمونه المولد، هل له أصل في الدين ؟، وقصدوا الجواب عن ذلك مبينًا والإيضاح عنه معينا .

فقلت ـ وبالله التوفيق ـ : لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعةأحدثها البطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون ) اهـ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : ( وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى ـ عليه السلام ـ، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا ... من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدًا مع اختلاف الناس في

(١) البخاري، الإيمان، فتح الباري ١/٥٨ ح١٤ .

مولده، . فإن هذا لم يفعله السلف ...، ولو كان هذا خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف - رضي الله عنهم - أحقّ به منا، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له منا وهم على الخير أحرص، وإنما محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته، واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ) [(١)] اهـ .

وأما من لم يشرب البدعة قلبُه، وإنما استحسنها، وظن أنها تقربه إلى الله - عز وجل - ثم ظهر له الدليل على خلافها، وتعقل ذلك، فالغالب رجوعه وتوبته، ويمثل العلماء لمثل ذلك بمن رجع من الخوارج بعد مناظرة ابن عباس لهم، وبرجوع المهتدي والواثق عن بدعتة القول بخلق القرآن .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦١٥، تحقيق الدكتور ناصر العقل .



# حكم المبتدع

**المبتدع** : هو الذي يحدث البدعة، ويدعو إليها، ويوالي ويعادي عليها .

**والبدعة** : قد تكون مكفّرة، وغير مكفّرة .

وإن الحكم على من ثبت إسلامه بالفسق، أو التبديع، أو التكفير، من الأمور التي حذر الشارع منها، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ قوله : « من قال لأخيه : ياكافر، إن لم يكن كذلك، وإلا رجعت عليه » [١].

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ( ليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة ) [٢] .

أما من كان خارجًا عن الهدى ودين الحق، فتراه يرتكب الأمور المخالفة للشرع، فله حكم آخر بحسب ما يرتكبه من مخالفات، فإما الكفر الصريح أو النفاق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في حق مثل هؤلاء : ( إن من كان خارجًا عن الهدى ودين الحق من المتنسكة، والمتفقهة، والمتعبدة، والمتزهدة، والمتكلمة، والأطباء، وغيرهم، فمن خرج من هؤلاء عن الحق الذي بعث به رسوله ﷺ، لا يقر بجميع ما أخبر الله به على لسان رسوله، ولا يحرم ما حرم الله ورسوله ...، مثل : من يعتقد أن شيخه يرزقه، أو ينصره، أويهديه، أو يغيثه، أو يعينه، أو كان يعبد شيخه، أو كان يفضله

(١) مسلم، الإيمان، ١/٧٩ح ١١١ .

(٢) الفتاوى، ١٢/٤٦٦ .

على النبي ﷺ تفضيلاً مطلقًا، أو مقيدًا في شيء من الفضل الذي يقرب إلى الله، أو أنه مستغن هو وشيخه عن متابعة الرسول ﷺ، قال: فكل هؤلاء كفار إن أظهروا ذلك، ومنافقون إن لم يظهروه).

ثم ذكر أن كثرة هؤلاء الأجناس في زمانه سببه قلة دعاة العلم والإيمان.

ثم انتقل إلى ذكر القسم الثاني من المبتدعة، والذين هم في حاجة إلى التثبت في إصدار الحكم عليهم، لأن الكفر قد يكون عمليًّا، أو اعتقاديًّا، ولكل منهما حكمه في الشرع، فقال: (وأصل ذلك: أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع، يقال: هي كفر، قولاً يطلق، كما دل على ذلك الدلائل الشرعية، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ﷺ، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم)، ثم قال: (ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه)، ثم مثل لذلك فقال: (مثل من قال: إن الخمر والربا حلال لقرب عهده بالإسلام، أو لنشوئه في بادية بعيدة[(١)]).

وقد بسط القول في قضية الحكم على المبتدع، وبيّن أنه لا بد من إقامة الحجة عليه، وإزالة الشبهة عنه، ثم ذكر بدعة القول بخلق القرآن، وذكر ما جرى للإمام أحمد بن حنبل مع المأمون والمعتصم، وأنه عذرهما لوجود الشبهة عندهما وأن الإمام أحمد دعا لهما، ولو كان يعتقد كفرهما لما دعا لهما ...[(٢)].

ويقول الشيخ حافظ الحكمي في كتابه معارج القبول: (٢/٥٠٣ ـ ٥٠٤): (ثم البدع بحسب إخلالها بالدين قسمان: مكفرة لمنتحلها، وغير

---

(١) الفتاوى، ٣/٣٥٤.
الفتاوى، ١٠/٣٢٩.
(٢) الفتاوى، ١٢/٤٦٦ وما بعدها ويحسن بطالب العلم مراجعتها.

مكفرة .

**فضابط البدعة المكفرة** : من أنكر أمرًا مجمعًا عليه، متواترًا من الشرع، معلومًا من الدين بالضرورة، من جحود مفروض، أو فرض ما لم يفرض، أو إحلال محرم، أو تحريم حلال، أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله ﷺ وكتابه عنه ...

**والبدعة غير المكفرة** : هي ما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب، ولا بشيء من مما أرسل به رسله . )

ثم مثل لذلك فقال : ( مثل بدع المروانية ـ أي : بدع حكام الدولة من بني مروان التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة، و لم يقروهم عليها، ومع ذلك لم يكفروهم بشيء منها، و لم ينزعوا يدًا من بيعتهم لأجلها، كتأخير بعض الصلوات عن وقتها، وتقديمهم الخطبة قبل صلاة العيد ... ) .

# حكم المخطئ

سبق تعريف المبتدع، وأنه : الذى يحدث البدعة، ويدعو إليها ويوالي ويعادي عليها، وأن البدعة تنقسم إلى : بدعة مكفرة، وبدعة غير مكفرة، وذكرنا أقوال العلماء في حكم مرتكبها .

أما المخطىء في بعض المسائل، المعروف بمنهجه وسلوكه الحميد وعلمه الشرعي، فإن خطأه لا يحط من شأنه، ولا ينقص من قدره، فإن كان حيًّا يرزق، فيجب تنبيهه على خطئه بالأسلوب الحكيم، المتعارف عليه بين العلماء، المبني على التعاون على البر والتقوى؛ لأن الدين النصيحة، فتقدم النصيحة لطالب العلم بحسب مقامه بأدب واحترام، وبيان للحق بدليله، من غير عنف ولا تعال، بل بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى تؤدي النصيحة غرضها، فتبقى الكلمة واحدة، والمحبة والأخوة في الله باقية، فإنما المؤمنون إخوة .

وإن كان المخطىء قد أفضى إلى ربه، فيدعى له؛ لأن العصمة للأنبياء وحدهم ويبين للناس خطأهم، حتى لا يتبعونهم في ذلك الخطأ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في وصفه لأئمة الهدى وما يصدر منهم من أخطاء، يقول : ( ومن له في الأمة لسان صدق عام، بحيث يثنى عليه، ويحمد في جماهير أجناس [1] الأمة، فهؤلاء هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وغلطهم قليل

(١) وهذا يعني : أن من هذا وصفه، فهو متجرد لقول الحق فلا يختلف عليه أحد من الناس، وإن قال بخلاف ما يهواه، إذ لا يقتصر الثناء على هذا العالم من الذين يأتي قوله موافقًا لما يريدون ويرغبون، وإنما يأتي من جميع الناس على اختلاف مشاربهم .
وقد دل على هذا المعنى الحديث الذي أخرجه البخاري وهو : « أن الله إذا أحب عبدًا قال

بالنسبة إلى صوابهم، وعامته من موارد الاجتهاد التي يعذرون فيها، وهم الذين يتبعون العلم والعدل، فهم بعداء عن الجهل، وعن اتباع الظن وما تهوى الأنفس ) [١] .

---

جبريل : إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض »، قال : وفي البغض مثل ذلك .
قلت : وأرجو أن ينطبق هذا المعنى في عصرنا الحاضر على سماحة الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وفقه الله لكل خير، آمين .

(١) الفتاوى ٤٣/١١ .

# أقسام البدعة

**القسم الثاني وهو : تقسيم البدعة إلى :**

**١ ـ عملية ٢ ـ اعتقادية ٣ ـ قولية .**

**فالبدعة في العمل** : تكون في العمل الظاهر، كصلاة تخالف ما ورد عن النبي ﷺ، ونحو ذلك من الأعمال التي سبق ذكرها، فكلها داخلة تحت قوله ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ » .

**والبدعة في الاعتقاد** : إذا كان اعتقادًا للشيء على خلاف ما جاء به النبي ﷺ كبدعة الخوارج في اعتقادهم تكفير العصاة من المسلمين، بل بأهوائهم اعتقدوا كفر عدد من الصحابة، وكالمجسمة والمشبهة الذين شبهوا الله بخلقه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

**والبدعة القولية** : إذا كانت تغييراً لما جاء في كتاب الله ـ عز وجل ـ، ولما ثبت عن رسول الله ﷺ ، كأقوال المبتدعة من الفرق المشهورة، مما هو ظاهر المخالفة للكتاب والسنة، وظاهر الفساد والقبح، كأقوال الرافضة، والخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، وجميع الفرق المؤوِّلة، التي وضعت لنفسها مناهج مخالفة لمنهج الطائفة الناجية المنصورة، الظاهرة على الحق إلى قيام الساعة، كما وصفها رسول الله ﷺ ، كما جاء في حديث أبي هريرة الذي أخرجه أبوداود والترمذي وابن ماجة، أن رسول الله ﷺ قال : « إن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاواحدة »، فلما سئل عنها قال : « هي من كان على ما أنا عليه وأصحابي »[١]، وفي

(١) الترمذي، الإيمان، تحفة الأحوذي ٢٧٧٩/٧، قال حديث حسن، د/السنة، ٣/٥ ح ٤٥٩٦ .



رواية البخاري، من حديث المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون »[(١)]، وفي رواية من حديث معاوية قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم ويعطى ا لله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله »[(٢)]اهـ، وكذلك ما جاء في حدبث حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه ، الذي جاء فيه قوله ﷺ لحذيفة عند افتراق الأمة إلى تلك الفرق : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم »، والذى سنورد نصه فيما بعد، ولهذا فسيكون حديثنا عن افتراق الأمة إلى تلك الفرق التي أشار إليها رسول الله ﷺ ، والتي افترقت في الأهواء، بحيث ابتدعت كل فرقة في دين الله ما لم يأذن به الله ورسوله ﷺ، من الاعتقادات الفاسدة، والأقوال الباطلة، ووضعت لها مناهج بعقولها، تخالف المنهج الذى سلكه رسول الله ﷺ وأصحابه الذين ساروا على منهجه، ثم دعت الناس من خلال تلك المناهج إلى العقائد الفاسدة، وجعلتها هي معقد الولاء والبراء، فمن وافقهم على تلك المناهج واعتقد تلك العقائد قبلوه وتولّوه وأكرموه، ومن خالفهم بدَّعوه وفسّقوه وتبرءوا منه، وإذا كانت السلطة لهم والحكام في طاعتهم أغروهم به، فحبسوه وضربوه وربما قتلوه .

وبيان سبب كثرة هذه الفرق وتشعّب أفكارها .

وسأذكر لك أيها القارىء فيما يلي نماذج من مناهج هذه الفرق، كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، ثم أعقد بعد ذلك مقارنة بسيطة بين تلك المناهج ومعاملة أصحابها لأهل السنة والجماعة الفرقة الناجية السائرة على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه كما في الحديث

---

(١) البخاري، الاعتصام، فتح الباري ٢٩٣/١٣ ح ٧٣١١ .

(٢) البخاري، الاعتصام، فتح الباري ٢٩٣/١٣ ح٧٣١٢ .



السابق، وبين مناهج الجماعات والأحزاب المعاصرة، ومعاملتهم فيما بينهم، ولمن يخالفهم في مناهجهم، ليتضح من خلال المقارنة : هل يوجد فرق بين هذه الجماعات المعاصرة، والفرق السابقة في حقيقة الأمر، أو أن الفرق إنما هو في الأسماء فقط، وذلك من غير ذكر لأسماء الأشخاص؛ لأن الغرض إنما هو التنبيه على الأخطاء لتجتنب، كما في هديه ﷺ حينما ينبه على خطأ حدث من أشخاص، حيث يقول : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، من غير ذكر لأسمائهم، ثم أذكر بعد ذلك منهج الطائفة أو الفرقة الناجة، كما وصفها رسول الله ﷺ .

ثم أبين ما علق بأذهان كثير من الشباب من إيحاء من بعض الدعاة من أن هذه الطائفة والمنتسبين إليها هم حزب من الأحزاب كغيرهم .

وهل لهذه الطائفة التي وصفها رسول الله ﷺ بالفرقة الناجية وجود في الوقت الحاضر، وهل هو محصورة في بلد معين ؟، وهل لها إمام يقودها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؟، أو أننا الآن في الزمن الذى أشار إليه حديث حذيفة بن اليمان الذى سيأتي نصه، فنضطر إلى أن يَعَضَّ كل واحد منا على أصل شجرة حتى يأتيه الموت وهو على ذلك ؟ .

**فنقول** : إن ما حذّر منه النبي ﷺ أمّته قد حدث؛ فظهر الاختلاف كما أخبر ﷺ ، فافترقت أمته إلى فرق، يكفر بعضها بعضًا، أو يفسقه، أو يبدعه، وقد بدأ خط الانحراف من حين ظهور عبد الله بن سبأ اليهودي الحميري، الذي ادّعى الإسلام نفاقًا، ودسّ أفكاره الملحدة في هذه الأمة فقبل تلك الأفكار البعيدة عن تعاليم الإسلام رُعَاعٌ من الناس أدّت إلى قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ .

ومن أفكاره الفاسدة : دعواه الوصية لعلي بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ، ودعوى أن الصحابة خالفوا تلك الوصية، ثم حكم على جميع الصحابة



بزعمه هذا أنهم خالفوا وصية رسول ﷺ ، فكفرهم جميعًا إلا ثلاثة .

وقد بين العلماء زيفه وكذبه وإلحاده وزندقته، وأنه لم تكن هناك وصية، لا لعلي - رضي الله عنه - ولا لغيره، بكلام عليّ نفسه، لامجال لتفصيل ذلك هنا .

ولكن كثرت الفرق بعد ذلك وانتشرت أفكارها، وسبب ذلك ما ذكره المقريزي وغيره، قال الصفدي : ( طلب المأمون من بعض ملوك النصارى، قال أظنه صاحب جزيرة قبرص، طلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليها أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي، واستشارهم في ذلك، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه، إلا مطران واحد قال : جهزها إليهم، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها )[1] .

وهكذا كان الأمر، فانتشرت الأفكار الفاسدة، وكان من أول هذه الأفكار : **أفكار عبد الله بن سبأ، فنشأت الرافضة** وبنت عقائدها على ذلك الأساس العقلي المتبع للهوى، كما يقول ابن القيم في الصواعق ج ١/ ١١٨ عن الطوائف التي خالفت أهل السنة والجماعة فأصلت مذاهبها على تلك القواعد بعقولهم، قال : ( فأصّلت الرافضة عداوة الصحابة، وبناء على هذا الأصل ردُّوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم، أو تأولوه .

**ثم ظهرت فرقة الخوارج** - وهم من أتباع عبد الله بن سبأ - فهم الذين قتلوا عثمان - رضي الله عنه -، ثم خرجوا على علّي بن أبي طالب، وكفروه

(١) لوامع الأنوار ١/ ٩ .
الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٨ أشار إلى ذلك، والسيوطي تأريخ الخلفاء ٣٢٧ .
الخطط للمقريزي ٢/ ٣٥٧ . وقد ذكر أن المأمون بعث إلى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة . وذكر ذلك ابن خلدون في المقدمة ٨٩٣ .

وكفروا الصحابة جميعًا، ثم جعلوا لهم أصلاً وهو : أن مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا، والآخرة، وهم جهال لا يعرفون نصوص الشريعة، فقد وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم يقتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان . كما وصفهم رسول الله ﷺ بعدم الفقه في الدين مع الجلد في العبادة على الجهل، فقال في وصفهم : « تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وقراءتكم مع قراءتهم »، وفي رواية لمسلم : « قوم يقرءون القرآن بألسنتهم ولا يعدو تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرّميه » ، وحثّ على قتلهم فقال : « فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة »[(١)]، وقد قتل تلك الطائفة المارقة علي بن أبي طالب وأصحابه، لأنهم بَدلَ أن يكونوا تلاميذًا للصحابة الذين حضروا التنزيل وصحبوا رسول الله ﷺ ليتفقهوا على أيديهم، ويأخذوا تعاليم الشريعة الإسلامية وأحكامها منهم، كفروهم؛ وذلك لجهلهم، كما وصفهم رسول الله ﷺ، وهم من أتباع عبد الله بن سبأ الذين خرجوا على عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وقتلوه ظلمًا وعدوانًا .

**ثم الجهميه أتباع الجهم بن صفوان** : وقد أصّلت الجهمية أصلاً وهو : أن الله ـ عز وجل ـ لا يتكلم، ولا يكلم أحدًا، ولا يرى بالأبصار في الآخرة، ولا هو مستو فوق عرشه مباين لخلقه، ولا له صفة تقوم به وبناء على ذلك ردوا أو أوّلوا كل ما جاء في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ يخالف ذلك الأصل .

**وأصّلت المعتزله** : القول بنفوذ الوعيد، وأن من دخل النار لايخرج منها ونفوا الصفات، وقالوا بخلق القرآن .

**ومثلهم : الكلابية، والأشعرية، والمرجئة**، وكل الطوائف سكلت مسلك

---

(١) مسلم، الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج ٧٤٦/٢ ح١٥٤ .



التأويل في أسماء الله وصفاته ترد النصوص إلى العقل، فما قبلته عقولهم أمضوه وما لم تقبله عقولهم ردوه .

والعقل ليس معيارًا لأن ترد النصوص الشرعيه من الكتاب والسنة إليه، لأن العقول كثيرة، فما قبله عقل الجهمي لا يقبله عقل الرافضي والمعتزلي، وهكذا .

وجعلوا الولاء والبراء على تلك الأصول والقواعد التي أصلوها بعقولهم، فمن وافقهم عليها قبلوه وتولوه ووظفوه وأكرموه، ومن خالفهم كفروه وعادوه وحبسوه وضربوه، وربما قتلوه، و لم يقبلوا له شهادة، و لم يفكوه من يد عدو ) .

يقول ابن تيمية وهو يتحدث في بيان مسألة التكفير، فيذكر معاملة الإمام أحمد بن حنبل للمعتزلة، ومعاملتهم لمن يخالفهم في عقيدتهم الباطلة التي طبقوا الموالاة والمعاداة عليها، والتي سنوازن بينها وبين مناهج المعاصرين من الجماعات التي توجد في الساحة، لنتبين إن وجد فرق بينها، أو أن الفرق في الأسماء فقط .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ١٢/٤٨٨ : ( فإن الإمام أحمد مثلاً قد باشر الجهمية، الذين دعوه إلى خلق القرآن، ونفي الصفات، وامتحنوه وسائر علماء وقته، وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس والقتل والعزل عن الولايات، وقطع الأرزاق، ورد الشهادة، وترك تخليصهم من أيدي العدو بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية من الولاة والقضاة وغيرهم يكفرون كل من لم يكن جهميًا موافقًا لهم على نفي الصفات مثل القول بخلق القرآن، ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر، فلا يُوَلُّونَه ولاية، ولا يفتكونه من عدو، ولا يعطونه شيئًا من بيت المال، ولا يقبلون له شهادة ولا فتيا ولا رواية،

ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة، والافتكاك من الأسر وغير ذلك، فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالإيمان، ومن لم يقر به لم يحكموا له بحكم أهل الأيمان . ومن كان داعيًا لغير التجهم قتلوه أو ضربوه أو حبسوه ) .

هذه معاملة هذه الفرق لأهل السنة والجماعة للطائفة المتبعة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، كما ذكر ابن تيمية .

فالمعاداة والموالاة على تلك المناهج والعقائد الباطلة .

وحيث إن كثيرًا من الكتاب المعاصرين ومن المشتغلين بالدعوة وجمع كلمة المسلمين، الذين يظنون أن البحث والتوجيه للشباب إلى الاهتمام بالأصول التي هي الأساس لبناء المجتمع كما سلك المصطفى ﷺ في إصلاح قلوب الناس، يقولون : إن الباحثين في مسائل العقيدة ينبشون ما تحت التراب، بمعنى : أن الحديث عن الفرق ــ حسب زعمهم ــ بحثٌ في أمور انقرضت، وما يعلمون أن الذي انقرض هو الأشخاص، وأما الأفكار والمناهج والعقائد فلا زالت منتشرة، من أجل ذلك فإننا نعقد موازنة بين المناهج السابقة، والمناهج المعاصرة .



## مناهج الجماعات المعاصرة

إن الأمة الإسلامية أمة واحدة - كما قال تعالى - : ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ [(١)] .

وسبيلها وطريقها واحد - كما قال تعالى - : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ [(٢)] .

وإننا نرى في الساحة الإسلامية جماعات وأحزابًا معاصرة متعددة، كل جماعة جعلت لنفسها اسمًا، وخطت لها منهجًا تدعو عن طريقه وفي حدود معالمه إلى الإسلام .

وفي الوقت نفسه تجد هذه الجماعات والأحزاب متفرقة متخاصمة، تفرق وتخاصم تلك الجماعات والطوائف السابقة .

ثم إن هذه الجماعات والأحزاب توالي وتعادي في نطاق ذلك المنهج الذي رسمته لأتباعها، وتلزم المنتمي إليها، بعدم الخروج على منهجها فهو محجور عليه، فلا يأخذ ولا يعطي إلا في حدوده المرسومة، وتحت شعاره؛ لأنه في نظر زعمائها ومنظّريها أن الإسلام وجميع تعاليمه محصورة في هذا المنهج .

**وقد نتج عن ذلك الأفق الضيق البعيد عن منهج الطائفة الناجية المنصورة بدع كثيرة ممقوتة، نذكر بعضًا منها :**

---

(١) سورة الأنبياء، الآية : ٩٢ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٥٣ .

١ ـ **التعصب الحزبي للأفكار أو الأشخاص أو الشيوخ**، الذي جاءت تعاليم الإسلام للقضاء عليه، فليس في الإسلام تعصب لحزب أو قبيلة أو بلد، وإنما ذلك من أعمال الجاهلية، فقد جعلت هذه الجماعات أو الأحزاب الولاء والبراء هو الانتساب إليها، وعلى ذلك فإن المنتمي للحزب أو الجماعة يبجّل ويعظَّم ويرفع شأنه، فالمؤهل لذلك كله هو الانتماء لا العلم والتقوى، ونتج عن ذلك أن المخالف لهذه الجماعة ومنهجها ـ غير المنزّل ـ وإن كان على حق، فيحط من قدره، ويشاع عنه بأنه ضيّق الأفق، قاصر الثقافة، لا يعرف واقع الأمة والأخطار التي تحيط بها، حتى ينفر الشباب عنه فلا يستفيدون من علمه وتجاربه ولو كان عالمًا تجاوز عمره السبعين .

ومعلوم أن الميزان الشرعي لتقويم الأشخاص هو العلم والتقوى ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾، وليس الانتماء أو عدمه .

والميزان للأفكار والمناهج هو الكتاب والسنة ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله** ﴾ [١]، وليس الرد لرأي فلان، أو قول فلان، أو منهجه .

**ومن نتائج هذا التحزب** : التفرق، والخصام،والعداء، والخلاف المستمر والفشل المحقق على الساحة الدعوية .

أما دعوى أن الجميع يعملون للإسلام، وسيلتقون عند حصول الثمرة . فهذه الدعوة تبطلها الخلافات القائمة بين هذه الجماعات لاختلاف مناهجها وأهدافها، والانشقاقات الحاصلة بين بعضها .

وأعتقد أن هذه الأمور لا تحتاج إلى دليل لظهورها في كل مكان .

وعلى ذلك فهل يوجد فرق حقيقي بين مناهج تلك الفرق السابقة التي ذكرنا نموذجًا مما ذكره شيخ الإسلام عن المعتزلة، وبين المناهج المعاصرة غير

---

(١) سورة النساء، الآية : ٥٩ .



الأسماء، والأسماء لاتُغير الحقائق ؟ .

إن هذا مصداق قوله ﷺ في افتراق الأمة إلى تلك الفرق المتعددة في الأهواء .

فهل من تعاون على البر والتقوى، واعتصام بحبل الله جميعًا كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ۝ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾ [1] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٠٣ .



# الطائفة الناجية

إن التعاون على البر والتقوى والاعتصام بحبل الله جميعًا، وهو ما جاء في منهج الفرقة أو الطائفة الناجية، وقد سئل رسول الله ﷺ عن وصفها فقال : « هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي » .

وفي صحيح البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة ح ٧٣١١ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » .

وح ٧٤١٢ ـ من رواية معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم، ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله » .

**والسؤال** : ما الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ؟ .

وهل هذه الطائفة موجودة ؟ . وإذا كان كذلك كما قال رسول الله ﷺ فما منهجها ؟ . وأين مكانها ؟ . وهل لها إمام يقودها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما جاء في حديث حذيفة الذي سنورده فيما بعد، وقد جاء فيه : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » ؟، فهل وصل ذاك الزمان ووصلنا إلى تلك الحال حتى يعض كل واحد منا بأصل شجرة حتى الموت ؟ .

**أيها الإخوة** : سنذكر رؤوس أقلام في الإجابة على هذه التساؤلات :

منهج الفرقة الناجية هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه .

فأما ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فهو : التمسك بكل ما جاء في كتاب الله الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،



والتمسك بسنة رسوله ﷺ المبينة والمفسرة لكتاب الله - عز وجل -، فإنها الوحي الثاني كما قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ (٢).

فهم ساروا على الإيمان بالله إلهًا معبودًا لا إله غيره ولا رب سواه، فصرفوا جميع أنواع العبادة من الاعتقادات، والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إليه وحده، والإيمان بأسمائه وصفاته، كما وصف الله نفسه في كتابه، ووصفه رسوله ﷺ في سنته الصحيحة، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل، بل إثبات تلك الصفات لله على أساس قوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ (٣)، والحكم بما أنزل الله - عز وجل - في كتابه، وما شرعه رسول الله ﷺ في سنته كما قال تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ (٤)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ (٥)، وقال تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ (٦)، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على أساس هاتين الآيتين : العلم أولاً، والحكمة ثانيًا .

والدعوة على هذا المنهج تعم المسلمين جميعًا كل بقدر استطاعته وفي

---

(١) سورة النحل، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة النجم، الآيتان : ٣ - ٤ .

(٣) سورة الشورى، الآية : ١١ .

(٤) سورة النساء، الآية : ٦٥ .

(٥) سورة يوسف، الآية : ١٠٨ .

(٦) سورة النحل، الآية : ١٢٥ .

محيطه الذي يخصه، لايكلف الله نفساً إلا وسعها، قال ﷺ - كما في صحيح مسلم - : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » [١].

فالتغيير باليد لصاحب السلطان، واللسان لكل مسلم، فإن لم يستطع حتى بلسانه، فيلزمه كراهة هذا المنكر بقلبه، والجهاد في سبيل الله لنشر هذا الدين، وإنقاذ العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وهكذا في جميع تعاليم هذا الدين في المعاملات والأخلاق الحميدة .

فالمؤمنون رحماء بينهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

فأخلاق رسول الله ﷺ القرآن، وهكذا كان أصحابه، فالولاء والبراء على الكتاب والسنة .

هذا منهج أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى هذا سلكت الطائفة الناجية، حينما افترقت هذه الأمة إلى تلك الفرق التي أشار إليها رسول الله ﷺ ، وهو ما جاء في حديث العرباض بن سارية حيث قال ﷺ : « وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا »، ثم أمر الأمة عند ظهور هذا الاختلاف، أن يتمسكوا بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأن يعضوا عليها بالنواجذ، ثم حذرهم من البدع ومحدثات الأمور، وبين أن كل بدعة ضلالة .

**وأما مكان وجود هذه الطائفة، وهل لها إمام يقودها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؟** .

**فالجواب** : إن الطائفة السائرة على المنهج التي سبقت الإشارة إليه موجودة في الدنيا كلها فلا يحصرها بلد دون آخر .

**ولاستكمال الجانب الثاني من السؤال وهو** : هل لها إمام يقودها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؟ . **فإننا نورد حديث حذيفة بن اليمان** الذي أشرنا له

---

(١) مسلم، الإيمان ١٢/٦٩ ح٧٨ .



سابقًا، وبعد إيراده سنجد الجواب .

فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب المناقب علامات النبوة، وفي كتاب الفتن/ باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة .

ومسلم في الإمارة/ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال ، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة.

عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت : يارسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟، قال : « نعم »، قلت : وهل بعد ذلك الشّر من خير ؟، قال : « نعم وفيه دخن »، قلت : وما دخنه ؟، قال : « قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر »، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟، قال : « نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها »، قلت : يارسول الله صفهم لنا، قال : « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا »، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟، قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم »، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟، قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » .

يقول النووي في شرح هذا الحديث «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » : ( قال العلماء : هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر، كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة، وفي الحديث هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي ) [1] .

---

(١) النووي شرح مسلم ٢٣٧/١٢ .



## السلف وأتباعهم ليسوا حزباً

فالطائفة الناجية التي ذكرها رسول الله ﷺ ووصفها بأنها التي تكون على ما كان عليه هو وأصحابه هم السلف الصالح، ثم السائرون على منهجهم، كما قال تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم** ﴾ (١) .

فهذه الطائفة بهذا المنهج موجودة في الدنيا كلها في كل زمان ومكان، فلا يحصرها بلد دون بلد، ولا مكان دون آخر، وهم جماعة المسلمين السائرون على الحق والهدى، وقد يكون لهم إمام يقودهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد لا يكون لهم إمام في بعض الأحوال وعند ظهور الفتن، كما في حديث حذيفة .

**ولكن بحمد الله إن هذه الجماعة موجودة بالمنهج والإمام الذي يقودها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في هذه البلاد** ـ كما سنذكر ذلك بعد نقل كلام الإمام إسماعيل بن محمد الأصبهاني الملقب بقوام السنة ـ، ليتضح لنا أن جماعة المسلمين الواحدة السائرة على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ـ وهم السلف وأتباعهم ـ أهل منهج وليسوا حزبًا كما نسمعه من بعض من لم ينظر في منهجهم وطريقتهم .

وإذا وجد أن شخصًا انتسب إلى منهج السلف، ثم ارتكتب خطأ وهم ليسو بمعصومين، فإن خطأه يُحسب عليه لا على المنهج، ولا يُنفر الناس من الحق، لاسيما الشباب، فتنفيرهم من جماعة السلف أو منهج السلف جناية

---

(١) سورة التوبة، الآية : ١٠٠ .



عظيمة على الأمة الإسلامية إذ يقطع حاضرها عن ماضيها، وهي دعوة يروج لها أعداء الإسلام، ويأخذ بإيحاءاتها من لا يفكر في عواقبها وما تؤول إليه في نتائجها .

وقد ألقيت نظرة سريعة على صفحات من شرح الطحاوية فوجدته كرر كلمة السلف أكثر من عشرين مرة، مما يدل على اعتزازه بهذه النسبة؛ لأن من مميزات منهجهم : الثبات على الحق والاستمرار عليه، وعدم التقلب والتذبذب، واتفاقهم على أمور العقيدة، وعدم اختلافهم فيها مع اختلاف الزمان والمكان، بخلاف الطوائف الأخرى التي وضعت مناهجها بعقولها .

يقول الإمام الأصبهاني قوام السنة : ( ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق ، أنك لو طالعت كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها، وقولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل .. ) الخ .

قلت : ومما يدل على صدق قوله كتب هؤلاء الأئمة : الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وابن خزيمة وابن قتيبة وابن مندة واللالكائي وغيرهم، مع اختلاف أزمانهم وأقطارهم؛ تجد كلامهم واحد .

**وأما كون هذه الجماعة موجودة بمنهجها وإمامها فهي موجودة بحمد الله في هذه البلاد إن شاء الله**، فقد أخبر رسول الله ﷺ كما في صحيح البخاري ومسلم : « أن الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها »، وفي



رواية مسلم : « وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها » [١] .

فأنا أذكّر النّاسي وأنبه الغافل :

**١ ـ أن المنهج في هذه البلاد** قائم على أصالة التوحيد، ونبذ البدع والخرافات والتأويل، وعلى دراسة العلوم الشرعية بجميع فروعها، بدءًا بمناهج المراحل الابتدائية، وانتهاء بمناهج الجامعات والدراسات العليا التخصصية مثل قسم العقيدة، وقسم السنة، وقسم التفسير، وقسم الفقه، وقسم الأصول، وجميع التخصصات الشرعية وما يخدمها إضافة إلى العلوم العصرية التي يحتاجها المجتمع، غير المتعارضة مع الشريعة الإسلامية، بل في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي أنشئت لأبناء العالم الإسلام جميعًا، وبها أكثر من مائة جنسية، بها كليات متخصصة في هذه الجوانب، مثل : كلية القرآن وعلومه، كلية الحديث وعلومه، كلية أصول الدين، كلية الشريعة، كلية اللغة، وغيرها من الجامعات والمعاهد، ثم فصل التعلم بجميع مراحله بين الذكور والإناث .

**٢** ـ دار الإفتاء والدعوة والإرشاد .

**٣** ـ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

**٤** ـ المحاكم الشرعية التي يحكم قضاتها بالكتاب والسنة، وإقامة الحدود الشرعية على مرتكبيها كقطع يد السارق، والقصاص من القاتل، وجلد الزاني والشارب، وذلك ضمن الضوابط الشرعية .

فهذا المنهج تقوم به جماعة المسلمين في هذه البلاد، ولهم إمام يقوم بتطبيق هذا المنهج وتنفيذه، ونحن نسمع بين حين وآخر تطبيق الحدود على مرتكبيها .

---

(١) البخاري ـ فضائل المدينة، فتح الباري ٤/٩٣ ح ١٨٧٦ . ومسلم ـ الإيمان ١/١٣٠ ح٢٣٢، ٢٣٣ .



وقد قام بهذا المنهج ووجدت الجماعة القائمة به وإمامها بعد الفترات السابقة : الإمام محمد بن عبد الوهاب مع الإمام محمد بن سعود من عام ١١٥٨ هـ، ولازال الأمر كذلك إلى عصرنا الحاضر .

وقد قامت هذه الدولة من ذاك التأريخ على عقيدة التوحيد الخالصة من شوائب الشرك والبدع والتأويل، وعلى تطبيق الشريعة الإسلامية بجميع أحكامها من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح لنصوص الشريعة الإسلامية .

ونسأل الله لها الثبات والاستمرار على ذلك، ليتحقق في هذه البلاد وأهلها ما قاله رسول الله ﷺ : « أن الإيمان ليأرز إلى المدينة » وفي الرواية الأخرى : « بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها » .

أما أن توجد معاصي وأخطاء، فهذه طبيعة البشر جميعاً من عهد النبوة والخلفاء الرشدين، كان الناس يرتكبون الأخطاء والمعاصي، وكذلك أيام الدولة الإسلامية بعدهم، فالعيبُ ليس في وجود المعاصي، إنما العيب في عدم إقامة الحدود على من ارتكب تلك المعاصي إن كانت تستوجب إقامة حدٍّ على صاحبها .

وأما نصح الأئمة وولاة الأمر فواجب على علماء الأمة ففي صحيح مسلم : « الدين النصيحة » ثلاثاً، قلنا : لمن يا رسول الله ؟، قال : « لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم »[١] .

أما كيفية تقديم النصيحة لهم : فننقل ما قاله العلامه عبد الرحمن بن سعدي في كتابه "الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة" الفصل الثامن ( في وجوب النصحية وفوائدها ) في شرح حديث « الدين النصيحة » ثلاثًا، قالوا : لمن يارسول الله ؟، قال : « لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة

---

(١) مسلم، الإيمان ١٠/٧٤ ح ٩٥ .

المسلمين وعامتهم »، قال في ص ٢٩ : ( وأما النصيحة لأئمة المسلمين، وهم ولاتهم من السلطان الأعظم إلى الأمير إلى القاضي إلى جميع من له ولاية صغيرة أو كبيرة، فهؤلاء لما كانت مهماتُهم وواجباتهم أعظم من غيرهم وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم، والاعتراف بولايتهم، ووجوب طاعتهم بالمعروف، وعدم الخروج عليهم، وحث الرعية على طاعتهم ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله ﷺ، وبذل ما يستطيع الإنسان من نصيحتهم، وتوضيح ما خفي عليهم مما يحتاجون إليه في رعايتهم، كل أحد بحسب حالته، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، فإن صلاحهم صلاح لرعيتهم ) .

ثم قال : ( واجتناب سبهم والقدح فيهم وإشاعة مثالبهم، فإن في ذلك شرًّا وضررًا وفسادًا كبيرًا، فمن نصيحتهم : الحذر والتحذير من ذلك ) .

ثم قال : ( وعلى من رأى منهم ما لا يحل أن ينبههم سرًّا لا علنًا، بلطف، وعبارة تليق بالمقام ويحصل بها المقصود، فإن هذا مطلوب في حق كل أحد، وبالأخص ولاة الأمور، فإن في تنبيههم على هذا الوجه فيه خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص ) .

ثم قال : ( واحذر أيها الناصح لهم على هذا الوجه المحمود أن تفسد نصيحتك بالتمدح عند الناس، فتقول لهم : إني نصحتهم، وقلت وقلت، فإن هذا عنوان الرياء وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أُخَرْ معروفة ) .

هذا ماقاله الشيخ عبد الرحمن السعدي في نصيحة ولاة الأمور السلطان الأعظم وولاته، وقد نص على أن النصيحة تكون سِرًّا لا علنًا، ثم بلطف وعبارة تليق بالمقام، كما حذر الناصح لهم على هذا الوجه المحمود، إن كان يقصد بنصيحته الصدق والإخلاص، ألاّيفسد تلك النصيحة بالتمدّح عند الناس فيقول : إني نصحتهم وقلت وقلت، فإن ذلك يدل على الرياء وعلامة على ضعف الإخلاص كما قال الشيخ السعدي .



وبعد ذكرنا لكلام الشيخ السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ، وهو من العلماء المعاصرين، نرى أنه من المناسب ذكر مثال من كلام العلماء السابقين .

يقول ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢/ ٥٢١ ح ١٠٩٦ ( باب : كيف نصيحة الرعية للولاة ؟ )، وقد أورد فيه بإسناده عن شريح بن عبيد قال : قال عياض بن غنم لهشام بن حكيم : ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده، فيخلو به فإن قبل منه فذلك، وإلا كان قد أدى الذي عليه »، قال الألباني : ( إسناده صحيح ) .

هذا هو أسلوب علماء أهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة الناجية في نصحهم لولاة أمورهم؛ لأنهم يريدون لأمتهم وللعباد والبلاد الخير والصلاح، وهو ما نعتقد أن علماءنا في الوقت الحاضر وهم المتبعون لمنهج السلف الصالح يقومون به لولاة أمورهم بالأسلوب الذي ذكره العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ، فهم لا يقدمون النصائح علنًا حتى نسمعها، لأنهم يعلمون أنها بهذه الأسلوب غير مجدية، ولا هو منهج أهل السنة والجماعة، ثم هم لا يفسدون تلك النصائح التي يقدمونها بالتمدح بين الناس بأن يقولوا : فعلنا وفعلنا وقلنا لهم وقلنا؛ لأن هذا ـ كما قال السعدي ـ فيه رياء وعدم إخلاص في النصيحة، وفي الوقت نفسه فيه أضرار كثيرة .

أما الوقائع العينية مع الولاة والأمراء فما صح منها فإنه كان نصيحة للأمير مباشرة عند ظهور مخالفته للسنة، مع وجود الألفة بينهم ـ أي : العلماء والأمراء ـ، والقصد من النصيحة الإصلاح لا التشهير كما في قصة مروان أمير المدينة، ففي صحيح البخاري كتاب العيدين ح ٩٥٦ عن أبي سعيد الخدري قال : كان النبي ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة ...، قال : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان ـ وهو أمير المدينة ـ في أضحى أو فطر، فلما أتينا المصلى

إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي، فجبذت بثوبه فجذبني، فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له : غيّرتم والله، فقال : أبا سعيد، قد ذهب ما تعلم، فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة .

قال ابن حجر وفي رواية عبد الرزاق عن داود بن قيس : ( وهو - أي : مروان - بين أبي مسعود - يعني : عقبة بن عمرو الأنصارى -، قلت : وهذا يدل على الصلة الوثيقة بين العلماء وولاة الأمور ) .

ويقول ابن حجر وهو يعدد فوائد الحديث : ( وفيه إنكار العلماء على الأمراء إذا صنعوا ما يخالف السنة، وفيه جواز عمل العالم بخلاف الأَولَى إذا لم يوافقة الحاكم على الأَولى، لأن أبا سعيد حضر الخطبة ولم ينصرف، فيستدل به على أن البداءة بالصلاة فيها ليس بشرط في صحتها، والله أعلم .

ثم نقل عن ابن المنير قوله : حمل أبو سعيد فعل النبي ﷺ في ذلك على التعيين، وحمله مروان على الأَولية، واعتذر عن ترك الأَولَى بما ذكر من تغير حال الناس، فرأى أن المحافظة على أصل السنة وهو سماع الخطبة أولى من المحافظة على هيئة فيها ليست من شرطها، والله أعلم .

ومثل هذا ما ذكر من الوقائع مع عمر بن الخطاب، فما صح من ذلك، فهو نصيحة للأمير أو الوالي مشافهة في الوقت نفسه الذى ظهر فيه ما يخالف السنة، لا تشهيراً وقدحًا وإشاعة لمثالبهم ففي ذلك شر وضرر وفساد كبير .

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي : لأن الهدف هو الإصلاح، وبهذا الأسلوب يتحقق الإصلاح - إن شاء الله - .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

# قاعدة مختصرة

# في

# وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله

تحقيق

عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد

# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

**وبعد :**

فإن منهج أهل السنة والجماعة مع وُلاة أمرهم منهجٌ عدلٌ وسطٌ، يقوم على أساس الاتّباع ولزوم الأثر، كما هو شأنهم في سائر أمور الدين، فهم يقتدون ولا يبتدون، ويتّبعون ولا يبتدعون، ولا يعارضون سنة رسول الله ﷺ بعقولهم وأفكارهم وأهوائهم .

قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : ( إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتّبع ولا نبتدع، ولن نضلّ ما تمسّكنا بالأثر ) [١] .

وقال : ( إيّاكم والتبدّع والتنطّع والتعمّق، وعليكم بالعتيق ) .

وقال : ( اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم، وكل بدعة ضلالة ) .

وقال : ( إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتُّؤدة، فإنك أن تكون تابعًا في الخير خيرٌ من أن تكون رأسًا في الشر ) .

وقال : ( إنكم اليوم على الفطرة، وستحدثون ويُحدَث لكم، فإذا رأيتم محدَثًا فعليكم بالهدي الأول ) .

وقال : ( عليكم بالطريق فلئن لزمتموه لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن خالفتموه يمينًا وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيدًا ) .

---

(١) رواه اللالكائي في « شرح الاعتقاد » : ( ١/٨٦ ) .

وكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ إلى بعض عُمّاله : ( أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتّباع سنّة رسول الله ﷺ، وترْك ما أحدث المحدِثون بعده فيما جرت به سنته وكُفوا مؤْنته، واعلم أنه لم يبتدع إنسان بدعة إلاّ قدّم قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك ـ بإذن الله ـ عصمة، واعلم أن مَن سنَّ السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمّق والحمق، فإنّ السابقين عن علم وقفوا، وببصر نافذ كَفُّوا، وكانوا هم أقوى على البحث ولم يبحثوا ) (١) .

وقال محمد بن سيرين ـ رحمه الله ـ : ( كانوا يقولون : إذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق ) (٢) .

وقال الأوزاعي ـ رحمه الله ـ : ( نَدُور مع السنة حيث دارت ) (٣) .

وقال أبو العالية الرياحي : ( تعلّموا الإسلام فإذا تعلّمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يمينًا وشمالاً، وعليكم بسنة نبيّكم، وإيّاكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء ) (٤) .

فمن أراد لنفسه الفوز والنجاة عليه أن يَلْزَم غرز هؤلاء، ويسلك نهجهم، ويتّبع طريقتهم، ومن كان كذلك فقد سبق سبقًا بعيدًا، وفاز فوزًا عظيمًا .

**وإنّ من نهج أهل السنة والجماعة وسبيلهم مع وُلاة أمرهم** : أنهم يرون وجوب السمع والطاعة لهم في المنشط والمَكْرَه أبرارًا كانوا أو فُجّارًا، وإنما الطاعة في المعروف، فإنْ أمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية

---

(١) رواه ابن بطّة في « الإبانة » : ( ٣٢١/١ )

(٢) رواه ابن بطّة في « الإبانة » : ( ٣٥٧/١ ) .

(٣) رواه اللالكائي في « شرح الاعتقاد » : ( ٦٤/١ ) .

(٤) رواه ابن بطّة في « الإبانة » : ( ٣٣٨/١ ) .

الخالق، وينصحون لهم، ولا يَدْعُون عليهم بل يدعون لهم بالصلاح والمعافاة، ولا يرون جواز الخروج عليهم ولا قتالهم ولا نزع يد الطاعة منهم، وإنْ جاروا وظلموا، بل يعدُّون ذلك من البدع المحدَثة .

قال إمام أهل السنة الإمام المبجّل أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ : ( أُصول السنة عندنا : التمسّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فيه ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المِراء والجدال والخصومات في الدين .

والسنة عندنا : آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسِّر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس ولا تُضرَب لها الأمثال، ولا تُدْرَك بالعقول ولا الأهواء، إنما هي الاتّباع وترك الهوى، ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها [1] :

فذكر أمورًا ثم قال :

( والسمع والطاعة للأئمّة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن وَلِيَ الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين .

والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البرّ والفاجر لا يُترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة ونافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه بَرًّا كان أو فاجرًا .

وصلاةُ الجمعة خلفه وخلف من ولي جائزة تامّة ركعتين، من أعادهما

---

(١) في كلام الإمام أحمد هذا تعريفٌ لصاحب السنة المستحقّ للوصف بهذا اللقب الجليل، بأنه هو الملازم لخصال السنة اللازمة التي من ترك خصلة منها لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهل السنة، بل يكون من أهل البدع والأهواء .

فهو مبتدع تاركٌ للآثار مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء، إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برّهم وفاجرهم، فالسنة أن تصلّي معهم ركعتين من أعادهما فهو مبتدع، وتدين بأنها تامّة ولا يكن في صدرك من ذلك شك .

ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقرُّوا له بالخلافة بأيّ وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شقّ هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهليّة، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحدٍ من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق ... )[(١)] .

ثم ذكر بقيّة الأصول ـ أصول السنة التي مَنْ فارقها لم يكن من أهل السنة ـ .

وذكر نحوًا من هذا وقريبًا منه الإمام عليّ بن المديني في عقيدته[(٢)] .

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أيضًا : ( هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسّكين بعروقها المعروفين بها، المتقدَى بهم فيها من لَدُن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها؛ فهو مبتدع خارجٌ من الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق ) .

وذكر أمورًا من أصول الاعتقاد منها قوله :

( ... والانقياد إلى من ولاّه الله أمركم، لا تنزع يدًا من طاعته، ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله لك فرجًا ومخرجًا، ولا تخرج على

---

(١) « شرح الاعتقاد » للالكائي : ( ١/١٦٠، ١٦١ )، وهو من رواية عَبْدوس عن الإمام أحمد .
(٢) « شرح الاعتقاد » للالكائي : ( ١/١٦٧، ١٦٨ ) .

السلطان، وتسمع وتُطيع، ولا تنكث بيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارقٌ للجماعة، وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية فليس لك أن تطيعه البتّة، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقّه ... ) [١] .

وقال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ : ( لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر ... ) وذكر جماعة منهم ثم قال : ( ما رأيت واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء ... )، فذكر أمورًا منها :

( وأن لا ننازع الأمر أهله لقول النبي ﷺ : « ثلاثة لا يَغِل عليهنّ قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله، وطاعة وُلاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعوتهم تُحيط من ورائهم » [٢]، ثم أكّد في قوله : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ [٣]، وألاّ يرى السيف على أمة محمد ﷺ، وقال الفُضيل : لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد، وقال ابن المبارك يا معلم الخير من يجتري على هذا غيرك ) [٤] .

وقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي : سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك فقالا : ( أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا

---

(١) « طبقات الحنابلة » لابن أبي يَعلى : ( ١/٢٤ ـ ٢٧ )، وهو من رواية أبي العباس الإصْطَخْري عن الإمام أحمد .

(٢) يأتي تخريجه .

(٣) سورة النساء، الآية : ٥٩ .

(٤) « شرح الاعتقاد » للالكائي : ( ١/١٧٢ ـ ١٧٦ )، والمراد بكلمة ابن المبارك الثناء على الفضيل؛ لأنه لم يرد أن يخصّ نفسه بالدعوة المستجابة لو كانت له، بل أراد أن يجعلها لمن يعمّ نفعه إذا صلح، وهو السلطان .

وعراقًا وشامًا ويمنًا فكان من مذهبهم ... ) فذكرا أمورًا، منها : ( ... ونقيم الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان، ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاّه الله - عزّ وجل - أمرنا، ولا ننزع يدًا من طاعة، ونتّبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، فإن الجهاد ماض مذ بعث الله - عزّ وجل - نبيّه - عليه الصلاة والسلام - إلى قيام الساعة مع وليّ الأمر من أئمة المسلمين لا يُبطله شيء، والحج كذلك، ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمّة المسلمين ... ) [١].

وقال سهل بن عبد الله التستري وقد قيل له : متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة ؟

قال : ( إذا علم من نفسه عشر خصال :

لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخُفّين، ولا يترك الجماعة خلف كل والٍ جَارَ أو عَدَل ) [٢].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي : ( ولا نرى الخروج على أئمّتنا ووُلاة أمورنا وإنْ جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله - عزّ وجل - ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والعافية ) [٣].

وقال الإمام البَرْبَهاريّ - رحمه الله - : ( واعلم أن جَوْر السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله التي افترضها على لسان نبيه ﷺ، جَوْره على

---

(١) « شرح الاعتقاد » للالكائي : ( ١/١٧٦ - ١٨٠ ) .
(٢) « شرح الاعتقاد » للالكائي : ( ١/١٨٣ ) .
(٣) انظر : « شرح العقيدة الطحاوية » : ( ص : ٣٦٨ ) .

نفسه وتطوّعك وبرّك معه تامّ إن شاء الله تعالى، يعني الجماعة والجمعة والجهاد معهم وكل شيء من الطاعات فشاركهم فيه، وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، يقول الفُضيل بن عِياض : ( لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان )، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، و لم نؤمر أن ندعو عليهم وإنْ جاروا وظلموا؛ لأنّ جَوْرَهم وظلمهم على أنفسهم وعلى المسلمين، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين )[1] .

وقال الإمام ابن بطّة العُكبريّ : ( ... ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ووصفها وما هي في نفسها وما الذي إذا تمسّك به العبد ودان الله به سُمّي بها، واستحقّ الدخول في جملة أهلها، وما إنْ خالفه أو شيئًا منه دخل في جملة من عِبْناه وذكرناه وحذّر منه من أهل البدع والزيغ، مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة مذ بعث الله نبيّه ﷺ إلى وقتنا هذا ) .

وذكر جملة من هذه الأصول ثم قال :

( ثم من بعد ذلك الكَفّ والقُعود في الفتنة، ولا تخرج بالسيف على الأئمة وإن ظلموا .

وقال عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ : ( إن ظلمك فاصبر، وإن حَرَمَك فاصبر ) .

وقال النبي ﷺ لأبي ذر : « اصبر وإنْ كان عبدًا حبشيًّا »[2] .

وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنسك والعُبّاد والزُهّاد من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات والغزو والحج والهدْي مع كل أمير بَرّ وفاجر، وإعطاءَهم الخَراج والصدقات

(١) انظر : « طبقات الحنابلة » لابن أبي يَعلى : ( ٢/٣٦ ) .
(٢) يأتي تخريجه .



والأعشار جائز، والصلاة في المساجد العِظام التي بنوها والمشي على القناطر والجسور التي عقدوها، والبيع والشراء وسائر التجارة والزراعة والصنائع كلها في كل عصر، ومع كل أمير جائز على حكم الكتاب والسنة، لا يضر المحتاط لدينه والمتمسّك بسنّة نبيه ﷺ ظلم ظالم ولا جَوْر جائر - إذا كان ما يأتيه هو على حكم الكتاب والسنة -، كما أنه لو باع واشترى في زمن الإمام العادل بيعًا يخالف الكتاب والسنة لم ينفعه عدل الإمام، والمحاكمة إلى قُضاتهم، ورفع الحدود والقصاص، وانتزاع الحقوق من أيدي الظلمة بأمرائهم وشرطهم، والسمع والطاعة لَمْن ولّوه وإن كان عبدًا حبشيًّا إلا في معصية الله - عزّ وجل -، فليس لمخلوق فيها طاعة، ثم من بعد ذلك اعتقاد الديانة بالنصيحة للأئمة وسائر الأمة في الدين والدنيا، ومحبّة الخير لسائر المسلمين تحبّ لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك ) [1].

وقال أبو منصور معمر بن أحمد الأصبهاني في رسالته التي جمعها في السنة لَمّا رأى غُربة السنة وكثرة الحوادث واتّباع الأهواء .. قال : ( ثم من السنة الانقياد للأمراء والسلطان بأنه لا يخرج عليهم بالسيف وإنْ جاروا، وأن يسمعوا له وأن يطيعوا وإن كان عبدًا حبشيًّا أجدع، ومن السنة الحج معهم، والجهاد معهم، وصلاة الجمعة والعيدين خلف كل بَرّ وفاجر ... ) .

وقال في تمامها : ( ويشهد لهذا الفصل المجموع من السنة كتب الأئمة، فأوّل ذلك « كتاب السنة » عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، و« كتاب السنة » لأبي مسعود وأبي زُرعة وأبي حاتم، و« كتاب السنة » لعبد الله بن محمد بن النعمان، و« كتاب السنة » لأبي عبد الله محمد بن يوسف البنّا الصوفي - رحمهم الله أجمعين -، ثم كتب السنن للمتأخّرين مثل أبي أحمد العسّال؛ ألّفوا كتب

---

(١) انظر : « الشرح والإبانة » : ( ص : ١٧٥ و ٢٧٦ - ٢٨١ ) .

السنة، فاجتمع هؤلاء كلهم على إثبات هذا الفصل من السنة ... ) [١] .

وقال الإمام أبو إسماعيل الصابوني : ( ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم بَرًّا كان أو فاجرًا، ويرون جهاد الكَفَرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعيّة، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف، وإنْ رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجوْر والحيْف، ويرون قتال الفئة الباغيَة حتى ترجع إلى طاعة الإمام العدل ) [٢] .

وقال التيمي : ( فصل يتعلّق باعتقاد أهل السنة ومذهبهم ...، وطاعة أولي الأمر واجبة، وهي من أوْكد السنن، ورد بها الكتاب والسنة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ) [٣] .

والنُّقول عن أهل السنة والجماعة في تقرير هذا الأصل الثابت كثيرة جدًّا، ولا يخلوا كتاب من كتب أهل السنة والجماعة المؤلّفة في شرح السنة وأصول الاعتقاد من تقرير هذا الأصل وبيانه وشرحه .

ثم إن من الأمثلة العمليّة في تطبيق أهل السنة والجماعة لهذا المنهج القويم مع وُلاة الأمر موقف الإمام أحمد إمام أهل السنة ـ رحمه الله ـ عندما جاءه نفرٌ من فقهاء بغداد وشاوروه في ترك الرضا بإمرة الواثق وسلطانه الذي أظهر القول بخلق القرآن ودعا إليه وأمر بتدريسه للصبيان في الكتاتيب، وقرّب من القضاة وغيرهم من قال به وعزل وأبعد من خالفه، فأنكر الإمام أحمد عليهم ذلك وأكثر من نهيهم عن ذلك وقال : ( لا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تَشُقُّوا عَصَا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ولا دماء

(١) انظر : (( الحجة في بيان المَحَجّة )) للتيمي : ( ١/٢٣٥ ـ ٢٤٢ ) .
(٢) (( عقيدة السلف أصحاب الحديث )) : ( ص : ٩٢، ٩٣ ) .
(٣) (( الحجة في بيان المحجّة )) : ( ٢/٤٧٨ ) .

المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، ولا تعجلوا ... ) .

هكذا أوصاهم وصيّة العالم السني الحكيم، فخالفوه وكان ما كان .

قال حنبل بن إسحاق : ( ... لَمّا أظهر الواثق هذه المقالة، وضرب عليها وحبس، جاء نفرٌ إلى أبي عبد الله من فقهاء بغداد فيهم بكر بن عبد الله، وإبراهيم بن علي المطبخي، وفضل بن عاصم، وغيرهم فأتوا أبا عبد الله وسألوا أن يدخلوا عليه، فاستأذنت لهم فدخلوا عليه، فقالوا له : يا أبا عبد الله، إن الأمر قد فشا وتفاقم، وهذا الرجل يفعل ويفعل، وقد أظهر ما أظهر، ونحن نخافه على أكثر من هذا، وذكروا له أن ابن أبي دؤاد مضى على أن يأمر المعلّمين بتعليم الصبيان في الكُتَّاب مع القرآن : القرآن كذا وكذا .

فقال لهم أبو عبد الله : وماذا تريدون ؟ .

قالوا : أتيناك نشاورك فيما نريد .

قال : فما تريدون ؟ .

قالوا : لا نرضى بإمرته ولا بسلطانه .

فناظرهم أبو عبد الله ساعة، حتى قال لهم ـ وأنا حاضرهم ـ : أرأيتم إن لم يبق لكم هذا الأمر، أليس قد صرتم من ذلك إلى المكروه ؟، **عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ولا دماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، ولا تعجلوا، واصبروا حتى يستريح بر، ويُستراح من فاجر** .

ودار بينهم في ذلك كلامٌ كثير لم أحفظه، واحتجّ عليهم أبو عبد الله بهذا، فقال بعضهم : إنا نخاف على أولادنا، إذا ظهر هذا لم يعرفوا غيره ويمحى الإسلام ويَدْرُس .

فقال أبو عبد الله : كلاّ، إن الله ـ عزّ وجل ـ ناصرُ دينه وإن هذا الأمر له رب ينصره، وإن الإسلام عزيز منيع .



فخرجوا من عند أبي عبد الله، ولم يُجبْهم إلى شيء ممّا عزموا عليه أكثر من النهي عن ذلك، والاحتجاج عليهم بالسمع والطاعة حتى يفرِّج الله عن الأمة، فلم يقبلوا منه .

فلما خرجوا، قال لي بعضهم : امض معنا إلى منزل فلان ـ رجل سمّوه ـ حتى نوعده لأمر نريده .

فذكرت ذلك لأبي، فقال لي أبي : لا تذهب واعتلّ عليهم، فإنّي لا آمن أن يغمسوك معهم، فيكون لأبي عبد الله في ذلك ذكر، فاعتللت عليهم ولم أمض معهم .

فلما انصرفوا دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله، فقال أبو عبد الله لأبي : يا أبا يوسف، هؤلاءِ قوم قد أشربت قلوبهم ما يخرج منها فيما أحسب، فنسأل الله السلامة، ما لنا ولهذه الآفة، وما أحب لأحد أن يفعل هذا، فقلت له : يا أبا عبد الله وهذا عندك صواب ؟، قال : لا، هذا خلاف الآثار التي أُمرنا فيها بالصبر، ثم قال أبو عبد الله : قال النبي ﷺ : « إن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن وليت أمره فاصبر »، وقال عبد الله بن مسعود : كذا، وذكر أبو عبد الله كلامًا لم أحفظه .

قال حنبل : فمضى القوم، فكان من أمرهم أنهم لم يحمدوا، ولم ينالوا ما أرادوا، اختفوا من السلطان وهربوا، وأُخذ بعضهم فحُبس، ومات في الحبس ) !؟ [(١)] .

وفي هذه القصة أبلغ عِظَة في خطورة مخالفة منهج أهل السنة والجماعة في هذا الأصل العظيم، وأنّ مفارق منهجهم لا يجني من ذلك إلا مثل هذه العواقب الوخيمة، إضافة إلى مجانبته للحق ومفارقته الصواب .

ومثال آخر : فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قد عاش في زمن

---

(١) « ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل » لحنبل بن إسحاق بن حنبل : ( ص : ٧٠ ـ ٧٢ ) .

كانت السلطة فيه لديها قصور وتقصير بيِّن، بل إنه ـ رحمه الله ـ أوذيَ من قِبَل السلطة بسبب تقريره ونشره لعقيدة أهل السنة والجماعة وردّه على الفرق الضالّة كالصوفيّة والأشعرية، وسُجن بسبب ذلك مِرارًا، حتى إنه ـ رحمه الله ـ مات محبوسًا بقلعة دمشق (١) .

ومع ذلك كان شديد التحذير من الخروج على الوُلاة ونزع اليد من الطاعة، ويُبَيِّن أنّ هذا المسلك يترتّب عليه من الفساد ما هو أعظم ممّا يقع من الوُلاة من فسق أو ظلم أو جور .

قال ـ رحمه الله ـ : ( ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم، كما دلّت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ؛ لأنّ الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يُدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، ولعلّه لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلاّ وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته ... ) (٢) .

وفي هذه الرسالة التي بين أيدينا أبان شيخ الإسلام منهج أهل السنة والجماعة مع وُلاة أمرهم، وأورد على ذلك الدلائل الكثيرة والحجج الوفيرة من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وهي رغم صغر حجمها إلا أنها وافية كافية .

وقد ضمّنها ـ رحمه الله ـ فصلاً مستقلاً ردّ فيه على من يفتي الناس بالخروج على وُلاة الأمور ونزع اليد من طاعتهم، قال فيه : ( ... ومن أفتى مثل هؤلاء بمخالفة ما حلفوا عليه [ أي : من لزوم الطاعة والنصيحة للولاة ] والحنث

---

(١) وقال قبل موته ما معناه : ( إني قد أحللت السلطان الملك الناصر من حبسه إيّاي لكونه فعل ذلك مقلّدًا غيره معذورًا، ولم يفعله لحظّ نفسه، بل لِمَا بلغه ممّا ظنّه حقًّا من مبلّغه، والله يعلم إنه بخلافه ) . « الأعلام العليّة في مناقب ابن تيمية » للبزّار : ( ص : ٨٢ ) .

(٢) « منهاج السنة » : ( ٣٩١/٣ ) .

في أيمانهم فهو مفترٍ على الله الكذب مفتٍ بغير دين الإسلام ... ) .

وقد سبق أن طُبعت رسالته هذه ضمن «مجموع فتاواه» : ( ٣٥/٥ ـ ١٧ )، ورأيت مناسبة طبعها مفردة ليعمّ نفعها وتعظم فائدتها، وقد عُنيت في هذه الطبعة بتصحيح الأخطاء المطبعيّة اليسيرة الواقعة في الأصل، وعزوت الآيات إلى أماكنها، وخرّجت الأحاديث باختصار، وعلّقت على مواطن يسيرة منها، وجعلت بين يدي الرسالة مقدِّمة نقلت فيها جملة من النقول المبيِّنة لمنهج أهل السنة والجماعة مع وُلاة أمرهم .

هذا والله الكريمَ أسألُ أن ينفعَ بهذا الجهد، وأن يجعله لوجهه خالصًا ولسنّة نبيّه ﷺ مطابِقًا، إنه سميع مجيب قريب .

وكتب

**عبد الرزّاق البدر**



# نص الرسالة

الحمد لله نحمده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا [ الله ] وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم تسليمًا .

**أما بعد :**

فهذه قاعدةٌ مختصرةٌ في وُجوب طاعة الله ورسوله ﷺ في كل حالٍ على كل أحد، وأن ما أمر الله به ورسولُه ﷺ من طاعة الله وولاة الأمور ومناصحتهم واجب، وغير ذلك من الواجبات .

قال الله - تعالى - : ﴿ **إن الله يأمُركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نِعِمَّا يعظكم به إن الله كان سميعًا بصيرًا** ﴾ (١)، وقال الله - تعالى - : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً** ﴾ (٢) .

فأمر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وأولي الأمر منهم، كما أمرهم أن يؤدُّوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، وأمرهم إذا تنازعوا في شيء أن يردّوه إلى الله والرسول .

قال العلماء : ( الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد

---

(١) سورة النساء، الآية : ٥٨ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٥٩ .



موته هو الرد إلى سنّته )، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغيًا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لِمَا اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾(١)، فجعل الله الكتاب الذي أنزله هو الذي يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه .

وفي « صحيح مسلم » وغيره عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان إذا قام يصلي بالليل يقول : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لِمَا اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » (٢) .

وفي « صحيح مسلم » عن تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة »، قالوا : لمن يا رسول الله ؟، قال : « لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين(٣)

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢١٣ .

(٢) « صحيح مسلم » : ( ١/٥٣٤ )، ورواه أحمد : ( ٦/١٥٦ )، وأبو داود : ( ١/٤٨٧ )، وابن حبّان ( الإحسان : ٦/٣٣٧ )، والبغوي في « شرح السنة » : ( ٤/٧١ ) .

(٣) قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سِعدي ـ رحمه الله ـ في توضيح هذا الحديث : ( ... وأما النصيحة لأئمة المسلمين، وهم وُلاتهم من السلطان الأعظم إلى الأمير إلى القاضي إلى جميع من لهم وِلاية صغيرة أو كبيرة، فهؤلاء لَمّا كانت مهمّاتهم وواجباتهم أعظم من غيرهم وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم والاعتراف بولايتهم، ووجوب طاعتهم بالمعروف، وعدم الخروج عليهم، وحثّ الرعية على طاعتهم ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله، وبذل ما يستطيع الإنسان من نصيحتهم، وتوضيح ما خفي عليهم ممّا يحتاجون إليه في رعايتهم، كلٌّ بحسب حاله، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، فإنّ صلاحهم صلاحٌ لرعيّتهم، واجتناب سبّهم والقدح فيهم وإشاعة =

وعامّتهم » [١] .

وفي « صحيح مسلم » ـ أيضًا ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا : أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصِحوا من ولاّه الله أمركم » [٢] .

وفي السنن من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « نضّر الله امرأً سمع منا حديثًا فبلّغه إلى من لم يسمعه فرُبّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورُبّ حامل فقه غير فقيه، ثلاثٌ لا يغل عليهن قلبُ مسلم : إخلاص العمل لله، ومناصحة وُلاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين، فإنّ دعوتهم تُحيط من ورائهم » [٣] .

---

مثالبهم، فإنّ في ذلك شرًّا وضررًا وفسادًا كبيرًا فمن نصيحتهم الحذر والتحذير من ذلك، وعلى من رأى منهم ما لا يحل أن ينبِّههم سرًّا لا علنًا، بلطف وعبارة تليق بالمقام ويحصل بها المقصود، فإنّ هذا مطلوب في حق كل أحد، وبالأخص وُلاة الأمور، فإن تنبيههم على هذا الوجه فيه خيرٌ كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص .

واحذر أيها الناصح لهم على هذا الوجه المحمود أن تُفسد نصيحتك بالتمدّح عند الناس فتقول لهم : إني نصحتهم وقلتُ وقلتُ، فإن هذا عنوان الرياء، وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أُخر معروفة » . « الرياض الناضرة » : ( ص : ٤٩، ٥٠ ) .

ويشهد لما ذكره ـ رحمه الله ـ من لزوم مسارّة وليّ والأمر بالنصيحة ما رواه بن أبي عاصم في « السنة » : ( ٥٠٧/٢ ) عن النبي ﷺ قال : « من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبْدِه علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبِل منه فذاك وإلا كان قد أدّى الذي عليه » وصحّحه العلاّمة الألباني ـ حفظه الله ـ .

(١) « صحيح مسلم » : ( ٧٤/١ ) .

(٢) « صحيح مسلم » : ( ٧٤/١ ) .

(٣) رواه الشافعي ( بدائع المنن : ١٤/١ )، والترمذي : ( ٣٤/٥ )، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » : ( ٤٠/١ )، والبغوي في « شرح السنة » : ( ٢٣٦/١ ) من طريق سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه

و« يغل » بالفتح هو المشهور[١]، ويقال : إلى صدره فغل[٢] إذا كان ذا غش وضغن وحقد، أي : قلب المسلم لا يَغِل على هذه الخصال الثلاثة، وهي الثلاثة المتقدِّمة في قوله : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا : أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاّه الله أمركم »، فإن الله إذا كان يرضاها لنا لم يكن قلب المؤمن الذي يحب ما يحبه الله يَغِل عليها يبغضها ويكرهها فيكون في قلبه عليها غل، بل يحبها قلب المؤمن ويرضاها [٣].

وفي « صحيح البخاري ومسلم » وغيرهما عن عُبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العُسْر واليُسر والمنشط والمكره، وعلى أَثَرةٍ علينا، وعلى ألاّ ننازع الأمر أهله، وعلى أن

---

ـ رضي الله عنه ـ .
وقال الترمذي : ( هذا حديث حسن صحيح ) .
ورواه أحمد : ( ١٨٣/٥ )، والدرامي : ( ٧٥/١ )، وابن حبّان ( الإحسان : ٤٥٤/٢ ) من طريق شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ، وقال ابن حجر : ( هذا حديث صحيح ) كما في « فيض القدير » للمناوي : ( ٢٨٥/٦ ) . وانظر تخريج الحديث مفصّلاً في كتاب الوالد الشيخ عبد المحسن العبّاد ـ حفظه الله ـ الموسوم بـ« دراسة حديث : نضّر الله امرءًا سمع مقالتي ... رواية ودراية » وهو مطبوع متداوَل .

(١) قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم : ( وأما قول النبي ﷺ : « ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن ... »، فإنه يروى لا يَغِل ولا يُغِل، فمن قال : يَغِل ـ بالفتح ـ فإنه يجعله من الغل وهو الحقد والضغن والشحناء، ومن قال : يُغِل ـ بضم الياء ـ جعله من الخيانة من الإغلال ) . « غريب الحديث » له : ( ١٩٩/١، ٢٠٠ ) .

(٢) كذا في الأصل، والصواب : غل صدره يغل .

(٣) يؤكّد هذا المعنى الذي ذكره شيخ الإسلام : أن الدارمي خرّج الحديث بلفظ : « لا يعتقد قلبُ مسلم على ثلاث خصال إلا دخل الجنة ... » . « سنن الدارمي » : ( ٧٥/١ ) .

نقول - أو نقوم - بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم » [١] .

وفي « الصحيحين » - أيضًا - عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » [٢] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويُسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك » [٣] .

ومعنى قوله : « وأثرة عليك » و « أثرة علينا » أي : وإن استأثر وُلاة الأمور عليك فلم يُنصفوك ولم يُعطوك حقّك كما في « الصحيحين » عن أُسيد بن حُضير - رضي الله عنه - أنّ رجلاً من الأنصار خلا برسول الله ﷺ فقال : ألا تستعملني كما استعملت فلانًا ؟، فقال : « إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » [٤] .

وهذا كما في « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها تكون بعدي أثرةٌ وأمور تنكرونها »، قالوا : يا رسول الله كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟، قال : « تؤدُّون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم » [٥] .

وفي « صحيح مسلم » عن وائل بن حُجْر - رضي الله عنه - قال : سأل سلمةُ بن يزيد الجُعفيّ رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم، ويمنعونا حقّنا فما تأمرنا ؟، فأعرض عنه، ثم سأله،

---

(١) البخاري : ( ٣٤٣/٤ )، ومسلم : ( ١٤٧٠/٣ ) .
(٢) البخاري : ( ٣٢٩/٤ )، ومسلم : ( ١٤٦٩/٣ ) .
(٣) مسلم : ( ١٤٦٧/٣ ) .
(٤) البخاري : ( ٤١/٣ )، ومسلم : ( ١٤٧٤/٣ ) .
(٥) البخاري : ( ٣١٢/٤ )، ومسلم : ( ١٤٧٢/٣ ) .



فأعرض، ثم سأله في الثانية ـ أو في الثالثة ـ فجذبه الأشعث بن قيس [١] فقال رسول الله : « اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا، وعليكم ما حُمِّلتم » [٢] .

فذلك ما أمر الله به ورسوله ﷺ من طاعة وُلاة الأمور ومناصحتهم؛ وهو واجب على المسلم، وإن استأثروا عليه، وما نهى الله عنه ورسوله ﷺ من معصيتهم فهو محرّم عليه وإن أُكره عليه [٣] .

## فصل

وما أمر الله به ورسوله ﷺ من طاعة وُلاة الأمور ومناصحتهم واجبٌ على الإنسان وإن لم يعاهدهم عليه، وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكّدة، كما يجب عليه الصلواتُ الخمس والزكاة والصيام وحج البيت وغيرُ ذلك ممّا أمر الله به ورسوله ﷺ من الطاعة، فإذا حلف على ذلك توكيدًا وتثبيتًا لما أمر الله به ورسوله ﷺ من طاعة وُلاة الأمور ومناصحتهم، فالحالف على هذه

---

(١) في الأصل : ( فحدّثه الأشعث بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ )، والتصويب من « صحيح مسلم » .

(٢) « صحيح مسلم » : ( ٣/١٤٧٤ ) .

(٣) قال ابن أبي العِزّ الحنفي عند شرحه لقول الطحاوي : ( ولا نرى الخروج على أئمّتنا ووُلاة أمورنا، وإن جاروا ... ) . قال : ( ... وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا فلأنه يترتّب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيِّئات ومضاعفة الأجور، فإن الله ما سلّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل ... قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ ...، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ **وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون** ﴾، فإذا أراد الرعيّة أن يتخلّصوا من ظلم الأمير فليتركوا الظلم ... ) . « شرح الطحاوية » : ( ص : ٣٧٠ ) .

الأمور لا يحل له أن يفعل خلاف المحلوف عليه سواء حلف بالله أو غير ذلك من الأيمان التي يحلف بها المسلمون، فإنّ ما أوجبه الله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجبٌ وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه !؟، وما نهى الله ورسوله ﷺ عن معصيتهم وغشّهم محرّم وإن لم يحلف على ذلك .

وهذا كما أنه إذا حلف ليصلّينّ الخمس، وليصومنّ شهر رمضان، أو ليقضينّ الحق الذي عليه، ويشهدنّ بالحق، فإنّ هذا واجبٌ عليه وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه ؟!، وما نهى الله عنه ورسوله ﷺ من الشرك والكذب وشرب الخمر والظلم والفواحش وغش وُلاة الأمور والخروج عما أمر الله به من طاعتهم هو محرّم وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه ؟! .

ولهذا من كان حالفًا على ما أمر الله به ورسوله ﷺ من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم أو الصلاة أو الزكاة أو صوم رمضان أو أداء الأمانة والعدل ونحو ذلك، لا يجوز لأحدٍ أن يفتيه بمخالفة ما حلف عليه والحنث في يمينه، ولا يجوز له أن يستفتي في ذلك، ومن أفتى مثل هؤلاء بمخالفة ما حلفوا عليه والحنث في أيمانهم فهو مفترٍ على الله الكذب، مفتٍ بغير دين الإسلام، بل لو أفتى آحاد العامّة بأن يفعل خلاف ما حلف عليه من الوفاء في عقد بيع أو نكاح أو إجاره أو غير ذلك مما يجب عليه الوفاء به من العقود التي يجب الوفاء بها وإن لم يحلف عليها، فإذا حلف كان أوكد، فمن أفتى مثل هذا بجواز نقض هذه العقود والحنث في يمينه كان مفتريًا على الله الكذب مفتيًا بغير دين الإسلام، فكيف إذا كان ذلك في[1] معاقدة ولاة الأمور التي هي أعظم العقود التي أمر الله بالوفاء بها [2] .

---

(١) تكرّر حرف الجر في الأصل .

(٢) ولهذا يسمّى وُلاة الأمور : أهل العقدة، قال الخطّابي في « غريب الحديث » : ( ٢/٣١٨ ) : ( وإنما قيل لهم أهل العقدة لأن الناس قد عقدوا لهم البيعة وأعطوهم الصفقة، ومعنى العقدة

وهذا كما أنّ جمهور العلماء يقولون : يمين المكره بغير حق لا ينعقد سواء كان بالله أو النذر أو الطلاق أو العتاق، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد .

ثم إذا أكره ولي الأمر الناس على ما يجب عليهم من طاعته ومناصحته وحلّفهم على ذلك لم يجز لأحدٍ أن يأذنَ لهم في ترك ما أمر الله به ورسوله ﷺ من ذلك، ويرخص لهم في الحنث في هذه الأيمان؛ لأنّ ما كان واجبًا بدون اليمين فاليمين تقوِّيه لا تُضعفه، ولو قدّر(١) أن صاحبها أكره عليها .

ومن أراد أن يقول بلزوم المحلوف مطلقًا في بعض الأيمان لأجل تحليف وُلاة الأمور أحيانًا، قيل له : وهذا يرد عليك فيما تعتقده في يمين المكره، فإنّك تقول : لا يلزم وإن حلف بها وُلاة الأمور، ويرد عليك في أمور كثيرة تفتي بها في الحيل، مع ما فيه من معصية الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ ووُلاةً الأمور .

وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخّصون لأحدٍ فيما نهى الله عنه من معصية وُلاة الأمور وغشهم والخروج عليهم بوجهٍ من الوُجوه، كما قد عُرف من عادات أهل السنة والدين قديمًا وحديثًا ومن سيرة غيرهم(٢) .

وقد ثبت في « الصحيح » عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال : « ينصب لكل غادر لواءٌ يوم القيامة عند استه بقدر غدره »، قال : وإن من أعظم الغدر يعني بإمام المسلمين(٣)، وهذا حدّث به عبد الله بن عمر لَمّا قام قومٌ من أهل المدينة يخرجون من طاعة وليّ أمرهم ينقضون بيعته )(٤) .

---

أي : البيعة المعقودة لهم ) .

(١) في الأصل : ( ولو قد ) .

(٢) والنُقول عن أهل السنة في ذلك كثيرة جدًّا، انظر جملة منها في المقدِّمة .

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب : وإن من أعظم الغدرِ الغدر بإمام المسلمين .

(٤) رواه البخاري : ( ٣٢٢/٤ )، ومسلم : ( ١٣٦٠/٣ ) ولفظ البخاري : عن نافع قال : لَمّا

وفي « صحيح مسلم » عن نافع قال : جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أَمْرِ الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال : إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدِّثك حديثًا، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يدًا [ من طاعة ] [١] لقي الله يوم القيامة ولا حُجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة » [٢] .

وفي « الصحيحين » عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه ليس أحدٌ من الناس يخرج من السلطان شبرًا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية » [٣] .

وفي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات مات ميتةً جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّةٍ يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية، فقُتل؛ فقتلةٌ جاهليّة » [٤]، وفي لفظ : « ليس من أمتي من خرج على أمتي يضرب برّها

---

=

خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده فقال : ( إني سمعت النبي ﷺ يقول : « ينصب لكل غادر لواءٌ يوم القيامة »، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ﷺ وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ﷺ ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحدًا منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه ) .

قال التيمي في « الحجة » : ( ٥٢٣/٢ ) ـ وقد روى هذا الأثر ـ : ( قال أهل اللغة : والفيصل : القطيعة والهُجران ) .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : ( وفي هذا الحديث وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه ولو جار في حكمه، وأنه لا ينخلع بالفسق ) « الفتح » : ( ٧١/١٣ ) .

(١) زيادة من مصدر التخريج .

(٢) « صحيح مسلم » : ( ١٤٧٨/٣ ) .

(٣) البخاري : ( ٣١٣/٤ )، ومسلم : ( ١٤٧٨/٣ ) .

(٤) « صحيح مسلم » : ( ١٤٧٦/٣ ) .



وفاجرها، ولا يتحاشا من مؤمنها، ولا يفي [١] لذي عهدها، فليس مني ولستُ منه » [٢] .

فالأول : هو الذي يخرج من طاعة ولي الأمر ويفارق الجماعة .

والثاني : هو الذي يقاتل لأجل العصبيّة والرياسة لا في سبيل الله، كأهل الأهواء مثل قيس ويمن .

والثالث : مثل الذي يقطع الطريق فيَقتل من لقيه من مسلم وذمّي، ليأخذ ماله، وكالحروريّة المارقين الذين [٣] قاتلهم عليّ بن أبي طالب الذين قال فيهم النبي ﷺ : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوِزُ حناجرهم، يَمْرُقون من الإسلام كما يمرُق السهم من الرميّة، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنّ في قتلهم أجرًا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة » [٤] .

وقد أمر النبي ﷺ بطاعة وليّ الأمر وإن كان عبدًا حبشيًّا كما في « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ قال : « اسمعوا وأطيعوا وإنِ استُعْمِل عليكم عبدٌ حبشيّ كأنّ رأسه زبيبة » [٥]، وعن أبي ذر قال : أوصاني خليلي : « أن اسمعوا وأطيعوا ولو كان حبشيًّا مجدّع الأطراف » [٦]، وعند البخاري [٧] :

---

(١) في الأصل : ( ولا يوفي ) .

(٢) « صحيح مسلم » : ( ٣/١٤٧٧ ) .

(٣) في الأصل : ( الذي ) .

(٤) رواه البخاري : ( ٣/٣٥٣ )، ومسلم : ( ٢/٧٤٣ ) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

(٥) رواه البخاري : ( ٤/٣٢٩ ) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -، ولم أجده في « صحيح مسلم »، وقد أورده شيخ الإسلام في « منهاج السنة » : ( ٣/٣٨٢ ) وعزاه للبخاري فقط .

(٦) رواه مسلم : ( ٣/١٤٦٧ ) .

(٧) في الأصل : ( وعن البخاري )، وقارن بشرح العقيدة الطحاويّة ( ص : ٣٦٨ ) .

« ولو لحبشيّ كأن رأسه زبيبة »[١] .

وفي « صحيح مسلم » عن أم الحصين ـ رضي الله عنها ـ : سمعت رسول الله ﷺ بحجّة الوداع وهو يقول : « ولو استعمل عبدٌ[٢] يقودكم بكتاب الله، اسمعوا وأطيعوا »[٣] . وفي رواية : « عبد حبشي مجدّعًا »[٤] .

وفي « صحيح مسلم » عن عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : « خيار أئمّتكم الذين تحبونهم ويحبُّونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمّتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنوهم ويلعنونكم »، قلنا : يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك ؟ قال : « لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة؛ ألا من وليَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية [ الله ] فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعنّ يدًا من طاعة »[٥] .

وفي « صحيح مسلم » عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا »[٦] .

وفي « صحيح مسلم » عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمّتي شيئًا فرفق بهم فارفق به »[٧] .

---

(١) « صحيح البخاري » : ( ١/٢٣٠ ) .
(٢) في الأصل : ( عبدًا ) .
(٣) « صحيح مسلم » : ( ٣/١٤٦٨ ) .
(٤) « صحيح مسلم » : ( ٣/١٤٦٨ ) .
(٥) « صحيح مسلم » : ( ٣/١٤٨٢ ) .
(٦) « صحيح مسلم » : ( ٣/١٤٥٨ ) .
(٧) « صحيح مسلم » : ( ٣/١٤٥٨ ) .

وفي « الصحيحين » عن الحسن البصري قال : عاد عُبيد الله [١] بن زياد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه فقال له معقل : إنّي محدّثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعيّة يموت وهو غاش لرعيّته إلا حرّم الله عليه الجنة » [٢] .

وفي رواية لمسلم : « ما من أمير يلي من أمر المسلمين شيئًا لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة » [٣] .

وفي « الصحيحين » عن ابن عمر - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا كلّكم راعٍ، وكلّكم مسئول عن رعيّته، [ فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ] [٤]، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راعٍ على مال سيّده وهو مسئول عنه، ألا كلّكم راعٍ وكلّكم مسئول عن رعيّته » [٥] .

وفي « الصحيحين » عن عليّ - رضي الله عنه - أنّ النبي ﷺ بعث جيشًا وأمّر عليهم رجلاً، فأوقد نارًا فقال : ادخلوها، فأراد الناس أن يدخلوها، وقال الآخرون : إنا فررنا منها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها : « لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة »، وقال للآخرين قولاً حسنًا، وقال : « لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف » [٦] .

---

(١) في الأصل : ( عبد الله )، والتصويب من المصادر، وهو أمير البصرة في زمن معاوية ويزيد، وقد أبغضه الناس لما فعل في الحسين - رضي الله عنه -، قال الذهبي : ( الشيعي، لا يطيب عيشه حتى يلعن هذا ودونه، ونحن نبغضهم في الله، ونبرأ منهم، ونلعنهم، وأمرهم إلى الله ) .
وراجع ترجمته في « السير » للذهبي : (٣/٥٤٥) .

(٢) البخاري : ( ٤/٣٣١ )، ومسلم : ( ٣/١٤٦٠ ) .

(٣) « مسلم » : ( ٣/١٤٦٠ ) .

(٤) زيادة من المصدر .

(٥) البخاري : ( ٤/٣٥٥ )، ومسلم : ( ٣/١٤٦٩ ) .

(٦) البخاري : ( ٤/٣٥٥ )، ومسلم : ( ٣/١٤٦٩ ) .



## فَصْلٌ

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ﴾ [(١)] .

وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا لِيُطاع بإذن الله ﴾ [(٢)]، ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [(٣)]، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلّموا تسليمًا ﴾ [(٤)]، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [(٥)]، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ۝ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا ۝ ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا ﴾ [(٦)]، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقًا ﴾ [(٧)] .

فطاعة الله ورسوله ﷺ واجبة على كلّ أحد، وطاعة وُلاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله ورسوله ﷺ بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لِمَا يأخذه من الولاية فإن أعطوه أطاعهم

(١) سورة الذاريات، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٦٤ .

(٣) سورة النساء، الآية : ٨٠ .

(٤) سورة النساء، الآية : ٦٥ .

(٥) سورة آل عمران، الآية : ٣١ .

(٦) سورة الأحزاب، الآيات : ٦٦، ٦٧، ٦٨ .

(٧) سورة النساء، الآية : ٦٩ .



وإن منعوه عصاهم فماله في الآخرة من خلاق .

وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله [ عنه ] - قال : « ثلاثةٌ لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذابٌ أليم : رجلٌ على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف به بالله لأخذها بكذا وكذا فصدّقه وهو على غير ذلك، ورجلٌ بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا (١) فإن أعطاه منها وفّى وإن لم يعطه منها لم يف » (٢) .

---

(١) في الأصل : ( لدينا ) .

(٢) البخاري : ( ٢/١٦٤ )، ومسلم : ( ١/١٠٣ ) .

هذا آخر الموجود من هذه القاعدة، والحمد لله أوّلاً وآخرًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .




# المجلد الأول



القسم الأول: العقيدة ( أ ) توحيد الألوهية



## ١ ـ الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة

( ١٧ ـ ٢٨ )



## ٢ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة

( ٢٩ ـ ٦٠ )

الموضوع ــــــ الصفحة



فصل



فصل



فصل



فصل



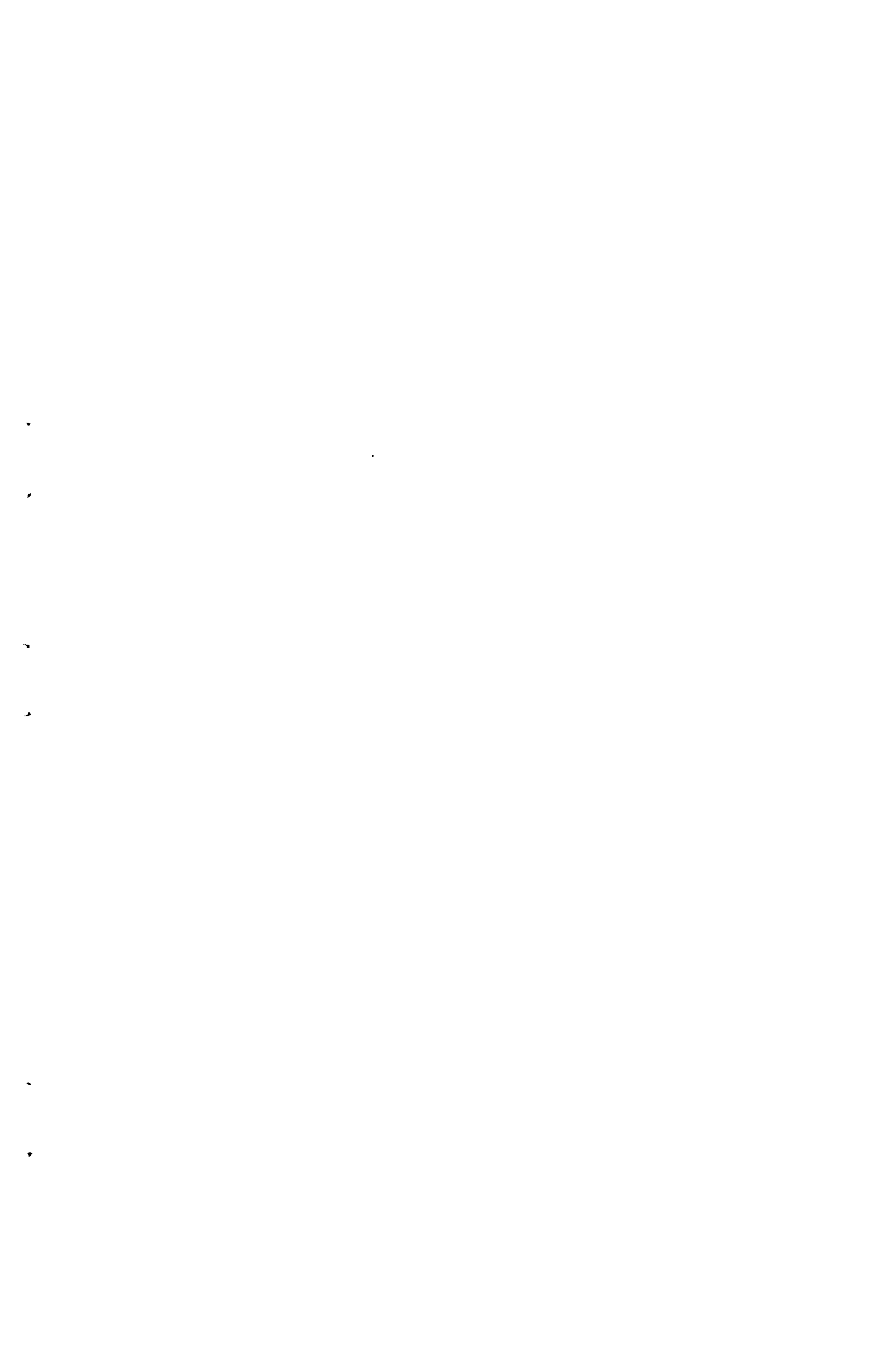


**فصل**



**فصل**

**فصل**





## ٣ ـ أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع

( ٦١ ـ ١٠٦ )

الموضوع ـــــ الصفحة

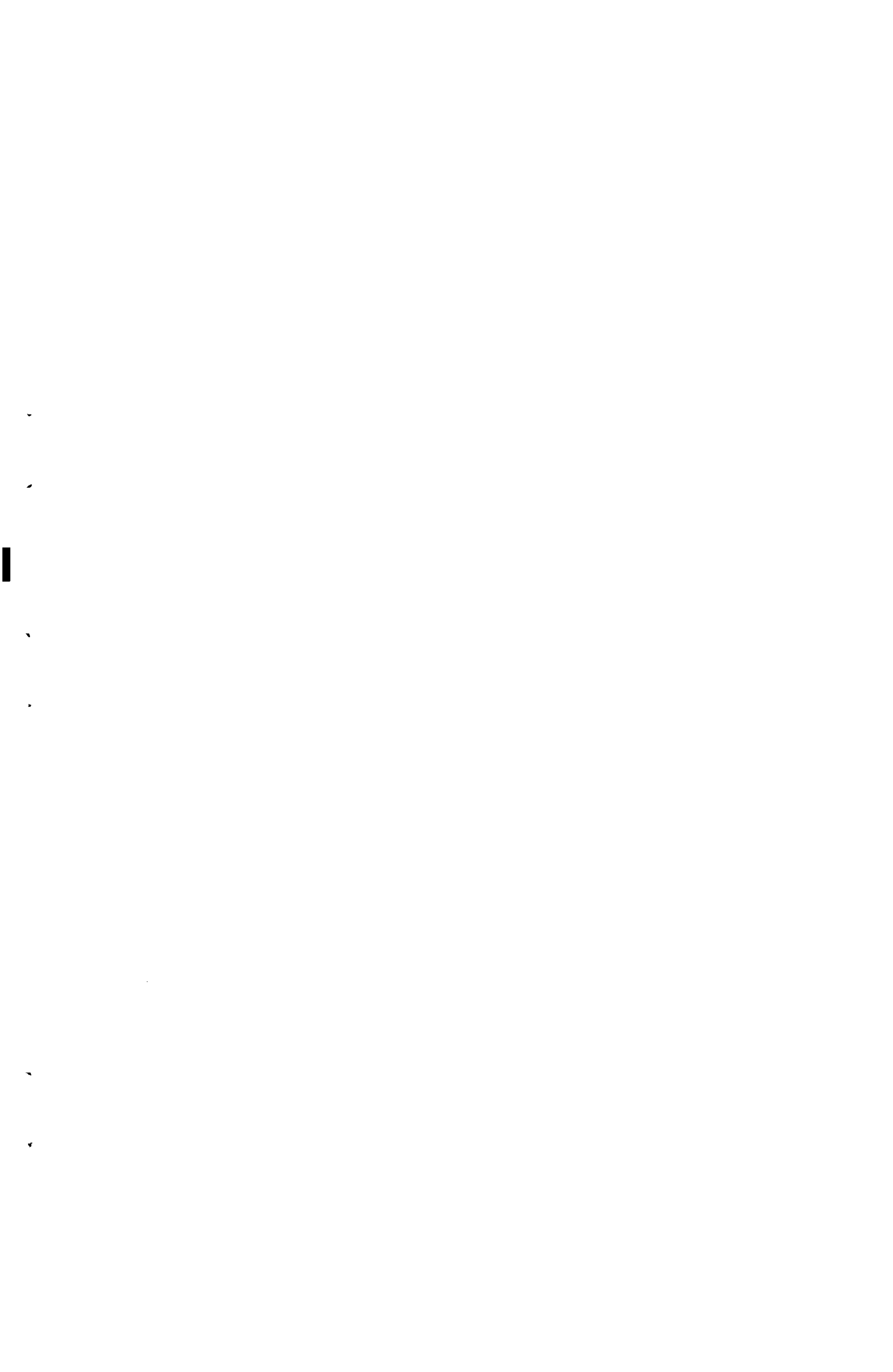


## ٤ـ كشف الشبهات

( ١٠٧ ـ ١٢٨ )

الموضوع — الصفحة



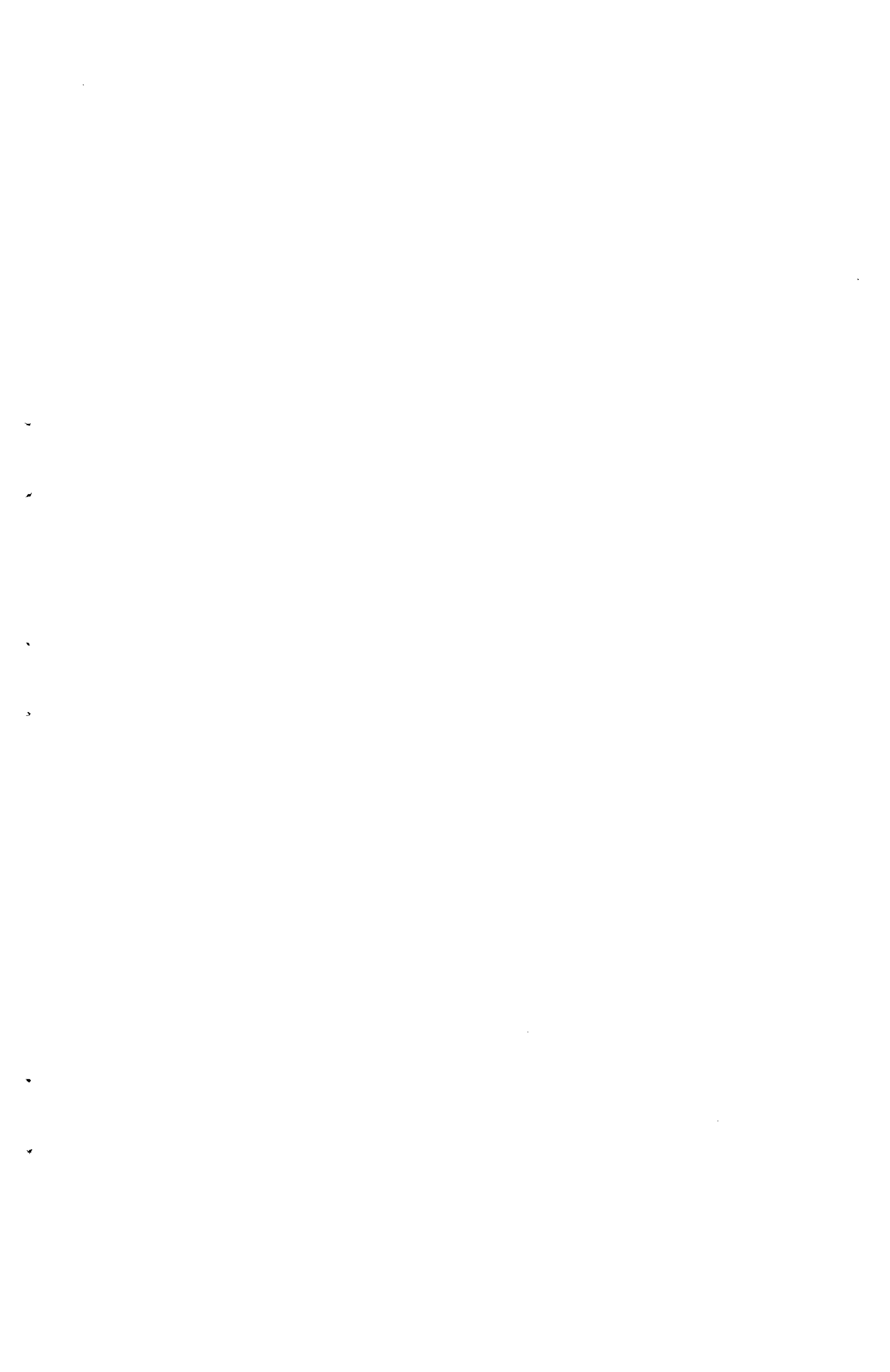




## ٥ - تجريد التوحيد المفيد

( ١٣٣ - ١٦٩ )

الموضوع — الصفحة





## ٦ - بيان حقيقة التوحيد

( ١٧١ - ٢٠٣ )

الموضوع ـــ الصفحة



## ٧ - 📖 نداء عام من علماء بلد الله الحرام

( ٢٠٥ - ٢٢٥ )

الموضوع ـــــ الصفحة



## ٨ ـ حكم السحر والكهانة

( ٢٢٧ ـ ٢٣٥ )

الموضوع — الصفحة



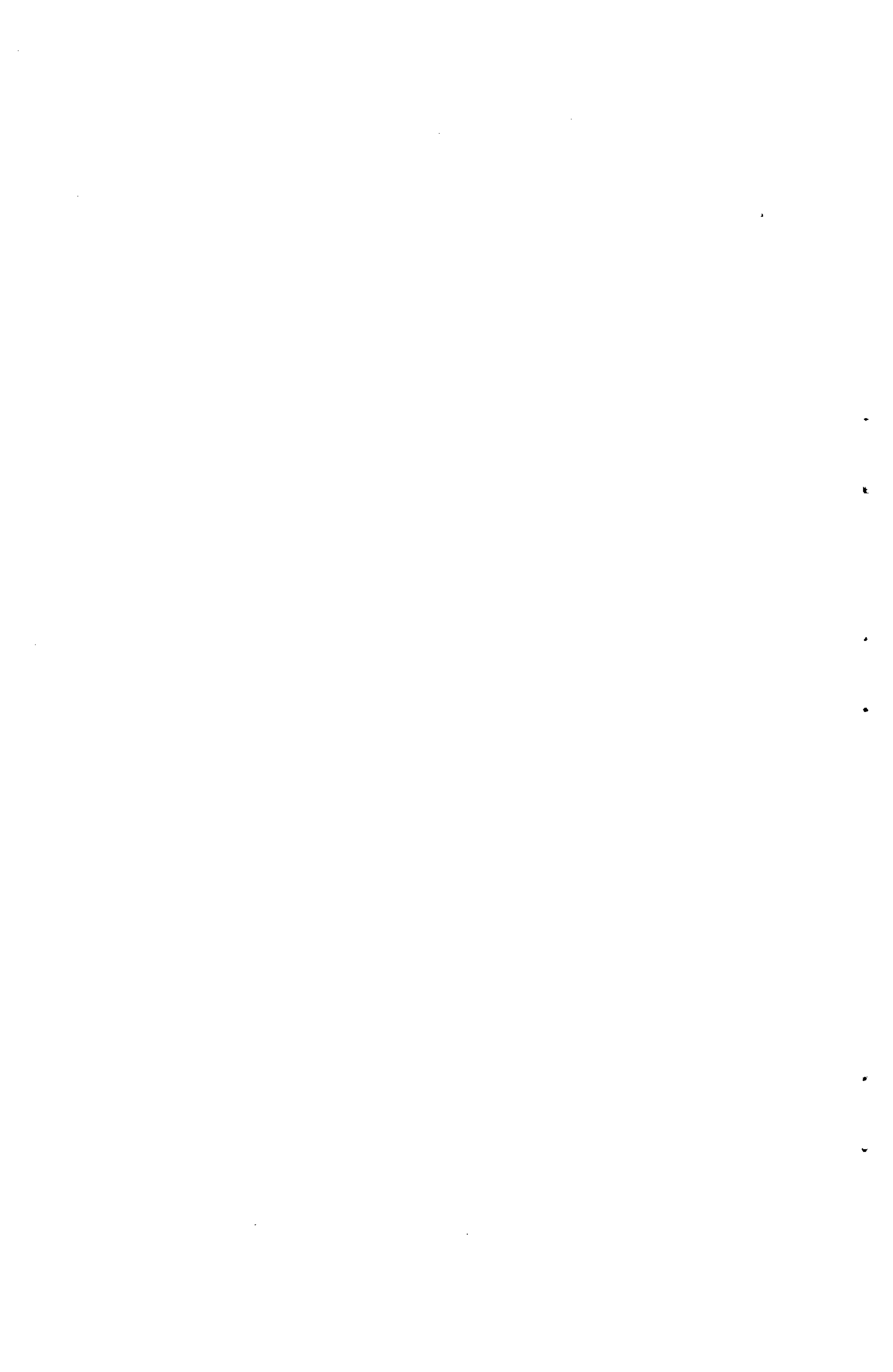
العقيدة

ب) توحيد الأسماء والصفات

## ٩ ـ منهج ودراسات في الأسماء والصفات

(٢٣٧ ـ ٢٦٣)

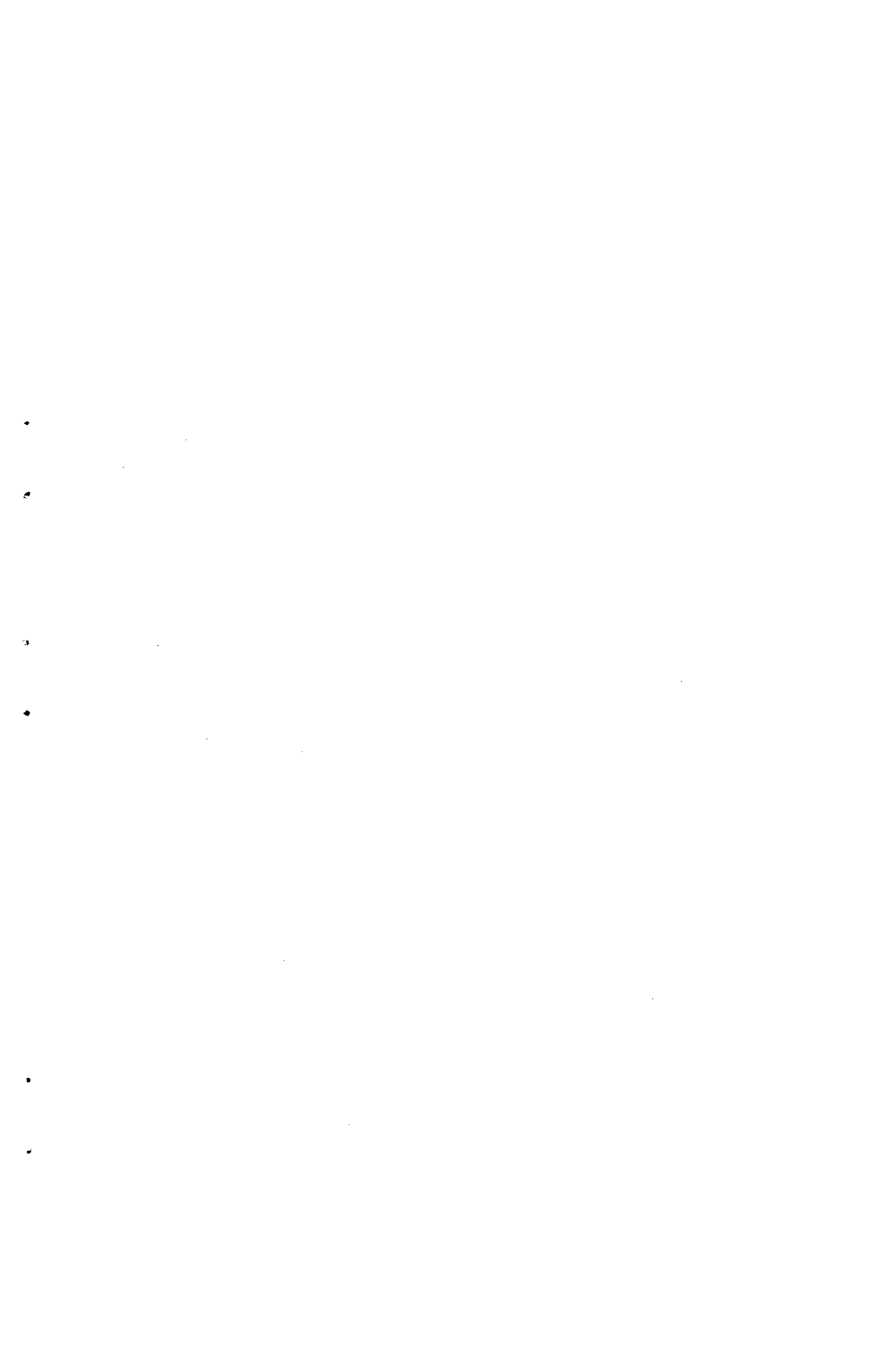
الموضوع ــــــــــــ الصفحة



## ١٠ـ القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى

( ٢٦٥ ـ ٣٤٢ )

الموضوع ـــــــــــ الصفحة





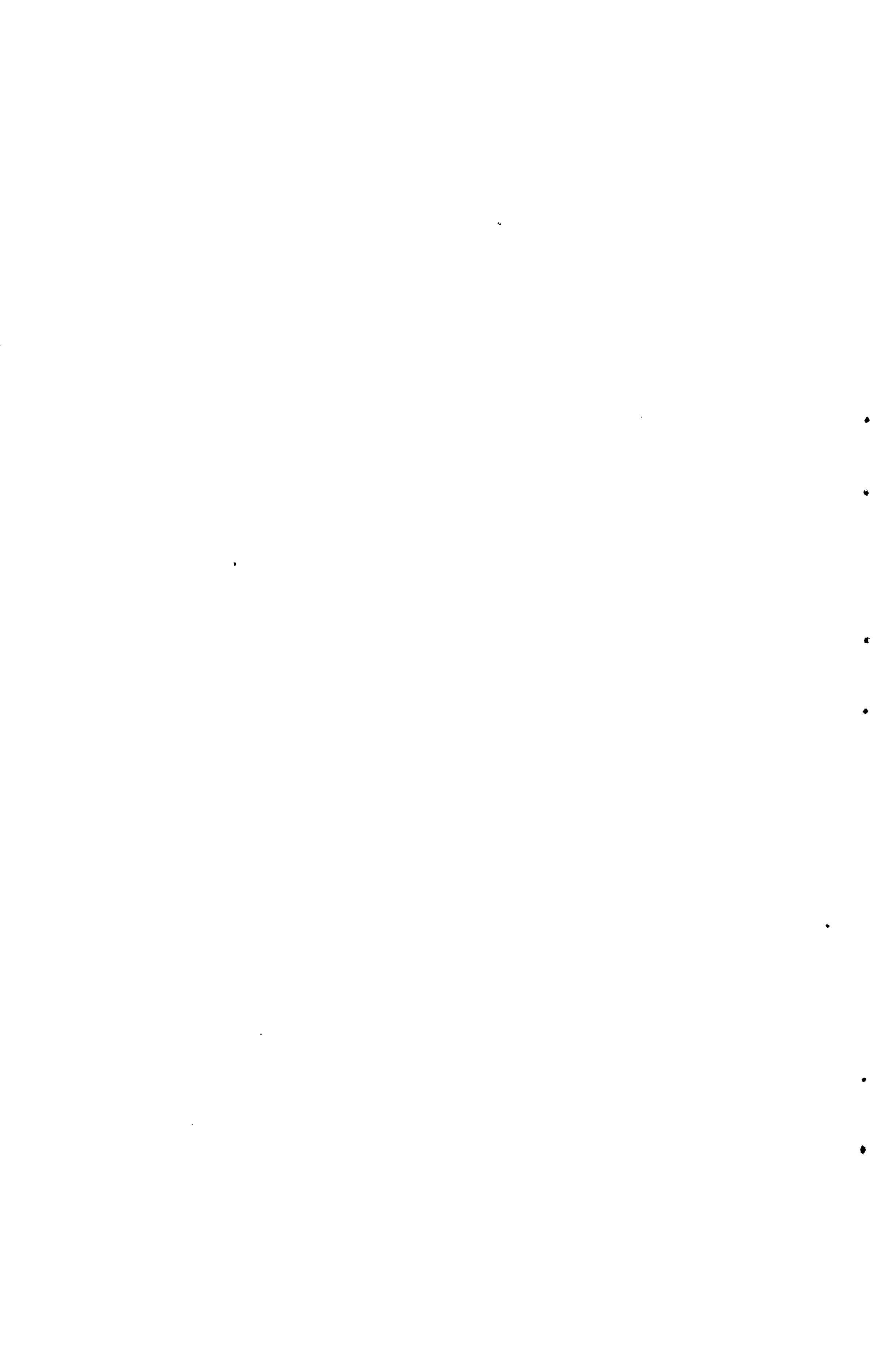
# ١١ـ التحذير من البدع

( ٣٤٣ - ٣٦٧ )

الموضوع ــــــــــــــــــــــــــ الصفحة

## ١٢ـ الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع

( ٣٦٩ ـ ٣٨٣ )



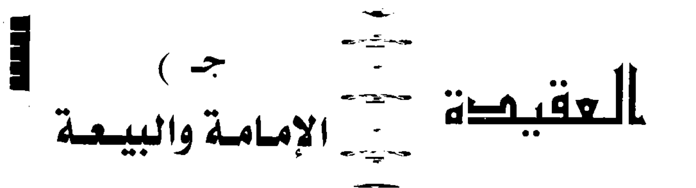
## ١٣ ـ البدعة .. ضوابطها وأثرها السيء في الأمة

( ٣٨٥ ـ ٤٣٢ )

الموضوع ........ الصفحة








## ١٤ ـ 📖 قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ـ عز وجل ـ ورسوله ﷺ وولاة الأمور

( ٤٣٣ ـ ٤٦١ )

الموضوع ــــــــــــ الصفحة




مطابع الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة